السنة الخامسة ـ العدد ٥٤ ـ رجب ١٤٠٠هـ يونيو ١٩٨٠

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



الأزهر
عقبات في طريق تطويره
د. محمد البهي

على جناح الوهم
صلاح عبد الصبور

يا زمان الأندلس
كمال سعد

الأفلاك .. هل تتحكم في حياتك ؟





تيم

تيم



الدوحة

مجلة شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر

مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة مجلة الدوحة

قطر ٣ ريالات ، البحرين ٢٥٠ فلسا ، الامارات العربية ٣ دراهم ، عمان ٢٠٠ بيزة ، الكويت ٢٥٠ فلسا ، السعودية ٣ ريالات ، الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا ، جمهورية اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا ، العراق ٢٥٠ فلسا ، الاردن ٢٠٠ فلس ، سوريا ٢٠٠ قرش ، لبنان ٢٠٠ قرش ، مصر ١٢٠ مليما ، السودان ١٥٠ مليما ، الجماهيرية العربية الليبية ٣٠٠ درهم ، تونس ٣٠٠ مليم ، الجزائر ٣ دنانير ، المغرب ٣ دراهم ، باقي دول العالم مايعادل دولارا واحدا .

الاشتراكات : للافراد : داخل قطر : ٣٦ ريالا قطريا . بالدول العربية : ٤٢ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٤٨ ريالا قطريا .

للدوائر الحكومية والمؤسسات والشركات : داخل قطر : ٧٢ ريالا قطريا . بالدول العربية ٧٨ ريالا قطريا . في باقي دول العالم : ٨٤ ريالا قطريا .

الاعلانات : يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الدوحة

رئيس التحرير
الدكتور محمد إبراهيم الشوش

خبير شئون الخليج : د. محمد جابر الأنصاري

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل حداد
نائلة فتحي

سكرتير التحرير الفني
أحمد عبد الله
علي دياب

يونيو ٨٠

العدد ٥٤

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر
العنوان البرقي : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير: ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير :
٣٢١٢٧٥ ـ ٣٢١٢٧٦
٣٢١٢٧٧ ـ ٣٢٣٧٧٨
القسم التجاري :
٣٢١٨٥٧ ـ ٢٦٨٤٦
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

مايُنشر في المجلة لايعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة ● تؤول الملكية الى مؤسسة دار الثقافة والاعلام والنشر

شئون عامة

٢٦ في الطريق
عباس محمود العقاد

٢٨ هل يمكننا اللحاق بالغرب
احمد عبد السلام البقالي

٣٢ كلام في السياسة
د. حسين مؤنس

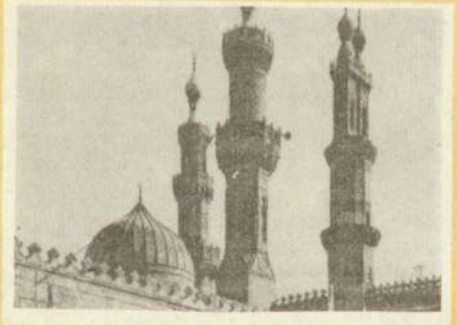
٥٤ التقدم بين الانسان والمنهج
د. حافظ الجمالي

٥٦ العرب وتحدي المرحلة انطون مقدسي

اسلاميات

١٤ الرسول والعلم التجريبي
د . يوسف القرضاوي

١٨ الأزهر : عقبات في طريق تطويره
د . محمد البهي



٢٣ الله والانسان
د . عون الشريف

٥١ نظرة الى تاريخ الاسلام في مواجهة التحديات انور الجندي

ادب وادباء

٦٠ لقاء مع : بيرم التونسي العراقة الشعبية
نعمان عاشور

٦٤ مشارف الخمسين : على جناح الوهم
صلاح عبد الصبور

٨٣ مدخل لعملية الخلق الروائي
النور عثمان أبكر

٨٦ محمد منذور .. المعلم والأب
عايده الشريف

٩٤ المشى على الصراط (رواية علمية)
عرض وتحليل : أبو المعاطي أبو النجا

٩٨ نحو منهج في نقد الأدب العربي
محمود الربيعي

١١٠ ادجار آلن بو . عبقري عاش ميتا في وطنه
جمال الكناني

هذا العدد

صفحات الرأي

٣١ أضغاث أحلام : احمد الأدنداني ووادي حريدين — درويش مصطفى الفار

١٤٦ الورقة الأخيرة : وجه من بعيد — عبد القادر حميده

حياتنا المعاصرة

اشراف خديجة الصدر

٦٧ حياتنا في مرآة المستقبل

٧٠ الأفلاك هل تتحكم في حياتك



٨٠ البديل للعظام الآدمية

٨١ الاكتفاء الذاتي في الطاقة

استطلاعات

٣٥ فنون الرقص الشعبي في قطر — سائد درويش

٤٠ عندما أصبحت طنجة مهرا لأميرة — جمال الغيطاني

٤٤ أريحا بوابة التاريخ — نبيل خالد الأغا

١١٩ يا زمان الأندلس — كمال سعد

أبواب ثابتة

١١٢ صور كاريكاتورية : اكذوبة مساواة المرأة بالرجل — عبد الوهاب الأسواني

١٢٦ وقائع عربية : حكاية هوى — محمد المنسى قنديل



١٣٦ من كل نبع قطرة — كمال عمار

قصص وشعر

٩٧ عذابات الفقر والمنفى (قصيدة) — بشرى ناصر

١٠٨ قصائد يافية — هارون هاشم رشيد

١١٣ الحب دائما (قصيدة) — عصام الراوي

١٣٢ الحذاء (قصة) — عاطف سعودي

منطقة الخليج ليست بترولا فقط !

إنها تاريخ إنسانى حافل ودقيق بالتفاصيل والمعاناة والأهمية الجغرافية لموقعها البحرى فى الصحراء منذ القدم وثرواتها ذات التأثير العالمى فى العصر الحديث .

ربما قصرت أجهزة الاعلام العربية – عن غير طريق الاعلان المدفوع ، وعن غير قصد – فى التعريف بالتاريخ الانسانى لهذه المنطقة . وربما عجزت أجهزة الاعلام الناشئة فى منطقة الخليج نفسها عن استيعاب وإعداد وإرسال ذلك المخزون الانسانى من تاريخ الخليج بكل فروعه ونشاطاته ، الى آذان العالم المشغول فقط بثروة الخليج ، واحتياجاته الحيوية الملحة من تلك الثروة .

ولكن الجامعات العربية ، ومؤسسات البحث العلمى ، حين لا تلتفت الى تاريخ هذه المنطقة ، وإلى بثه ضمن مناهجها ، ودورياتها ، وأوراقها العلمية ، إنما يصبح تقصيرها قصوراً ، وإهمالها قصداً ينقص من هيبتها العلمية ، وهيبة القائمين عليها .

على أنه فى ضوء التقصير ، والعجز ، واللامبالاة .. فان الانسان فى منطقة الخليج قد آن له أن يتصفح أوراق تاريخه بنفسه ، وأن ينبش فى تراثه بالاف الأظافر العلمية ، التى نبتت له فى قاعات الدرس ، والمحاضرات ، فى كل جامعات العالم .

وإن مجلة «الدوحة» التى تفتح صفحاتها لكل ابناء الوطن العربى ، وموادها لكل مصادر البحث فى مساحة الوطن كله ، دون أن تضع تلك الحدود التاريخية لكل بلد على حدة ، إنما يسعدها بعد تلك الجرعات الخليجية المركزة فى اعدادها السابقة على مدى أربع سنوات وستة أعداد ، أن تفسح المجال بكثافة أكثر لتاريخ منطقة الخليج ، بأقلام خليجية وغير خليجية . وإننا نعتبر هذه الكلمة دعوة موجهة من «الدوحة» الى كل الاقلام التى تضمر اهتماما علمياً بمنطقة الخليج . وإلى كل المؤسسات التى تقيم لمنطقة الخليج فرعا فى نشاطاتها . ندعوهم إلى أن يسهموا فى تحرير تلك الصفحات التى نقرب بها المسافة بين تاريخ المنطقة ، وبين الشباب العربى فى كل مكان .

الدوحة

فنون

٥٠ العم سيد الطيب القلب (كاريكاتير) — عبد السلام نور

٩٣ دعوى الى التخلف بدعوى المعلبة — محمود زكي

١٠٣ السينما تطرق أبواب المنازل وتسأل عن الأطفال — رءوف توفيق



١١٤ روائع الفخار والخزف الاسلامي — جمال قطب

١٤١ بدون تعليق (كاريكاتير) — ناجي

أبواب القراء



اشراف : نادية محمد رزق

٦ رسائل الى المحرر

١٣٥ من تجاربي الشخصية

١٤٠ رأيت وسمعت وقرأت

١٤٢ دوحة القراء

١٤٤ المسابقة



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين الدوحة وأصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية ١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رأيت • سمعت • قرأت ٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية .

طبعت بمطابع على بن على

الشهر الذى مضى

● صابرين محمود المنوفية ـ مصر

طالعت بكل الاعجاب والتقدير مقال « سارتر .. هوس العصر وضميره ومرآة فراغه الروحى » للدكتور الشوش .. وانى اؤيد رايكم بكل حماس عن فكر هذا الفيلسوف ومن آمنوا به ، بانه فكر يبعث على الدوار والغثيان لأى مسلم يقرأ فكر سارتر بان الحياة لا جدوى فيها والآخرون هم الجحيم .. ويقرأ من اقوال الرسول (ص) بان « يد الله مع الجماعة » و«احب لأخيك ما تحب لنفسك» و « اثنين خير من واحد وثلاثة خير من اثنين فعليكم بالجماعة »ولقد اشتهر سارتر وذاع صيته لأنه اتى فى عصر انهارت فيه القيم وتحللت الأخلاق .

فتحياتى لكم ونرجو المزيد من القاء الضوء على مثل هذه الأفكار وتلك الشخصيات .

صابرين محمود

● سيد عبد المجيد مكى الروضة ـ القاهرة

قرأت فى الدوحة عدد (٥٣) مقال الدكتور الشوش عن الفيلسوف الراحل سارتر يستشهد فيه بفقرات صدرت فى ٢٨ ابريل ١٩٨٠ فى صحيفة (نيوزويك) الامريكية عن هذا الفيلسوف .. تهانينا للدوحة لسرعة إلمامها بما ينشر فى العالم رغم انها مجلة شهرية .

سيد عبد المجيد مكى

● العقون مسعود بريكة ـ الجزائر

قرأت مقال التوفيق بين الاصول والمؤثرات الحضارية للدكتور محمد ابراهيم الشوش ، والذى حوى افكارا عميقة باسلوب سهل بسيط نفتقر اليه فى كتابات كثيرة من كتاب العربية الذين ينسون أن الأغلبية من القراء ليسوا متخصصين ولذلك يضيع جزء من فائدة كتاباتهم بانعدام صداها لدى نفوس كثير من القراء .

ثم ان هناك بعض الكتاب والمفكرين ينسلخون عن واقعهم العربى ويطرحون قضايا ومشكلات غربية لاتمت باية صلة الى واقعنا العربى الاسلامى الذى يزخر بالمشاكل ، وانى استنكر منهم هذه السلبيه ..

لذلك املى أن يستمر الدكتور الشوش فى طرح قضايا وافكار تهمنا كعرب من خلال ما يقدمه من فكر بناء ومعالجة موضوعية لما نواجهه من مشاكل .

العقون مسعود

● حامد حسن شبير الخرطوم ـ السودان

خطرت بذهنى اقتراحات جديدة أود ان اعكسها لأسرة التحرير وكلى امل فى انها ستجد مكانا طيبا بين مثيلاتها من كتابات الأخوة قراء «الدوحة» وتتمثل الاقتراحات فى :

اولا: الكثيرون منا فى السودان يعترفون بكفاءة الدكتور الشوش الأدبية بجانب إهتماماته بقضايا النقد الأدبى ، ودليلى على ذلك كتاباه «أدب وأدباء» و «الشعر الحديث فى السودان» وليته تحول قليلا من مساره السياسى فى بابه «الشهر الذى مضى» وكتب لنا عن النهضة الفكرية فى منطقة الخليج ، او تعرض بالنقد والتحليل لأدب المنطقة التى تعج بكثير من الفنانين الموهوبين والذين يرجى منهم الكثير .

ثانيا: طالعنا الاستاذ كمال سعد فى عدد سابق من مجلة الدوحة بمقال رائع عن جنوب السودان ، وهذه خطوة جميلة نشكره عليها ، ولى رجاء ليته يحققه لنا ، وهو بأن باوراقه وقلمه لزيارة منطقة غرب السودان فهى منطقة عامرة بالفنون والابداعات التى تستحق التأمل والدراسة ولا سيما منطقتى جبل مرة ومليط وستعم الفائدة جميع القراء.

ثالثا: أود أن ابدى اعجابى بكتابات الدكتور محمد المنسى قنديل فى بحثه عن التراث واهتمامه بابداعات القدماء . ولكنه لم يكتب لنا عن شاعر العربية الخالد المتنبى

رابعا: نحن نعلم ان بالشقيقة مصر أدباء شباب يحاولون تثبيت اقدامهم فى الساحة الادبية المصرية وعلى سبيل المثال مجيد طوبيا وفتحى سلامه وولى الدين اسماعيل وغيرهم . فهلا تكرمتم بتسليط الضوء النقدى على كتابات هؤلاء ؟

حامد حسن شبير

واجب الدولة فى تشجيع المؤلفين

ياسر الفهد ـــ دمشق

لعل من نافلة القول التاكيد على أهمية الكتاب ودوره فى ترسيخ اسس المعرفة ووضع ثقافات الأمم فى متناول القراء ، وما يعنينا بالتحديد التاكيد على دور الدولة فى دعم الافراد الذين يصدرون كتبا بمبادراتهم الخاصة فالدولة تنفق عادة اموالا كبيرة على نشر العلم فتنشىء المدارس وتصدر الصحف والمجلات وتقيم المراكز الثقافية وترعى برامج الاذاعة والتلفزيون وغير ذلك. وعندما يصدر المؤلف كتابا فانه من الناحية العملية يساعد الدولة فى مهمتها فالكتاب هو الاداة الرئيسية لنشر المعرفة وهذه المهمة هى من صلب واجبات الدولة فطالما ان الفرد باصداره كتابا يؤدى عملا يفترض ان تؤديه الدولة ويقع اساسا على عاتقها فان عليها ان تمد له يد العون باقصى طاقاتها فكأنها بذلك تساعد نفسها بنفسها .

ان المؤلف العربى يفكر اكثر من مرة قبل الاقدام على ركوب وعناء طباعة كتاب على نفقته بسبب الاحباطات والمصاعب الكبيرة التى تثبط العزيمة وتوهن الحماس كمشكلات النفقات والتوزيع والخوف من احتمال كساد الكتاب وعدم رواجه وغير ذلك . ودعم الدولة للمؤلفين دعما كافيا سيؤدى الى ازالة مخاوفهم وتبديد ترددهم وبالتالى انطلاق حركة التاليف وازدهار عملية إصدار الكتب . ولا يخفى ما يحمله ذلك من تاثيرات كبيرة ايجابية فى الحياة الثقافية والفكرية .

وهناك مجالات عديدة يمكن بها للدولة أن تسهم فى تشجيع المؤلف وتسهيل مهمته الثقافية على اداء رسالته السامية :

أولا : ان تقوم وزاراتها ومؤسساتها الثقافية حسب اختصاصاتها بطباعة الكتب ومنح المؤلفين ما يستحقون من مكافات مالية ولكن هناك بعض المصاعب فى هذا المجال :

أ ـ إذا عرض المؤلف مخطوطة كتاب ما على احدى الوزارات أو مؤسسات الدولة طالبا طباعتها فانه سيكون مضطرا على الأغلب الى الانتظار فترة طويلة حتى يبت بطلبه وحتى لو حظى هذا الطلب بموافقة المسؤولين فان عليه أن ينتظر شهورا طويلة قد تمتد الى سنة او أكثر قبل أن ترى مخطوطته نور النشر

ب: إن الوزارات او المؤسسات الرسمية لا تستطيع بحكم ميزانياتها المحدودة ان تطبع إلا عددا محدودا من الكتب

ج ـ بعض الوزارات او المؤسسات الثقافية العربية تفضل نشر الكتب ذات المضمون الدعائى الذى يخدم اتجاهات معينة فهى لذلك كثيرا ما ترفض تبنى كتب تتمتع بالموضوعية والجودة وتتحلى برقى المستوى

ثانيا: ان تقوم الدولة بمنح معونة مالية مقطوعة لكل مؤلف يبادر باصدار كتاب على نفقته اذا كان مستوى الكتاب مقبولا وفى سورية ، على سبيل المثال ، يقوم اتحاد الكتاب العرب بدفع معونات من هذا النوع .

ثالثا: ان تعمد الوزارات والمؤسسات الرسمية الى شراء اعداد كبيرة من نسخ الكتب التى يصدرها الأفراد .

رابعا: أن تخصص الدولة دار توزيع رسمية تتولى توزيع كتب الافراد دون ان يكون فى خطتها الحصول على حصة من الربح ، خلافا لما تفعل دور التوزيع الأهلية اى أن على الدولة أن تقوم بالانفاق على هذه الدار بحيث تمكنها من توزيع كتب الافراد فى كافة الاقطار العربية بخصم لا يتجاوز ٢٥٪ بدلا من ٥٠ أو ٦٠٪ ونقول للأسف ان المجال الرابع هو المجال الذى يظهر فيه تقصير الدول العربية اكثر ما يظهر فليست هناك على ما نعلم دار رسمية عربية مستعدة لتوزيع الكتاب بخصم ٢٥٪ فقط .

إن انعاش الكتاب العربى يجب ان يتم على نطاق عربى شامل لا على نطاق محلى محدود بحيث أن المؤلف العربي ينبغى أن تتوافر له فرص الدعم والتشجيع حتى من خارج القطر الذى يعيش فيه وبالفعل فان بعض المؤلفين العرب يبعثون بمخطوطات كتبهم الى وزارات الاعلام والثقافة والمؤسسات العربية المختلفة لنشرها . ونستطيع أن نذكر على سبيل المثال اسهامات وزارتى الاعلام فى قطر وفى العراق وكذلك اسهامات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الذى يصدر سلسلة عالم المعرفة فى الكويت وغيرها . كما أن الوزارات والمؤسسات العربية كثيرا ما تقدم بشراء نسخ المؤلفين العرب فى مختلف الاقطار العربية

أدب



(● عبد السلام عطا الله
الاسكندرية ـ مصر

حديث المرحوم عباس محمود العقاد «أينشتين على المائدة» الذى نشر فى العدد ٥٣ من مجلتكم الموقرة «الدوحة» قد فجر فى النفس مشاعر وخواطر تتصل بحياتنا المعاصرة فى الفن والفكر والادب ففى هذا النوع من الاحاديث تعنينا الملامح الانسانية لهذه الشخصيات كما تعنينا ملكاتها الفنية والثقافية لتعطينا زادا وذخرا للحياة ، وهى شديدة الاثر فى النفس لتلقائيتها ، فهى تدور فى أى مكان ، فى البيت ، فى الشارع ، حول المائدة ، فى وقت الراحة دون ترتيب أو اعداد ، ولذلك فهى تجمع بين فلسفة التنوير والتسلية ومتعة الذهن ، كما انها تتسع للحياة الانسانية للحياة الانسانية فى جميع مطالبها ومطامحها ، وهى تثرى عصر الآلة بالمثل العليا ، وقيم الحق والخير والجمال تربى الذوق ، تطهر الفكر من الشوائب وتحث على الصدق فى التعبير بمعرفة كل ما فى نفوس هؤلاء العباقرة من قيم ، وهذا ما يشغلنا ويثير اهتمامنا .

وليس معنى هذا اننا ننكر قراءة المؤلفات والآثار الأدبية لهؤلاء ، ولكننا الآن فى حاجة لمثل تلك الاحاديث ، أكثر من حاجتنا الى ذلك الانتاج الذى زاد عن حده مما يطلقون عليه اسم : « المدارس والمذاهب أو الأحزاب الفكرية أو الفلسفية ، التى يستعملها كثير من ادبائنا فى العصر الحديث ، ولا نجد خلفها إلا الجدل غير المجدى .

إن الانسان فى عصر الآلة واقصد الانسان فى عصر التخصص يبحث عن الانسان فلا يجده فالانسان فى عصر التخصص اصبح نصف انسان على حد قول « نتشة » .. «اذن كبيرة، أو لسان تمشى بهقدمان»

على اساس أن الانسان الصحيح يعرف الادب ولا يجهل العلم ، أو يعرف العلم ولا يجهل الادب . فقد قيل عن الرجل فى الغرب إنه مهندس وأمى ، أو انه طبيب وأمى ، فاننا نخاف فى هذا العصر من الأمية التى تنتشر بين العلماء والمتخصصين .

ويلزم للمتخصص أن ينظر حوله فى افق أوسع من تخصصه ، واحاديث المائدة على ذلك الطراز احد طرق العلاج لهذا المرض فى عصرنا الحديث ، صدقنى ياسيدى إن القارىء يلتهمها التهاما ، تاركة اثرها القوى الصادق فى نفسه ، تخفف من غرور المتخصصين وغلوائهم ، الذى ربما يقود البشر الى الهاوية . إنها غذاء أدبى وفكرى وفلسفى على مائدةالعصر نتناولها دون عسر هضم .

وسؤال من غير متخصص فى دراسة الأدب عن أحاديث المائدة فى ادابنا العربية ، هل هى موجودة فى ادبنا العربى ؟ ، وإذا كانت موجودة فهل تستحق التدوين ؟ وهل بها صور نفسية واجتماعية رائعة ؟ وهل سهونا عن ما بها من لمحات عبقرية؟

أيا كانت الاجابة ، هل لكم أن تتبنوا الدعوة الى ترشيد جمع تلك الاحاديث ، بين ادبائنا ومفكرينا حتى يهتموا بهذا النوع من الاحاديث واعتقد أن فى امتنا العربية كثيرا ممن يرحبون بتلك الدعوة .

ولقد قرات أن هناك تراثا وافرا يطلق عليه النوادر والمسامرات أو يسمى نوادر المحاضرات والأمالى من مؤلفات «العاملى» و «المرتضى» و «القالى» و «الاصبهانى» وغيرهم ، مضافا إليها نوادر أدباء الجيل الماضى والجيل الحاضر ، يمكن أن يكون معينا طيبا لهذا النوع من الاحاديث يفوق حديث المائدة عند الغربيين كما قال المرحوم العقاد فى بعض كتاباته .

وموضوع الأديبة الفاضلة «عايدة الشريف» يصح أن يكون نواة لتنفيذ تلك الدعوة ، ولكن لا يتكلم فقط عن الاجور المتواضعة !

عبد السلام عطاالله

(● حوميرة يحيى
وجدة ـ المغرب

اطلعت على مجلتنا الغراء العدد (٥٢) والذى كان يضم مواضيع هامة وخاصة مقال العقاد « الانسان غدا ، ماذا يمكن أن يكون ؟ » هذا المقال الحيوى الذى اثار انتباهى وانتباه كل من قراه وبذوقه .. فقد تناول الحديث فيه عن العلم والعلماء والخدمات التى قدموها للانسانية وتعرض الانسان ومستقبله المجهول لهذا العالم الغامض الذى يحجم الناس عن الخوض فيه .. إلا أن العقاد قد واجهه بشجاعة وباسلوب عذب .. ولكنى آخذ على مقال العقاد انه اقتصر فى حديثه عن العلماء على غير العرب منهم . ولا أدرى ما السبب هل ينكر على العرب مالهم من دور فى مجالات الاختراعات العلمية ؟ .

حوميرة يحيى

محمد خليفة عبد الله
السودان

اطلعت على ما كتبه الأديب السودانى منير صالح والذى عاتب فيه محقا ، بلسان دافىء عفيف العذبات ونوافقه القول باحترام الاقلام البعيدة عنا والقريبة وحبها شريطة أن تتنوع وتتعدد .

والوطن ذاخر بكتابه المبدعين .

نقول هذا ولا ننسى إفتتاحيةد. محمد ابراهيم الشوش « بان المجلة ترفض السكون وتعشق إثارة الحركة فى العقل

محمد خليفة عبد الله

(● خيرى السيد ابراهيم
سوهلج ـ مصر

أرجو تسجيل اعجابى بتفوقكم فى الحصول على مقالات العقاد واستكتاب أكبر عدد من الاسماء اللامعة فى دنيا الأدب والفكر .. وتحية للاستاذ يوسف ادريس على قصته «الرجل والنملة» واسمى آيات الشكر للدكتور الشوش على موضوعاته الشيقة وفكره المستنير .. وايضا كل التقدير لشاعرنا عبد القادر حميده ..

خيرى ابراهيم



● صابرين محمود ج . م . ع

أمل أن تتبنى المجلة اقتراحا نشرته لواحد من قرائها يدعو فيه لاستضافة أديب عربى كل شهر على صفحات المجلة ، واضيف هنا محبذة أن يكون الاختيار للجيل الجديد من الكتاب الشباب العرب ،

الدوحة

فى الأعداد القادمة

أزمة العقل فى الكيان العربى
بقلم د. محمد ابراهيم الفيومى

محمود تيمور .. الارستقراطية والأدب
بقلم نعمان عاشور

شىء من المولد
بقلم د. عماد الدين خليل

فى الذكرى الخامسة والستين للإمام محمد عبده
بقلم د. محمد البهى

إسلاميات



(● عبد الله احمد العلوى
كوستى ـ السودان

لقد قرأت فى العدد رقم (٥٠) مقال الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر عن (أفغانستان الأرض والناس والأحداث) .

لقد اعطانا الكاتب فكرة شاملة عن افغانستان ودورها الفعال فى بناء الثقافة والحضارة الاسلامية ، حيث نبتت فى ارضها شخصيات رائدة برزت فى شتى جوانب المعرفة الاسلامية .

ومن اعلام الفقه الاسلامى نذكر: الامام احمد بن حنبل ، الامام ابو حنيفة ، والبخارى ، والترمذى وغيرهم . وفى الطب والفلسفة نذكر : جابر بن حيان ، ابن سينا ، الفارابى .

هذه هى افغانستان البلد المسلم الذى ساهم عظماؤها فى نشر رسالة الاسلام .

عبد الله احمد العلوى

● البكورى نور الدين
فاس ـ المغرب

أشير الى حاجتنا المتزايدة للتصدى للمقولات والدعاوى المادية المناهضة للاسلام .

فهذا العصر زاخر بترهات شتى لن يحدها إلا الاسلام وثقافاته !

ارجو أن نجد الاستزادة فى مجلة الدوحة من الموضوعات التى تبحث فى هذا المجال مع كامل التقدير للاسهامات الاسلامية التى تتصدر كل عدد جديد منها .

* البكورى نور الدين

(● خالد قاسم محمد
بغداد ـ العراق

اطلعت على مقال د. عبد الجليل شلبى الذى تناول فيه آراء المستشرقين فى الاسلام فى محاولة لاطلاع الرأى العام فى البلاد الاسلامية والرد عليها من موقع الحرص والذود ضد الافكار المخربة لروح الانسان المسلم وفكره .. وبما انى احاول منذ فترة ستة اشهر تتبع كل ما صدر ويصدر عن هذه الظاهرة العدائية للاسلام والأمة العربية وذلك لانجاز بحث نقدى لها. فانى أرجو أن يرشدنى الكاتب فى موضوع البحث المتعلق بالمستشرقين والأمة العربية من خلال اطلاعه على هذه الظاهرة ... كما أرجو أن يرسل لى كتابيه «الاسلام والمستشرقون» و «صور استشراقية» وذلك لتعذر الحصول عليهما من مكتبات بغداد .

خالد جاسم محمد



(● انيسة ابراهيم

أسعدنى الحوار الذى اجراه الاستاذ نبيل خالد الاغا مع المفكر الاسلامى محمود شيت خطاب .. لقناعتى باهمية ما يطرحه مفكرونا وعلماؤنا من قضايا ودراسات تهم الأمة العربية والاسلامية وخاصة الدراسات عن حياة الرسول الكريم (ص) واستخلاص العبر والمعانى لتكون هادياً ومعيناً للعرب فى ايامهم هذه التى تميزت بالفرقة والأنانية والعداء .

كما أسفت لوقوف الدول العربية صفوفا تستجدى الغرب والشرق السلاح ولا تفكر جديا فى صناعته وانتاجه محلياً .. رغم ما حباها الله به من أموال وخامات وخيرات .. وانى استصرخ حكامنا أن يتعاونوا وينتجوا سلاحهم بأيديهم فهذا هو الأمل الوحيد لوضع الأمور فى نصابها مهما طال الأمد ..

انيسة ابراهيم



(● د . م أيت ملول
المغرب .

قرأت مقال الاستاذ يوسف القرضاوى بالعدد ٥٠ تحت عنوان «فى المعركة بين القديم والجديد» وكان بحق موضوعا مفيدا ميز فيه الكاتب بين ماضى العرب ، وماضى الغرب . وفعلا فقد كان ماضى الغرب ماضياً عمد التعصب . والجهل والظلم ، لذلك كان من حقهم أن يثوروا ضد هذا الماضى الذى وقف كحجر عثرة فى طريقهم نحو التقدم والرقى ، وهكذا غيروا ما بانفسهم فغير الله ما بهم ، فى الوقت الذى كان فيه العرب بالمنازعات منشغلون ، حتى ضاع منهم الارث العلمى الذىخلفه الاجداد والذين كانوا من خير الأمم وارقاها . فاخذ الغربيون هذا الارث الثمين فاضافوا إليه ما اضافوا ونسبوا معظمه الى علمائهم ... ولم يشعر العرب بالخطا الذى ارتكبوه إلا بعد أن جربوا ـ الآن ـ الاعتماد على انفسهم ، وسرعان ما نكتشف لهم أن هناك مايعوقهم دون الالتحاق بالركب الحضارى وأن مفتاح التكنولوجيا والتصنيع بيد الآخرين ...

ولا ينبغى لنا أن نتشاءم فلدينا طاقات مادية وبشرية ، وعندنا عقول للأسف فى المهجر وما علينا إلا أن نقنعهم بالعودة ونوفر لهم كافة التسهيلات للقيام بعملهم فى ظروف حسنة .

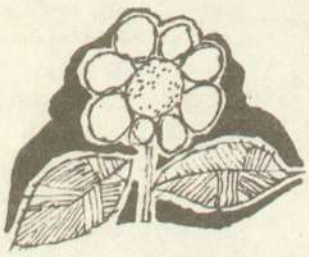
ر.م.ايت ملول

(● احمد عبد المقصود عجيلة
كلية الشريعة ـ الاسكندرية

جاء فى مقال الاستاذ احمد بهجت الذى نشر بمجلة الدوحة الغراء العدد ٤٩ تحت عنوان « هذا المد الاسلامى الى اين يمضى » أن الديمقراطية الحقيقية أو جوهرها كان موجودا فى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . وهذا ليس بصحيح فالديمقراطية مصطلح غربى دخيل على الاسلام والمسلمين .. والديمقراطية لفظة يونانية مكونة من مقطعين «ديموس» بمعنى شعب و «كراتوس» بمعنى سلطة .. أى السلطة للشعب والديمقراطية بمعناها الغربى لا صلة لها بالاسلام فهى دخيلة على تراث الاسلام نطقاً وفقهاً .. فلم يستعملها قاض ولا فقيه ولا حاكم على مدى عصور الأسلام المختلفة ذلك لأن الاسلام يعرف «وامرهم شورى بينهم» والمعلوم من الدين بالضرورة أن السلطة ليست للشعب ولا للحاكم لأن الشعب والحاكم معاً محكومان بشريعة الله « إن الحكم إلا لله » .

احمد عبد المقصود عجيلة

اقتراحات جديدة



(● احمد صلاح الدين ناصف
الدقى ـ القاهرة

احب ان اشير الى اعجابى المتزايد بالتطور العظيم الذى يطالعنا مع كل عدد من اعداد الدوحة .. كما أود أن اضيف بعض الاقتراحات :

ـ أن تقوم مجلتنا الموقرة بنشر بعض كتب التراث القيمة .

ـ ان تقوم المجلة شهريا بعرض احد الكتب الحديثة التى تتناول فروع المعرفة المختلفة .

ـ دعوة كبار الكتاب العرب للمشاركة فى اغناء المجلة بالموضوعات الجادة امثال الدكتور رشدى فكار والدكتور ابراهيم مدكور والاستاذ فتحى رضوان .. لمواجهة التحديات المعاصرة ضد العرب والاسلام .

احمد صلاح الدين ناصف

(● احمد محمد سليم
محافظة الشرقية ـ مصر

اقترح أن تقدم مجلة الدوحة دائرة معارف تضم معلومات أدبية مرتبة ترتيبا ابجدياً يمكننا الرجوع إليها عند الحاجة .

احمد محمد سليم

(● حسن احمد شلبى
كلية الألسن ـ القاهرة

ان مجلة الدوحة من المجلات الثقافية التى تروق للعقل العربى وتغذيه .. ولى رجاء أن تقوم المجلة بتقديم وشرح كتب التراث حتى تكون لدينا صورة كاملة عنه .. ولكن بصورة مبسطة وليس كما يعرض فى الدراسات والمناهج الجامعية .. حتى تكون فائدته أعم .. ولى عتاب عليكم لأن قصائد الشعر فى المجلة تنشر بدون تشكيل فتصعب قراءته .. ابدى اعجابى بمقالة الاستاذ عباس العقاد .. ومرحبا بعودة الدكتور يوسف ادريس بعد احتجابه الطويل .

حسن احمد شلبى

حياتنا المعاصرة



(● محمد زكريا محمد
تربية الزقازيق ـ مصر

اتقدم اليكم وبالتحية الطيبة والكلمة الجميلة الى مجلتكم الغراء « الدوحة » .

مجلة الدوحة مجلة جديرة بالاحترام لانها ذات موضوعات بناءه ولقد تعرفت على مجلتكم منذ فترة وعندما قرأت أول عدد وقع فى يدى كنت فى غاية الشوق لقراءتها مرات ومرات لانها تقدم موضوعات الساعة التى تحيط بعالمنا العربى الاسلامى ، وانا سعيد جدا بباب «حياتنا المعاصرة» خاصة وانني ادرس فى قسم العلوم . إننى اتقدم بالتحية الى الاستاذة الفاضلة خديجة الصدر التى تقوم بالاشراف عليه . ولكن لى رجاء أن تهتم بموضوعات الكيمياء والطبيعة ايضا لانها تهم المجتمع أثر تلوث البيئة أو صناعات معينة أومن حيث الكسوف الكلى والخسوف الجزئى على سبيل المثال . وايضا من الابواب الجذابة باب «استطلاعات» الذى يعرفنا ببلادنا العربية الشقيقة .

وفى ختام رسالتى اتوجه بالشكر الى جميع العاملين بالمجلة لما يقدمونه من جهد .

محمد زكريا محمد

شعراء وكتاب



(● احمد الحبيب محمد
الجزيرة ـ السودان

قرأت ما كتبه اديبنا الفذ الطيب صالح بعنوان « محجوب الشاعر » ولكن الموضوع كان اقل من تعطشنا الى معرفة أدب المحجوب .. فانا شديد الاعجاب بمحجوب الشاعر الذى كان من أجود شعراء زمانه وانه كان من أكثر المتحمسين للمتنبى كما جاء فى مقال الطيب صالح الذى عقد مقارنة بين الشاعرين اظهرت أوجه الشبه بينهما ولكنه لم يبين أوجه الخلاف . فمثلا المتنبى انصب معظم شعره فى المديح بينما تميز شعر المحجوب بالغزل . ونطمع أن يزيدنا الطيب صالح عن الشاعر محجوب فهو خير من يقوم بذلك .

احمد الحبيب محمد

(● سماح عبد الله فواز
سوهاج ـ مصر

قرأت باستغراب مقال الشاعر الدكتور عيسى الناعورى التى قال فيها : «الشعر اليوم ليس ابراز عضلات أو ابراز براعة فى صياغة الكلام الموزون المقفى او السائب الذى لا وزن له ولا موسيقى » ، وادهشنى أن يصدر مثل هذا الكلام من شاعر كبير يعرف تماما ما هو الوزن وماهى الموسيقى .. ان الشعر الحديث يجعل الشاعر يتعامل مع بحور الشعر ويستخدم مجزوء البحر الواحد استخداما فنيا ودونما حاجة الى الالتزام بالبحر الكامل

سماح فواز

الدوحة

العدد القادم

تشاد بين ماضيها المجيد وحاضرها الدامى

بقلم د. حسن عيسى عبد الظاهر

الإسلام وقضايا العصر

بقلم احمد بهجت

الخواء الروحى فى العالم يزداد حدة

بقلم محمد فتحى

ماذا تقدم القصص للأطفال؟

بقلم يعقوب الشارونى

الأدب العربى فى مواجهة التحديات

بقلم محمد الجندى

من الرباط إلى مراكش البعيدة عن الزمان والمكان

بقلم جمال الغيطانى

كذبة قاضى إشبيلية البيضاء

بقلم محمد المنسى قنديل

العالم العربي

(● المحمد الوسمى
حلب ـ سوريا

المبادرات كثيرة لاسقاط لغة الضاد ، وخاصة فى هذا العصر. لماذا ؟ لا ندرى ، ولكن لنستعرض هذه الموجة العارمة من الدعوات الكاذبة ، والتى لا تخدم بحقيقتها إلا العدو .

إن كمال اتاتورك رائد النهضة كما يقال حول كتابة اللغة التركية ـ والتى تعتبر تجميع لغات ـ من الأحرف العربية الى الاحرف اللاتينية . لماذا؟ بحجة النهضة واى نهضة هذه.؟ وهذا الافتراء بعينه ، والحقيقة ليست للنهضة ، بل كرها بالعرب ، والمسلمين أيضاً ، فهو الذى فضل أن يكون ذيلا لأوربا على أن يكون خليفة للمسلمين ! كمال ، هذا ، لا يعرف إلا أن يكون ذليلا للغرب .

وكما هو ، يخرج البعض عندنا ويقولون : لنكتب بالأحرف اللاتينية فلنسال هؤلاء : هل رايتم نهضة اتاتورك ماذا فعلت بتركيا ؟ انظروا إنها مائة حزب ، وكل يشير نحوه' أهذه نهضة ؟!

ثم إن الاحرف العربية فن ... نعم فن رائع ، وهناك الخط العربى شاهد على هذا ، والنهضة لا تكون فى ناحية بل فى جميع النواحى ، حتى ، ونحن نملك هذا الفن الرائع ! ولولا الخجل لاستعمل الغرب الحروف العربية ، كما سرق الارقام العربية ، وصفرها المدور شاهد ! .

وهناك دعوة ثانية ، مشبوهة ، وقد قدمها الدكتور احسان حقى فى احدى المجلات فى مقال تحت عنوان : « إعادة النظر فى الحروف العربية » حيث بعد الرد على الداعين للكتابة بالأحرف اللاتينية ، يدعونا لما هو اعظم .. لقد دعا لاعادة النظر بالاحرف العربية لتلائم العصر ، نزيد البعد ، ونحذف البعض .. !!!

لم نفعل ذلك ياحضرة ؟

عندما كان العرب اسياد العالم ، علماً وأدباً ، لم يخرج احد الغربيين ويطالب باضافة حرف للأحرف اللاتينية !

هناك كثير من اللغات لا تملك أحرف مثل : خ ، ذ ، ث ...

وبعضها الآخر لا يملك : ج ، ز ، ق ...

فهل سمعت شكوى إحدى اللغات من ضعف بحروفها ؟!

ولنقل ـ جدلا ـ ان اللغة العربية ضعيفة الأحرف وقليلتها فتعال يدى بيدك لاضافة حرف . ولكن رويدك . هل تذكر حكاية المعرى ؟ عندما قال:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه .
لآت بما لم تستطعه الأوائل !

لم يكن ينتظر أن يخرج عليه طفل ليقول له :

لقد أتى اسلافنا بثمانية وعشرين حرفا ، فهل لك أن تزيدها حرفا ؟ . المعرى ، وهو أبو العلاءلم يستطع الرد على ذلك ! فهل نحن اقدر من المعرى على الابتكار ؟.

هذه دعوة ـ وللأسف ـ تافهة ، لذلك لم يلق لها احد بالا ..

وتتواصل حلقة المحاولات ، حتى تصل الى الذين يدعون للكتابة باللهجة العامية فى بلاد الشام . هذه التى خرجت من بؤرة لا تؤاخذ عليها . تسود فيها الافكار الغربية والتى لا تريد إلا الدمار لكل ما هو عربى .

محمد الوسمى

(● عبد الجواد الحجاجى
الاقصر ـ مصر

طالعتنا مجلة الدوحة فى العدد (٥٢) فى زاوية الرأى بمقال للدكتور محمد جابر الأنصارى بعنوان «تشريح الحضارة الغربية» ويذكر الكاتب « ان الحضارة الغربية ظاهرة لا يمكن تجاهلها ولابد من مواجهتها وفهمها وغربلتها واستيعابها نقديا وتحليليا لنقرر ما نختار منها وما نتفهم » وأود أن أخص بالتعليق العنصر الذى قرر أن لا مناص من اقتباسه :

ان العالم حتى الآن بكل تباين نظمه السياسية لم يستطع الوصول الى العدل الاجتماعى الذى تحقق ايام الخليفة عمر بن الخطاب .. وإذا رجعنا الى تراثنا وحضارتنا الاسلامية لوجدنا علماء روادا فى العلوم الطبيعية لا سبيل الى حصرهم كذلك فى التخطيط والادارة والاقتصاد ولا أحد ينكر حتى فى الغرب فضل علماء المسلمين الأوائل على العلم والحضارة الغربية .. لست سلفيا محضا ولا أنكر على الحضارة الغربية مالها من جوانب عظيمة .

عبد الجواد عبد الفتاح الحجاجى

محمد شريف بشير
الابيض ـ السودان

اسمحوا لى بالتعقيب على ماجاء فى مقال عناصر الحضارة الغربية للدكتور محمد جابر الانصارى .

يرى الكاتب أن « هناك جوانب لا مناص من اقتباسها من الحضارة الغربية مثل التكنولوجيا وطرق الادارة ... »

ودعوة الكاتب للأخذ بالتكنولوجيا قد تكون أكثر غموضا بل وتثير الشك حولها .. لأن التكنولوجيا التى دخلت بلادنا حملت معها مفاهيم علم وصناعة وقيم وعادات وأفكار الغرب ، وكيفت سلوكنا وحياتنا وثقافتنا وعاداتنا حتى يمكنها السيطرة علينا فى كل مجال .. ولذا علينا أن نحدد ما نقتبس من التكنولوجيا ونخضعه لمفاهيمنا ونظرتنا الاسلامية للحياة فناخذ ما يرفعنا علما وصناعة ، ونهمل الجوانب المحايدة التى ارى اننا فى غنى عنها بموروثاتنا الاسلامية ..

محمد شريف بشير

(● عبد المجيد بيطار
سوريا

طالعت فى العدد (٥٢) فى «زاوية الرأى» للدكتور محمد جابر الانصارى مقالا بعنوان « تشريح الحضارة الغربية » .

وانى أقول : إن الحضارة الاسلامية تعد من ارقى الحضارات فى العالم ، وقد خرجت مفكرين وعباقرة تدرس كتبهم فى جامعات اوربا حتى الآن .. إن الأمة العربية تملك خبراء فى جميع المجالات من ذرة وكيمياء وعلوم طبيعية وهندسة .. الخ .. ولو سألت عنهم لوجدتهم فى أمريكا وأوربا الغربية وان مختبراتها وجامعاتها يدرس فيها هؤلاء الخبراء العرب . واعتقد ان استعادة هؤلاء الخبراء وإفساح المجال لهم كفيل بأن نلحق بعصر التكنولوجيا الايجابى .. أما الجانب المحايد الذى تكلم عنه المقال فقد أضر بنا كعرب ومسلمين كثيرا فمعرفتنا بعاداتهم وتقاليدهم ادخلت الى عقولنا أفكارا دخيلة فاسدة يجب ان نقاطعها ، فهى عوامل هدم فى حضارتنا .

عبد المجيد بيطار



يوسف سليمان
أميون الكورة ـ لبنان

اذا لاحظنا أجهزة الاعلام الصهيونى وبعض وسائل الاعلام العربى وجدنا ان الانسان العربى اصبح هو المستهدف . إذ لابد لتحطيم وجدانه القوى من تسريب اليأس إليه . كما أنه لابد من تغيير مناهج تفكيره : فيحجب عنه الفكر القومى والرموز القومية ويزيف له التاريخ حتى تبدو هذه الأمة وكأنها لم تنجب إلا الشر والخيبة وهذا خلاف الجدل القائم بين النظريات والآراء المتضاربة حول القومية العربية التى نؤمن بها ايمانا رومانسيا لم يخضع للعقل والعلم فاذا بنا نعيش عمليا وسلوكيا واقعا قبليا أو طائفيا أو قوميا ضيقا .

وفيما تشتد حدة الخلافات نجد انفسنا على مفترق طرق وامام تحديات وخيارات صعبة وهامة لأنها مصيرية ، فاما أن نقبل الذل والهوان ، فتحل بنا لعنة التاريخ . وإما أن نقسم ذلك القسم المقدس أن نعمل على استعادة حقنا واحياء امجادنا التى لا نكف عن التغنى بها.

وأمام هذا التحدى هل يبقى هناك متسع من الوقت امامنا للمزيد من إثارة المناقشات وتبادل الخطب بينما مقدساتنا الكبرى على قاب قوسين أو ادنى فى التقويض والمحو من الوجود وبينما اخواننا فى الأرض المحتلة وفى جنوب لبنان يشردون من ديارهم وسائر الشعوب العربية تنتظر فى العاجل والآجل مثل هذا المصير على يد الصهاينة وحلفائهم . فماذا ينتظر العرب وفى حوذتهم الكثرة البشرية والمواقع الاستراتيجية الهامة والمصادر الاقتصادية الحيوية ..؟

وكفانا خداعا لأنفسنا ولنبادر الى معالجة امراضنا وتغيير ما بانفسنا قبل أن نقيض على هزيمة من نوع جديد !

يوسف سليمان

استطلاعات



(● عبد الغفار خير الله
الدمازين ـ السودان

حينما قرات ما كتبه كمال سعد بعنوان (باريس وجه لا يعرف التجاعيد) تذكرت على الفور حياة الوافدين فى هذه المدينة ، وتمنيت أن أكون واحدا منهم حتى انعم بما فى المدينة من متع ذهنية وفكرية .. فبدون شك نحن نعرف أن باريس مهد الحضارة والعلم ، ملأت الحياة الانسانية بالثراء الفكرى والانسانى وتركت بصمات ستظل باقية مابقى الانسان فى كافة مجالات الحياة

عبد الغفار خير الله

(● محمد مدحت عبد الحميد
الاسكندرية ـ مصـر

تحية وتقدير للاستاذ نبيل خالد الأغا على تحقيقاته الأخيرة عن المدن الفلسطينية لما تميزت به من شمول ومعاصرة للأحداث مما يجعلها تفوق البحوث والدراسات التى تتناول القضية الفلسطينية حيث تتناول المدن وأهلها جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا مما يقربها الى نفوسنا وعقولنا .. مع رجاء بمواصلة الكتابة بنفس الوضوح والشمولية ..

محمد مدحت محمد عبد الحميد

(● سعيد لحسن
الرباط ـ المغـرب

جاء فى مقال لجمال الغيطانى عن مدينة فاس والذى نشر بالعدد (٥٢) أن « الحريرة » المغربية تصنع من الدقيق واللبن .. إلا أن هذا الصنف من الطعام فى الحقيقة لا يدخل فى صنعه اللبن ..

سعيد لحسن

مسابقة تصميم شعار مؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية

تهيب السكرتارية المؤقتة لمؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية بجميع الفنانين الخليجيين ، وكل من يانس في نفسه الكفاءة الفنية من بين مواطني دول الخليج العربية للاشتراك في مسابقة شعار مناسب يصلح للاستعمال في كافة الاوراق والاغراض والمناسبات المتعلقة بالمؤتمر ٠

ستتولى لجنة تحكيم مكونة من كبار المختصين في النظر في التصاميم المقدمة لاختيار التصميم الفائز من بينها ٠

سيتم تخصيص جوائز قيمة لافضل ثلاثة تصاميم مقدمة :

- الجائزة الاولى ٢٠ر٠٠٠ ريال قطري
- الجائزة الثانية ١٥ر٠٠٠ ريال قطري
- الجائزة الثالثة ١٠ر٠٠٠ ريال قطري

الشروط والمواصفات :

- يفضل في تصميم الشعار استخدام الاشكال والرموز المبسطة التي تعبر بكل وضوح عن روح التعاون والتضامن الاعلامي الوثيق الذي يربط بين دول الخليج العربية ٠
- يمكن ادراج عبارة « مؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية » في تصميم الشعار ٠
- يمكن استعمال الالوان في تصميم الشعار ولكن بشرط ان لا تزيد في مجموعها عن ثلاثة ألوان أساسية الى جانب اللون الاسود ٠
- يرسم الشعار المقترح بالالوان المختارة بحجم مكبر على ورق مقاس ٤٠ × ٤٠ سم ٠
- يتوجب على كل مشترك ان يرفق مع الرسم الملون للشعار ، حجما مصغرا من التصميم المقترح بالاسود والابيض وبمقاس يصلح لترويسة أوراق المكتبات والمغلفات وغيرها ، ويجوز اجراء التصغير عن طريق التصوير الفوتوغرافي (اسود وأبيض) ٠
- يجوز لأكثر من شخص الاشتراك في اعداد وتقديم تصميم موحد ٠
- يجوز لأي شخص أو أي جماعة متعاونة أن تتقدم بأكثر من تصميم واحد ٠
- ترسل التصاميم المقترحة باسم السيد/شاهين عبد الرحمن الكواري ، رئيس مكتب السكرتارية المؤقتة لمؤتمر وزراء الاعلام في دول الخليج العربية ، وزارة الاعلام ، ص٠ ب ١٨٣٦ الدوحة ٠
- يشترط أن تصل التصاميم الى مكتب السكرتارية في موعد اقصاه ١٤٠٠/٩/٣ هـ الموافق ١٩٨٠/٧/١٥ م ولن ينظر في أية تصاميم ترد بعد هذا التاريخ ٠

حول الحب والعقاب

الحب هو القانون !



● موسى الطاهر محمود
أم سعيد ـ قطر

في الورقة الاخيرة من مجلة الدوحة قرات قضية بحثها المحامى مصباح الغفرى عن موضوع الجريمة والعقاب ، وقد ذكر فى مستهل بحثه ان الجريمة تقع نتاج افراز اجتماعى ودعا بصورة أو باخرى الى غرس الحب فى النفس البشرية حتى لاتكون هناك جريمة ، وتحقيقا لما قاله الكاتب أود ان أقول ان الحب ـ فعلا ـ يمنع وقوع الجريمة لا العقاب ، فلو استطعنا أن نلمس الجانب الروحى فى عمق كل فرد من افراد مجتمعنا حتى نجعله يحس بالانسان داخله ، حينها نكون قد ايقظنا الحب داخله ، لأن الحب كامن فى اعماق كل انسان . ولكن المجتمع هو الذى يحول هذه الطاقة الانسانية الى جريمة والجريمة غير موجودة أساسا باعماقنا ، مادام هناك حب يكمن فى الاغوار الانسانية ، فلا يمكن أن يتعايش الحب والجريمة فى عمق واحد .

واننا اليوم نريد مجتمعا نادى به الاستاذ المحامى مصباح ، المجتمع الذى يبنى على الحب ، ومثل هذا المجتمع لم يولد إلا على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما غرس الحب فى اصحابه ولمس فيهم الجانب الروحى ، وحرك الانسان فى داخلهم ، حينما سموا على الصغائر ونبذوا الحساسيات ، وتعففوا عن الماديات . وكان الحب فى اسمى معانيه شغل نفوسهم وقانون مجتمعاتهم والمثل الذى اردت أن اسوقه فى مستهل هذا الكلام هو هذا المجتمع الفاضل الذى جاء قاضيه أبان خلافة عمر رضى الله عنه اليه شاكيا بانه يجلس فى محكمته بلا قضايا ، وقد مر عليه عامان على هذا الشكل ، اليس هذا هو المجتمع الذى ينادى به الاستاذ المحامى ولو أن خلفاء المسلمين نهجوا بمجتمعاتهم منهج هذا المجتمع ، لما كان اليوم على مجتمعاتنا الاسلامية قضاه أو محامون ، ولما وجدنا ذلك الكتاب الذى اشار اليه الاستاذ ، ولما ذرف اجدادنا دموعا وترحموا على اجدادهم لأن قصة المحامين والقضاة والجريمة والعقاب والكتاب تكون نسيا منسيا لا وجود لهم فى المجتمع الاسلامى باثره ومن كل قلوبنا نقول للاستاذ المحامى زدنا من هذا البحث واغرس فينا افرادا ومجتمعا الحب والمعنى الروحى .

موسى الطاهر محمود

● رضا عبد الجواد سلامة
القلج البلد ـ مصر

فى العدد (٥٢) من مجلة الدوحة وعلى الورقة الأخيرة بعنوان « من جديد حول الحب والعقاب» تحدث كاتب المقال عن فشل العقاب فى الحد من الجرائم .. وان الحل للقضاء على الجريمة هو الحب و(أن ندخل عصر الانسان الانسان . فيجب أن نبحث عن القبس الخير الموجود فى اعماق كل انسان وان نحول هذه الجمرة الخافتة تحت الرماد الى لهيب يضىء آفاق السماء) واقول لكى نحد من تزايد الجرائم علينا ان نسارع بالعودة الى التراث الخالد والتمسك بالدين الحنيف والسير فى ضوء المصباح الالهى .

رضا عبد الجواد سلامة

سينما وفنون

● دكتور سامى عزيز
القاهرة ـ مصر

احب أن اشير الى مقال الاستاذ الفنان جمال قطب المنشور فى العدد (٥٢) ابريل بعنوان «السجاد الاسلامى لمسة فنية جميلة» الذى اعجبنى كثيرا .. لما تضمنه من تحليل وإظهار أثر العوامل السياسية والاجتماعية على هذا الفن وتجميل ذلك كله بعرض نماذج قيمة لهذا السجاد ..

نأمل أن نجد بابا ثانيا فى مجلتنا الدوحة عن مختلف فروع الفن العربى والاسلامى .

د. سامى عزيز



عبد المطلب على آدم
مصلحة الاحصاء ـ الخرطوم

كثير من اللوحات المنشورة على صفحات مجلتكم ، تصلح لأن تكون لوحات تزين جدران مسكن كل قارىء او مكتبته ، نظرا لما تثيره فى الوجدان من مشاعر جميلة حقا ، ولسموها بالخيال الى مراتب عالية من المتع الذهنية ، ولهذا فاننى اقترح على المجلة أن تستفتى قراءها فى اختيار أحسن لوحة تقدمها كهدية فى حجم كبير كل ستة شهور ، وبشرط أن تكون اللوحة ملصقة فى المجلة بطريقة يسهل على القارىء نزعها ، خوفا من أن يقوم اصحاب محلات بيع المجلات بنزعها وبيعها بمفردها .. فما رأى المجلة ؟

اننى اريد بذلك أن اجعل هدية مجلة الدوحة ذات فائدة عظيمة للقراء ، لا تقل بأى حال من الاحوال عن الفائدة التى نجنيها من المسابقة التى تقدمها مجلتكم ، والتى تجعلنا نسترجع المعلومات السابقة ، ونعود الى بعض المراجع الى ترسيخ المعلومات فى أذهاننا وتحقيق هدف المجله فى نشر الوعى الثقافى .

عبد المطلب آدم



بصدور هذا العدد يكون الأخ الزميل الدكتور محمد جابر الانصاري قد استلم عمله الثقافي الصحفي الجديد في باريس مدينة النور .. ونحن اذ نودعه باسمكم وباسم أسرة التحرير نتمنى له السعادة والاستقرار والتوفيق في حياته الجديدة مؤملين ان يواصل لقاءه بقراء الدوحة في بابه الذي نرجو الا يختفي عن القراء طويلا .

● شيش جمال
البليدة ـ الجزائر

لاحظت من قراءتى لمقالات السينما التى يكتبها رءوف توفيق أنه يقتصر على تحليل موضوعات السينما العالمية .. فلماذا لا يقدم لنا تحليلات عن سينما الخليج العربى اننا هنا فى الجزائر لا نعرف عن انتاج منطقة الخليج السينمائى أى شىء ، باستثناء الفيلم الكويتى «بس يابحر» .

شيش جمال



ابتداء
من
العدد
القادم
القراء على موعد مع :

شهريات الخليج

مجلة داخل الدوحة

شهريات الخليج .. نافذة على نشاط الفكر في منطقة الخليج على صفحاتها تلتقي صفوة الأقلام الخليجية والأقلام المهتمة بشئون الخليج في الثقافة والفنون والعلوم والاقتصاد والأدب والتراث والدوحة تهيب بالكتاب والفنانين التشكيليين ورجال الفكر والأدباء المساهمة في تحرير هذا الباب وتهيب الدوحة بدور النشر والجمعيات الأدبية والهيئات الثقافية الرسمية وغير الرسمية المهتمة بشئون الثقافة والفكر الخليجي أن يطلعوها على أوجه نشاطهم ودورياتهم للإضاءة عليها

د. يوسف القرضاوى

الرسول والعلم التجريبى

- العلم فى الإسلام يشمل مجالات تقصر عن الدلالة عليها كلمة "العلم" بمفهومها الغربى
- كان النبى (ص) أول من مجّد القلم وعمل على إشاعة الكتابة ومحو الأمية بين أتباعه
- الإسلام لم يمنع من تعلم لغات الآخرين .. بل دعا إليها وسيلة لنشر الدعوة فى العالم

العلم الذى دعا اليه الاسلام ، وحث عليه القران والسنة : هو كل معرفة مستندة الى استدلال .. ولهذا لايعد علماء المسلمين التقليد علما ، لانه اتباع لقول الغير بلا حجة .

وعلى هذا يشمل العلم فى الاسلام مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة «العلم» بمفهومها الغربى الحديث .

فيشمل العلم مجال «ماوراء الطبيعة» مما جاء به الوحى ، فكشف به عن حقائق الوجود الكبرى ، واجاب به عن الأسئلة الخالدة التى حيرت الانسان منذ فكر وتفلسف وهى : من اين ؟ والى اين ؟ ولم ؟

وبالجواب عن هذه الاسئلة عرف الانسان مبداه ومصيره ورسالته ، عرف نفسه وعرف ربه واطمأن الى غايته .

وهذا أولى ما يطلق عليه لفظ «العلم» بل هو كما يسميه ابن عبدالبر «العلم الأعلى» ويشمل العلم مجال (الانسان) وما يتعلق به من دراسات ، تبحث عن جوانب حياته وعلاقاته المكانية والزمانية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وغير ذلك مما تهتم به العلوم الانسانية والاجتماعية .

ويشمل العلم مجال (الماديات) المثبوتة فى الكون علوية وسفلية ، وهى تتضمن علوم الطبيعة والكيمياء والاحياء والفلك والطب والهندسة وغيرها ، مما يقوم على الملاحظة والتجربة .

وهذا المعنى او هذا المجال ، هو الذى يقف عنده الغربيون اليوم ، لايجاوزونه اذا تحدثوا عن «العلم» .. لأنه وحده الذى يخضع للاختبار والقياس و وتحكم عليه المشاهدة والتجربة ، ويمكن ادخاله «المعمل» أو «المختبر» .

تكوين العقلية العلمية

واقول ، إن الاسلام لا يقف عقبة فى سبيل هذا النوع من « العلم » الذى تعتبر المادة موضوعا له ، ولا يعده مقابلا للايمان ، أو معاديا له ، كما اعتبرت ذلك اديان اخرى فى مراحل تاريخية معينة .

بل اقول بكل صراحة واعتزاز : ان القران والسنة قد هيئا ـ بمفاهيمهما ـ المناخ النفسى والعقلى الذى ينبت فيه هذا العلم ، بحيث ترسخ اصوله ، وتمتد فروعه ، ويؤتى اكله باذن ربه .

ومن هذه التعاليم تكوين العقلية العلمية .

فهناك عقلية عامة او خرافية تصدق غالبا كل ما يقال لها ، وتقبل كل ما يلقى اليها ، وخصوصا إذا جاء ممن تعظمه من الآباء والكبراء ، وتنقاد لما عليه جمهور الناس صوابا كان او خطئا ، لا تمتحن افكارها ، ولا تخضع معلوماتها لمناقشة او اختبار شعارها : « هذا ما وجدنا عليه اباءنا » او «نحن مع الناس» احسنوا او أساؤوا .

وفى مقابل هذا اللون توجد «العقلية العلمية الموضوعية» التى لا تقبل نتائج بغير مقدمات ولا تخضع إلا للحجة والبرهان ، ولا تحكم العواطف والظنون فى مقام يطلب فيه اليقين المجرد والعلم المحقق . وقد وضح القران والسنة المعالم الأساسية التى تقوم عليها هذه العقلية العلمية ، ونستطيع ان نوجزها فى اشارات مقتضبة :

(أولا) : الا تقبل دعوى بغير دليل مهما يكن قائلها ، والدليل هو : البرهان النظرى فى العقليات « «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .. والمشاهدة او التجربة فى الحسيات «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ، أشهدوا خلقهم ؟ . وصحة الرواية وتوثيقها فى النقليات « إيتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » .

(ثانيا) : رفض الظن فى كل موضوع يطلب فيه اليقين الجازم ، والعلم الواثق ـ ولذا رد القران مزاعم المشركين فى الهتهم بقوله « ومالهم به من علم ان يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

ورد مزاعم اليهود والنصارى فى صلب المسيح فقال «مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا » :

وجاء فى الحديث الصحيح عن ابى هريرة : «اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » .

(ثالثا) : رفض العواطف والاهواء والاعتبارات الشخصية حيث يطلب الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الاشياء وقوانين حيث يطلب الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الاشياء وقوانين الوجود ، ايا كانت نتائجها . يقول القران منكرا على المشركين : « ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس » .وقال فى خطاب داود: «فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلل عن سبيل الله » . وفى خطاب الرسول (ص) « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون



اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هوى من الله ؟

(رابعا) : التمرد على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين ، سواء كانوا من الاباء والاجداد ، أم من السادة والكبراء ، أم من العامة والجماهير . وفى القران انكار شديد على الذين يقولون «بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا . او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وفى القران كذلك نعى شديد على موقف الاتباع الذين اطاعوا سادتهم وكبراءهم فاضلوهم السبيل ، وبيان تبروءهم يوم القيامة ، وتحميل الفريقين تبعة ماهم فيه من ضلال قال : «لكل ضعف ولكن لا تعلمون » .وفى الحديث ايضا تحذير من اتباع الجمهور وان كانوا على خطا ، وادانة لعقلية من يرضى لنفسه أن يكون تابعاً وقد خلقه الله سيدا «لايكن أحدكم امعة» يقول : أنا مع الناس ، ان احسنوا احسنت ، وإن أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا انفسكم أن احسن الناس أن تحسنوا ، وان أساؤوا ألا تظلموا «رواه الترمزى» وهذا الموقف الاخلاقى الذى يتميز باستقلال الشخصية فى السلوك ، يدعو الى مثله فى الفكر ايضاً .

(خامسا) : الاهتمام بالنظر والتفكير والتامل فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . وفى الانسان نفسه فهو عالم وحده « وفى انفسكم افلا تبصرون » وفى سير التاريخ البشرى ومصابر الامم وسنن الله فى الاجتماع الانسانى « قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ».

محاربة الأمية

ومن هذه التعاليم التى تهيىء تربة المجتمع لظهور التفكير العلمى : نشر التعليم ، ومطاردة الأمية . ولهذا حرص النبى (ص) على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب حتى كانوا يعرفون بين الأمم بـ «الأميين» . وهكذا سماهم القرآن « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » ، وقال عليه الصلاة والسلام معبرا عن الواقع القائم حينذاك « نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب » .

والرائع هنا أن هذا النبى الامى فى هذه الامة الأمية . كان أول من مجد «القلم» وعمل على اشاعة الكتابة ، ومحو الأمية بين اتباعه ، بكل سبيل .

ولا غرو ، فان أول آيات انزلت عليه من ربه ، تضمنت التنويه بالقراءة والقلم والتعليم « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » وثانى سورة نزلت عليه من القرآن العظيم سميت «القلم» وفى مطلعها اقسم الله بهذه الاداة الصغيرة فى حجمها ، الكبيرة فى اثرها «القلم»فقال « ن والقلم وما يسطرون » وحينما اتيحت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرصة لتعليم بعض المسلمين الكتابة لم يدعها تفوت دون أن يستفيد منها وذلك فى غزوة بدر ، حيث كان بعض اسرى قريش ممن يعرفون الكتابة ، فجعل فداء الواحد منهم من اسره ، أن يعلم عشرة من ابناء المسلمين الكتابة

وذكر ابن سعد فى طبقاته عن عامر الشعبى قال : أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين اسيرا ، وكان يفادى منهم على قدر اموالهم ، وكان اهل مكة يكتبون واهل المدينة لا يكتبون . فمن لم يكن له فداء دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه .

وذكر أن زيد بن ثابت ـ احد كتاب الوحى ـ كان ممن علمه اسرى قريش . ومعنى هذا أن خطة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على مجرد «فك الخط» كما يقولون بل لابد من درجة «الحذق» والاتقان ، حتى لا ينسى ويرتد الى الأمية من جديد .

ولم يمنع النبى صلى الله عليه وسلم اختلاف الدين أن يأخذ من المشركين خير ما عندهم ، ولا سيما أن مجرد تعلم الكتابة لا يحمل ـ فى العادة ـ فكرا ولا ثقافة ، ولا يتلون بلون المعلم

ولم يقف حث النبى صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة عند الرجال فقط بل شمل النساء أيضا وقد علمت الشفاء بنت عبد الله ام المؤمنين حفصة بنت عمر الكتابة .

تعلم اللغات

ومن التعاليم المهيئة لايجاد مناخ علمى : تعلم لغات الآخرين عند الحاجة اليها . وخصوصا إذا كان عندهم علم يقتبس ، او اثر يحتذى ، فلا سبيل الى الاقتناع بما عند غيرك إذا جهلت لغته . ولم يمنع الاسلام من تعلم لغة الآخرين ، بل دعا إليها باعتباره وسيلة لنشر دعوته فى العالم . وذلك أن رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسالة عالمية ، فهو ـ وان كان عربيا

الرسول والعلم التجريبى

والكتاب المنزل عليه عربى ، وقد ارسله الله بلسان قومه ليبين لهم ـ قد بعث للناس كافة «ليكون للعالمين نذيرا» وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » «قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » .

فلابد من تراجمة بينه وبين ارباب اللغات الاخرى ، حتى يمكنة تبليغ الدعوة اليهم ، وتلقى الاجابة منهم ، وقد كان عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اصحابه من يعرف الفارسية والروسية والرومية والحبشية ، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها ، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السريانية التى يكتب بها يهود ، فامر بذلك كاتب وحيه الانصارى النابغة زيد بن ثابت ـرضى الله عنه ـ ليتقنها قراءة وكتابة ويستغنى بها عن الوسطاء من اليهود فى ذلك .

قال زيد : امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال : انى والله ما آمن يهود على كتابى ، فما مر لى نصف شهر حتى تعلمته وحذقته ، فكنت اكتب له اليهم ، واقرا له كتبهم ولعله كان على شيء من المعرفة بها من قبل حتى امكنه ان يحذقها فى هذه المدة القصيرة . ومن هنا حرص كثيرا من المسلمين على معرفة اللغات ، فترجموا منها وإليها ، وقال فى ذلك الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه .
فتلك له عند الملمات اعوان .
فاقبل على دروس اللغات وحفظها .
فكل لسان فى الحقيقة إنسان

الاسلام والاحصاء

وإذا كان عصرنا يعتبر استخدام اسلوب الاحصاء من ابرز دلائل الطريقة العلمية فى معالجة الامور ، وهو فارق مميز بين العلميين والعشوائيين او الغوغائيين من الناس فان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد بادر الى الانتقاع بالاحصاء منذ عهد مبكر من اقامة دولته بالمدينة .

فقد روى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احصوا لى : كم يلفظ الاسلام .

وفى رواية للبخارى انه قال : اكتبوا لي من يلفظ بالاسلام من الناس . قال حذيفة فكتبنا له الفا وخمسمائة رجل .

فهو احصاء كتابى يراد تدوينه وتثبيته ، وذلك ليعرف عليه الصلاة والسلام مقدار القوة البشرية الضاربة التى يستطيع بها ان يواجه اعداءه المتربصين به ، ولهذا كان الاحصاء للرجال فقط ، اى القادرين على القتال .

والاحصاء الذى تم فى عهد مبكر من حياة الدولة المسلمة وتم بامر من الرسول نفسه فى سهولة ويسر ، يرينا إلى اى حد يرحب الاسلام باستخدام الوسائل العلمية .



وفى مقابل هذا نجد فى «العهد القديم» ان احد انبياء بنى اسرائيل اراد ان يعمل لهم احصاء فنزلت عقوبة سماوية بهم !! كانما «الاحصاء» يمثل تحديا للقدر او للارادة الالهية ، وهذا ما استنبط منه الفيلسوف المعاصر الشهير «برتراند راسل» ان «التوراة» والكتاب المقدس لا يتيح مناخا مناسبا لانشاء عقلية علمية .

التخطيط

وإذا كان الاحصاء من دلائل الطريقة العلمية ، فالتخطيط كذلك ، بل هو اوضح دلالة عليها ، والتخطيط انما يعتمد على الاحصاء ، ويراد بالتخطيط وضع خطة لمواجهة احتمالات المستقبل .

ومن الناس من يتصورون او يصورون الدين فى موقف المعارض او المناقض لفكرة التخطيط العلمى للمستقبل . وهذا من اثر الفكرة القديمة التى جعلت العلم مقابلا للايمان ، فهما ضدان لا يجتمعان ، او خطان متوازيان لا يلتقيان .

والحقيقة ان فكرة الدين فى جوهرها قائمة على اساس التخطيط للمستقبل . ففيه ياخذ المرء المتدين من يومه لغده ، وبعبارة اخرى : من حياته لموته ، ومن دنياه لآخرته . ولابد له من ان يخطط حياته لنفسه منهاجا يوصله الى الغاية ، وهى رضوان الله ومثوبته .

ويظن آخرون ان التخطيط للغد ينافى التوكل على الله او الايمان بقضائه وقدره . ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد ان يقبل الدين فكرة التخطيط ، فضلا عن ان يوجه اليه ، او يحث عليه .

والحق ان الذى يتعمق فى دراسة كتاب الله وسنة رسوله يتبين له انهما يرفضان الارتجال والعشوائية ، وترك الامور تجرى فى اعنتها بغير ضابط ولا رابط ولا نظام ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ان المتوكل على الله لا يعنى اطراح الاسباب او إغفال السنن ، التى اقام الله عليها هذا الوجود . ولا يكاد مسلم يجهل قصة الاعرابى الذى جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وترك ناقته امام المسجد قائلا : يارسول الله ، أاعقل ناقتى واتوكل ، ام اطلقها واتوكل ؟ فقال له : اعقلها وتوكل .

وقال الامام الطبرى يرد على من زعم ان تعاطى الاسباب يؤثر فى كمال التوكل «الحق ان من وثق بالله ، وايقن ان قضاءه عليه ماض ، لم يقدح فى توكله تعاطيه الأسباب ، اتباعا لسنته وسنة رسوله ، فقد ظاهر ـ صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وليس على راسه المغفر ، واقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة واذن فى الهجرة الى الحبشة ، والى المدينة ، وهاجر هو وتعاطى اسباب الأكل والشرب ، وادخر لاهله قوتهم ولم ينتظر ان ينزل عليه من السماء وهو كان احق الخلق ان يحصل له ذلك .

ومن قرأ سيرته عليه الصلاة والسلام ، وجد انه كان يعد لكل امر عدته ويهيىء له اسبابه ، واهبته ، اخذا حذره ، مقدرا كافة الاحتمالات ، واضعا ما امكنه من الاحتياطات ، وهو انه كان اقوى المتوكلين على الله تعالى .

فهو حين امر اصحابه ـ بعد ان اشتد ايذاء قريش لهم ـ بالهجرة الى الحبشة ، لم يكن هذا الامر اعتباطا ، او رمية من غير رام ، بل كان نتيجة معرفة بالظروف الجغرافية والدينية والسياسية للحبشة فى ذلك الوقت .

فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة ان يامرهم بالهجرة الى مكان ـ مهما بعد ـ فى شبه الجزيرة العرب ، فان قريشا ـ بما لها من نفوذ دينى وادبى ـ تستطيع ان تلاحقهم .

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا الى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم ، حيث يحكمها اباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة .

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا بعيدا الى بلاد مثل الهند والصين ، حيث تنقطع اخبارهم وتكون الهجرة مهلكة لهم .

لقد كانت الحبشة هى المكان المناسب جغرافيا ، فهو ليس جد بعيد ، ولا جد قريب ، بل بينه وبين قريش بحر .

وكانت الحبشة هى المكان المناسب دينيا ، فقد كانوا اهل كتاب من النصارى الذين يعدون اقرب مودة للمسلمين .

وكانت الحبشة هى المكان المناسب سياسيا ، فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والنصفة ، ولهذا قال الرسول لأصحابه « ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد فالحقوا ببلده حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

وهذا يدلنا على أن الرسول واصحابه لم يكونوا فى عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض

ويدل على ذلك ايضا موقفهم من حرب الفرس والروم ، وما كان من جدل بين المسلمين والمشركين فى هذا ، مما نزلت فيه أوائل سورة «الروم» غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » .

وهكذا .. فقد كانوا ـ وهم فى فجر الدعوة ورغم الضعف والاضطهاد ـ على صلة بالصراع العالمى بين الدولتين العظميين فى ذلك العصر ، أو المعسكرين الكبيرين الشرقى والغربى .

واوضح من ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم فى هجرته الى المدينة ، ففيها يتجلى التخطيط العلمى ، والتوكل الايمانى جنبا الى جنب .

ولقد اعد عليه الصلاة والسلام من جانبه كل ما يستطيع البشر اعداده من الوسائل والاحتياطات والمعينات .

لقد اطمأن الى المهجر الذى سينتقل إليه ، بعد أن بايع المؤمنين من الأوس والخزرج بيعة العقبة الاولى والثانية ، واشترط لنفسه أن يمنعوه مما يمنعون من انفسهم وذراريهم .

واطمأن الى الرفيق الذى سيصاحبه فى رحلته الجاهدة بما فيها من اخطار ، وما تحمله من مفاجآت ، ولم يكن هناك افضل من ابى بكر الصاحب الأول والمؤمن الأول ـ رفيقا .

واطمأن الى الفدائى الذى سيبيت مكانه ، معرضا نفسه لاحتمالات الخطر ، وغدرات المتربصين ، ولم يكن ثم افضل من على فارس الاسلام لهذه المهمة .

ورتب الدليل الذى يدله على الطريق وما فيه من منعطفات ومخابىء يمكن أن تضلل عنه أعين الطالبين ، فكان مشركا أمينا هو عبد الله بن أريقط .. وهو ما أخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالخبرة الفنية غير الاسلامية ، بشرط الاطمئنان والامان .

وهيا الرواحل التى سيمتطيها هو وصاحبه ودليله فى سفرهم الطويل ، واتفقوا على المكان الموعود الذى يستلقون به الركائب .

وتخير المخبأ الذى يختفى فيه أياما معدودة ، حتى تخف حدة الطلب ، ويتملك القوم اليأس ، واختاره فى غير طريق المدينة زيادة فى التعمية على القوم ، فكان غار ثور .

واعد فريق الخدمة الذى سيأتى بالزاد والانباء خلال ايام الاختفاء ، فكانت اسماء وعبد الله بن ابى بكر ، ومن بعدهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يأتى يأتى بغنمه فيحلبون منها ، ويعفى على آثار اسماء وعبد الله .

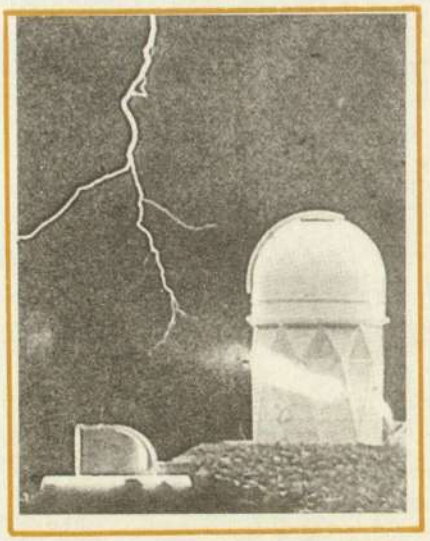
خطة محكمة الحلقات ، متقنة التدبير ، لم تترك فيها فجوة دون ان تملأ ، ولا ثغرة دون أن تسد ، ووضع فيها كل جندى فى دوره المناسب لظروفه وقدراته ، فدور ابى بكر ، غير دور على ، غير دور اسماء ، وكل فى موقعه الصحيح .

ومع هذا الاحكام الدقيق ، كادت الخطة تخفق واستطاع المشركون أن يصلوا الى الغار ، ويقفوا على بابه ، وكان يكفى لكشف الأمر وافساد الخطة ، أن ينظر احد القوم تحت قدميه ، ليرى الرسول وصاحبه فى الغار ، وهذا ما خشيه ابو بكر ، وصرح به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له كلمته المؤمنة الواثقة : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ «لاتحزن ، إن الله معنا » .

وهنا تجلى دور «المتوكل» الحق ، فبعد أن يبذل الانسان ما فى وسعه ، ويتخذ من الاسباب والخطط ما يقدر عليه ، يدع ما لايقدر عليه من مفاجآت القدر ، لله وحده وهنا تقع «إن الله معنا» موقعها ، وتؤتى أكلها .

منطق التجربة

ولعل أظهر ما يميز «العلم» بالمفهوم العصرى أو الغربى : أنه لا يقوم على المنطق الشكلى أو



الصورى أو القياسى الذى ينسب الى أرسطو ، وانما يقوم على منطق الملاحظة والتجربة ، ويخضع فى نتائجه لما تأتيان به . ولهذا يسمى «العلم التجريبى» ويسمى منهجه «المنهج التجريبى» .

وهنا ايضا نجد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ سبق الى اقرار مبدأ التجربة فى الأمور الدنيوية الفنية ، مثل أمور الزراعة والصناعة والطب وما شكلها . فما أثبتت التجربة نفعه فى هذا فهو مطلوب شرعا ، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعا .

واوضح مثال لهذا المبدأ : موقفه عليه الصلاة والسلام من قضية تابير النخل ، حيث رأى اصحابه من الانصار يفعلون ذلك ، ولم يكن له بذلك عهد ، حيث نشأ بمكة وهى واد غير ذى زرع فقال لهم كلمة من باب الظن والتخمين ، يشير بها الى ان هذا العمل لا ضرورة له . وفهم الانصار منها أنها من أمر الوحى والدين الذى لا يجوز مخالفته . فتركوا التابير ، فخرج التمر رديئا . فبين لهم : ان فى هذه الشئون الدنيوية يتكلم من واقع خبرته المحدودة لا بلسان الوحى الالهى ، وان هذه الأمور متروكة لهم فهم ادرى واعلم .

والقصة فى صحيح مسلم وغيره ، رواها عدد من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله ورافع بن خديج وعائشة وأنس رضى الله عنهم .

ففى المسند عن طلحة رضى الله عنه قال : مررت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نخل المدينة ، فرأى اقواما فى رؤوس النخل ، فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ قال يأخذون من الذكر فيحطون فى الأنثى يلقحون به فقال : ما أظن ذلك يغنى شيئا . فبلغهم ، فتركوه ونزلوا عنها ، فلم تحمل تلك السنة شيئا . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما هو ظن ظننته ، ان كان يغنى شيئا فاصنعوا ، فانما انا بشر مثلكم ، والظن يخطىء ويصيب ، ولكن ما قلت لكم : قال الله عز وجل ، فلن أكذب على اللـه .

وفى صحيح مسلم من رواية رافع بن خديج انه قال لهم : « انما انا بشر اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأى فانما انا بشر » .

وفيه من رواية عائشة وأنس : أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد أن خرج التمر شيصا ـ بسرا رديئا ـ مالنخلكم ؟! قالوا : قلت كذا وكذا . قال : «انتم أعلم بأمر دنياكم » . ومعنى هذا : أن الناس فى أمر الدنيا إنما يخضعون للمشاهدة والتجربة . فهذا هو القانون الذى يجب اتباعه . ولم ينزل الوحى ليضع للناس قواعد أو احكاما فى هذه الشئون . فهم متركون فيها لثمرات عقولهم وممارساتهم . وحسبهم هذه الكلمة الجليلة « انتم اعلم بأمر دنياكم » .

د. يوسف القرضاوى

الأزهر
عقبات في طريق تطويره

د. محمد البهي

صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشان اعادة تنظيم الازهر والهيئات التي يشملها • ونيط بي في نفس السنة بوصفي اول مدير لجامعة الازهر في عهدها الجديد بعد صدور هذا القانون : تنفيذ هذا القانون في دائرة الجامعة :

● في تصنيف الكليات ، وانشاء الجديد منها •

● وفي تحديد عدد الاساتذة في كل كلية ، حسب التخصصات فيها ، وتحديد المواصفات العلمية والمؤهلات الدراسية والانتاجية في التاليف لشغل درجات الاساتذة في الميزانية الجديدة للجامعة ، سواء بالنقل اليها من الحاصلين فعلا في الكليات التقليدية على لقب « أستاذ » •• أو عن طريق الاعلان ، أو النقل من احدى الجامعات في مصر •

● وفي التخطيط لاحتياجات الجامعة من المدرسين والاساتذة في المستقبل ، والدرجات العلمية التي يجب أن يكونوا حاصلين عليها •• وكذلك للطلاب الذين يقبلون في كلياتها سواء من المتخرجين في المعاهد الازهرية ، أو الناجحين في الثانوية العامة في وزارة التربية والتعليم •• وأخيرا في الكتاب الجامعي وما يجب أن يكون عليه من توجيه لتخريج باحث صاحب منهج علمي في بحوثه، أو لتخريج صاحب مهنة يجيد أداءها •

في تصنيف الكليات وانشاء الجديد منها : أعيدت كليات : أصول الدين والشريعة •• واللغة العربية •• وضمت اليها كليات : المعاملة والادارة والهندسة •• والصناعة •• وكلية الزراعة •• وكلية الطب •• وكلية البنات الاسلامية ، على أن تنشأ هذه الكلية الاخيرة من أقسام عديدة لتكون نواة لجامعة البنات الاسلامية في العالم الاسلامي كله • وعنيت عناية خاصة بهذه الكلية في اختيار موقعها، والمميدة التي تشرف عليها فاخترت الموقع في ضاحية المعادي ، واستأجرت لها عدة « قصور » حتى يقام لها مبنى جديد • وعينت لعمادتها سيدة فاضلة أستاذة التاريخ في كلية الآداب بالقاهرة وهي معروفة بتدينها وسلوكها المستقيم ومحافظتها على الآداب والاخلاق السامية •

هذه الكلية : كان الاقبال عليها شديدا من الاسر العريقة في مصر • ومن كبار الشخصيات في محافظات عديدة ، مما يدل على مكانة الاسلام في نفوسهم •• وعلى أن قبولهم لارسال بناتهم الى مدارس وزارة التربية والتعليم وبالأخص المشترك منها بين البنين والبنات ، هو قبول قائم على الاكراه ، وليس على الرغبة• والحكم الوطني في المجتمعات الاسلامية لم يزل حتى اليوم – تحت مشورة الاجنبي – يخشى الاسلام ومعاهده • وبالأخص المجتمع الذي يقوم فيه الازهر •

وتبعا لانشاء كلية البنات الاسلامية : تعدد انشاء المعاهد الازهرية للفتيات في أقاليم مصر • وأصبحت هذه المعاهد الرافد الاكبر لهذه الكليات • وتعددت الاقسام في هذه الكلية وتطورت حتى كادت تكون كليات داخل كلية • ففيها الآن : أقسام : الطب •• والتجارة •• والعلوم •• والصيدلة •• والشريعة• واللغة العربية •• والدراسات الاسلامية •• وغيرها ••

وابتدا الآن مسخها • فلم تعد تسمى « كلية البنات الاسلامية » وحذف منها الانتساب الى الاسلام • واصبح يطلق عليها : كلية الدراسات « الانسانية » • وهذا التحويل قصد به « فك » ارتباط التعليم فيها عن الاسلام وتوجيه النظر الى أن « الانسانيات » هي العوض عما كان يسمى بالاسلام • فهو اسم عصري !!•

وليت الامر يكون على هذا النحو في واقعه • فالدراسات الانسانية المعاصرة لا تحرص على القيم الانسانية في علاقات الناس بعضهم ببعض وفي توجيه الانسان ، كما يحرص الاسلام عليها في دعوته التي تنادي بالانتقال من طغيان المادية •• الى القيم الانسانية العليا • ومن أجل ذلك اذا كان هناك أمر يطلق عليه « انساني » فهو الاسلام وليست الدراسات الانسانية المعربة عن كتاب الماسونية • والمستشرقين •• والملحدين •

وفي تحديد الاساتذة في الكليات التقليدية التي أعيد انشاؤها في ظل قانون التطوير ، وهي كليات : أصول الدين •• والشريعة •• واللغة العربية ، خير القائمون على التدريس فيها بين البقاء في درجاتهم المالية الحالية •• أو الانتقال الى الدرجات الخاصة بكادر الاساتذة الجدد ، حسب قانون التطوير • والفرق بين الوضعين من الجانب المالي هو خمسة جنيهات شهرية في الكادر الجديد • ولكن النقل من القديم الى الجديد يتطلب

● الدراسات الإنسانية المعاصرة لا تحرص على القيم الإنسانية

● من أسباب الضعف : البقاء في دائرة المألوف .. والتكرار

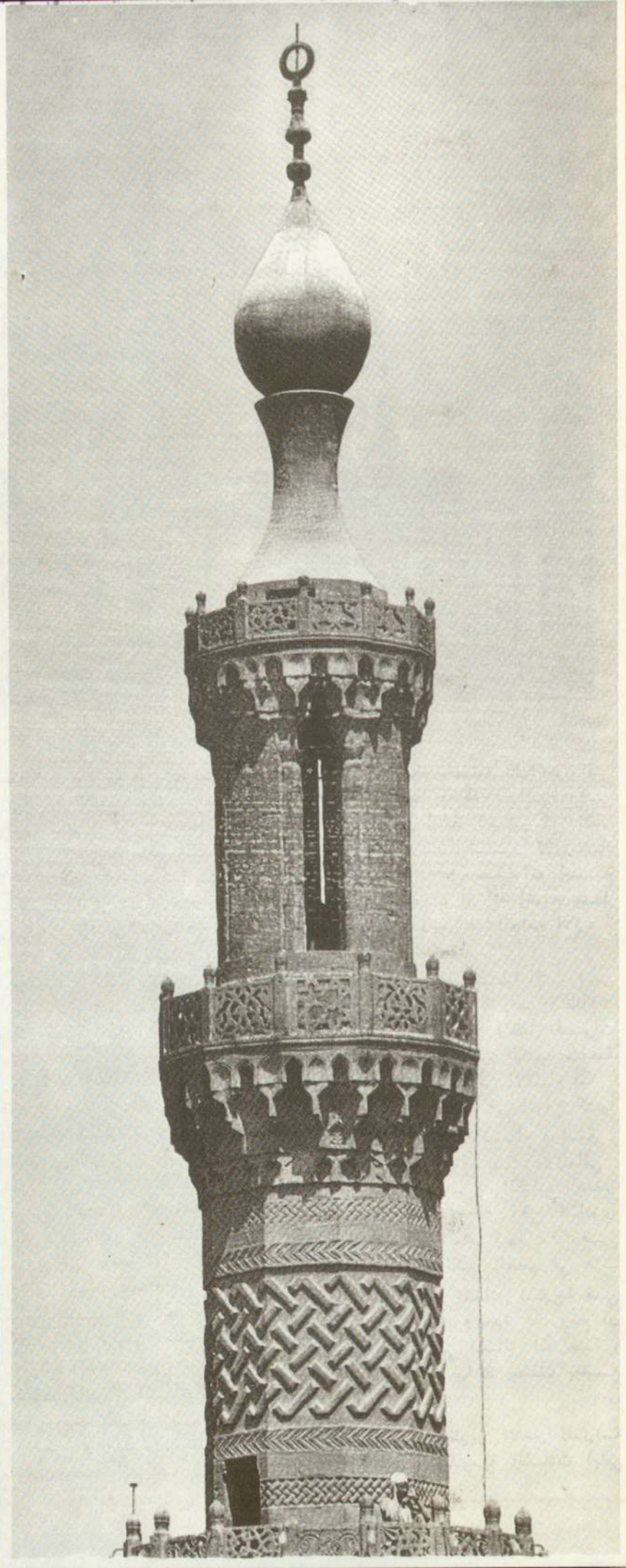
أن يكون المنتقل صاحب بحوث ومؤلفات علمية · وليست معرفته قاصرة على كتب التراث · ومن لم تكن له مؤلفات ويريد أن يؤلف ، فالجامعة تعطيه أجازة سنة دراسية يتفرغ فيها للتأليف ، ولا يشغل نفسه بالقاء محاضرات أو دروس · ولكن تحكم الرغبة « التواكلية » ·· حملت الجامعة ـ بعد أن تركتها ـ على الاخذ بالسن والقدم في الوظيفة : في النقل ، بدلا من المؤلف والبحث ، لشغل الدرجات العلمية الجديدة في الكليات الثلاث ·

واذا كانت هناك شكوى الآن من ضعف التعليم والتوجيه في هذه الكليات الثلاث بين المتخرجين فيها وفي هيئات التدريس فيها : فمرجع هذا الضعف : الى البقاء في دائرة المألوف ، في تكراره ·· وفي عدم مناقشته ·· وفي الالتزام بأقوال جاءت فيه ، كثيرا ما تذهب بالقيمة الفعلية لمباديء القرآن ، كمنهج لحياة الانسان صاحب طبيعة مركبة من حكمة وهوى ، وعقل وشهوة ··

رواسب من التقاليد

والكليات التقليدية الثلاث رغم صدور قوانين ونظم عديدة لتطويرها لم تزل الدراسة في الموضوعات المختلفة فيها على ما كانت عليه ، منذ أوائل هذا القرن العشرين · أو بعبارة أخرى : منذ أن دخل « النظام » في الازهر سنة ١٩١٠ ·

ان الدراسة في الازهر قبل « النظام » سنة ١٩١٠ كانت تعتمد



● للمادة الواحدة أكثر من أستاذ يبدأ بالكتاب الصغير وينتهي بالكتاب الكبير

● بعض الأقلام تنادي بفصل الكليات العلمية والعملية بجامعة الأزهر

على « الاستاذ » فهناك مواد دراسية وهناك كتب عديدة لمواد هذه الدراسة ، تختلف في الحجم وان لم تختلف في النوع • هناك مواد : التوحيد •• والتفسير •• والحديث • والفقه •• وأصول الفقه •• والبلاغة •• والنحو والصرف • وهذه هي المواد الرئيسية التي كانت تدرس في الازهر ، قبل « النظام » وبعد « النظام » : في ظل نظام « القسم العالي » والتخصص الذي أنشيء سنة ١٩٢٥ •• وفي ظل قانون الكليات في سنة ١٩٣٠ الذي قسم دراسة القسم العالي الى ثلاث كليات : أصول الدين •• والشريعة •• واللغة العربية •• وفي ظل قانون ١٩٣٦ الذي أبقى هذه الكليات مع تغيير نظام التخصص الى ما أسماه « بتخصص المادة » •• أو في ظل قانون التطوير ١٩٦١ الذي أجاز كذلك انشاء الكليات الثلاث ، مع الحاق كادر الاساتذة فيها بكادر الجامعات الاخرى في مصر •



الجامع الازهر بالقاهرة

ومعنى اعتماد الدراسة في الازهر قبل النظام على « الاستاذ » •• ان الاستاذ كان العمود الفقري الذي يرتبط به تدريس المادة •• والكتاب والطالب •• فللمادة الواحدة أكثر من أستاذ يبتديء كل منهم بتدريس الكتاب الصغير في الحجم الى الكتاب المتوسط في الحجم أيضا •• الى الكتاب الكبير أو الواسع في المادة ذاتها • وكبر هذا الكتاب أو سعته تتضمن الشرح على نص المتن في المادة ، والتقرير على الشرح • فالكتاب الصغير ان بقى في حدود النص للمتن •• فالكتاب المتوسط الحجم يضم الى نص المتن : شرحا له •• بينما الكتاب الكبير يضم الثلاثة أنواع : المتن ، والشرح ، والتعليق على الشرح • وجوهر الكتب الثلاثة : الصغر •• والمتوسط •• والكبير : واحد في المادة •• وفي عدد موضوعاتها • وكذلك واحد في أسلوب المعالجة والمناقشة والحجية ، وان كان في اختصار أو في تطويل •

والاستاذ اذ يبتدىء في تدريس المادة وفي الكتاب الصغير الحجم فيها •• يظل عدة سنوات قد تزيد على العشر منها في تدريس باقي الكتب حتى ينتهي منها • وعندما ينتهي من تدريسها له الحق عندئذ في أن يمنح بعض الطلاب الذين خبرهم في التلقي عليه : « اجازة » تدريسها • والطالب اذن مجاز في أن يدرس كتب المادة لطلاب آخرين ، على نمط أستاذه : باذن الاستاذ وليس باذن الادارة •

وبينما « الأجازة » في التدريس تتوقف على اذن الاستاذ ، فالطالب هو الذي يختار أستاذه ، ويختار الكتاب في المادة الذي يريد أن يدرسه مع أستاذه • فهو يختار أستاذ « التوحيد » مثلا من بين عدد من الاساتذة يقومون بتدريس التوحيد •• ويختار الكتاب الصغير ، أو المتوسط ، أو الكبير في المادة على حسب حاجته في المعرفة • والطالب عندئذ مرتبط بالاستاذ وبالكتاب ، وليس بصف معين ولا بقسم معين في الدراسة • ولا يكلف بالتزام السماع لأستاذ معين • وانما خصائص الاستاذ من : سعة الفهم ، ووضوح الحجة في المنطق ، وحسن التركيب في اللغة ، واجادة الالمام بالمادة كلها هي التي تجعل الطالب يفضله ، أستاذا في مادة •• عن أستاذ آخر في نفس المادة • وكان يقرن الاستاذ « بالعمود » : على معنى انه أصبح « صاحب عمود » أو أنه أصبح يشغل مكانا في التدريس في الجامع الازهر ، عن جدارة واستحقاق •

وعندما حول هذا النوع من التدريس الى « نظام » راعي النظام : المادة •• والكتاب • وجعل السنوات التي يستغرقها تدريس الكتب صاحبة الأحجام الثلاثة : أساس الاقسام فيه ، فقسم تدريس المادة في أنواع كتبها الثلاثة الى ثلاثة أقسام دراسية : الابتدائي •• والثانوي •• والعالي • وجعل في الابتدائي : الكتاب الصغير الحجم في المادة •• وفي الثانوي الكتاب المتوسط الحجم فيها •• وفي العالي الكتاب الكبير الحجم في ذات المادة • مع أن المسائل المدرجة في الانواع الثلاثة : واحدة •• ومع أن طبيعة النقاش في المسائل المدرجة ، وطبيعة العرض لها لا يختلف بعضه عن بعض •

حتى في التطوير الاخير للدراسة في الكليات التقليدية الثلاث أبقى

● قانون التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يطبق إيجابيا حتى اللحظة!

هذا التطوير : لنوع ثالث من الكتب وهو النوع الاخير أو الذي كان يدرس حسب حجمه في القسم العالي ، قبل انشاء الكليات سنة ١٩٣٠ او وزعه بين الكلية وتخصص المادة • والابقاء على نفس هذه الكتب والاحتفاظ بها

منذ قبل « النظام » حتى الآن : جعل لها شبه قداسة وجعل الرأي فيها لا يعارض • ومن هنا ظل معنى « التطوير » بعيدا عن الدراسة في الكليات التقليدية في الازهر • وكان ينتظر من التطوير : أن ترجع حركة التدريس لما يسمى بالمواد الرئيسية في هذه الكليات : الى كتاب الله مباشرة • وهو القرآن كما كان يطالب محمد ابن تيمية ، وكما تطالب الحركة الاصلاحية التي قادها جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده ، على أساس الرجوع الى كتاب الله والالتزام به قبل الالتزام بكتب المؤلفين وبالأخص كتب المتأخرين منهم • ومعنى ذلك : أن تناقش كتب التوحيد والاصول ، والتفسير ، والفقه ، مثلا ، وما جاء فيها من آراء مذهبية ، أو طائفية : في ضوء القرآن كمنهج لسلوك الانسان المؤمن ، واعتقاده •

واذا كان « الاستاذ » فيما قبل « النظام » في الازهر هو « المركز » الذي تدور حوله الدراسة ، ومحور اختيار الطلاب له في التلقي عليه : فان ذلك كان يدفع الى تعميق العلاقة بين الاستاذ والطالب ، وفي الوقت نفسه يحمل الطالب على التحصيل واتباع أسلوب الحجة الذي يسلكه استاذه وأستاذه عندئذ مثله الاعلى • وهذا النوع من العلاقة لم يصل اليه « النظام » ولا التطوير للازهر في يوم من الايام • فالاستاذ فيما بعد النظام : مفروض على الطالب •• والكتاب كذلك مفروض على الطالب • وقد لا يجيد الاستاذ تدريس الكتاب• وقد لا يكون الكتاب متكافئا مع من الطالب أو مع مستواه العقلي ، أو مستواه في التحصيل •

الكليات العلمية

أما الكليات غير التقليدية ، وهي



الشيخ محمد عبده



جمال الدين الافغاني

ما تسمى بالكليات العلمية أو العملية ، فاني اذكر للتاريخ : أن الاستاذ الدكتور محمد سليمان ـ كان وكيلا لمدير الجامعة ـ قام باختياره الاساتذة لها ممن لهم سمعة طيبة في تدينهم وفي سلوكهم الشخصي ، وفي مستوياتهم العلمية • فقد شغل وظيفة الامين العام للجامعات المصرية فترة مكنته من الوقوف على أحوال الاساتذة في الكليات المختلفة في مصر وبالأخص أنه كان قبل شغله لوظيفة الامين العام للجامعات ، ثم الوكالة لجامعة الازهر: أستاذا في كلية طب القصر العيني بالقاهرة وله أصدقاء ومعارف عديدون • والله يجزيه على هذا الاختيار خير الجزاء •

والطلاب الذين كانوا يقيدون في سجلات الكليات العلمية والعملية بجامعة الازهر بعد صدور قانون رقم ١٠٣ اتوا من أول الامر جميعا من المدارس الثانوية التابعة لوزارة التربية والتعليم • الى أن تخرج المعاهد الازهرية للبنين والبنات من القسم العلمي في الدراسة الثانوية الحاصلين على شهادة الثانوية • وبعد أن خرجت هذه المعاهد أصبح المتخرجون فيها أصحاب الحق الاول في القبول في كليات الجامعة العلمية والعملية • ثم قصر الآن القبول عليهم وحدهم لكثرة عددهم ، بعد أن كثر عدد المعاهد للبنين والبنات •

وكذلك الشأن مع القبول في كلية البنات الاسلامية • مع كثرة عدد معاهد الفتيات في القاهرة والمدن الكبرى والاقاليم في مصر •• وكثرة المتخرجات منها : أصبح القبول الآن في الاقسام العديدة في كلية البنات وهي كلية جامعة لكل أنواع الدراسات العالية والعليا قاصرا على الطالبات الأزهريات من الحاصلات على الشهادة الثانوية في معاهد الفتيات الأزهرية•

ولأن الدراسة في جامعة الأزهر قاصرة على الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات من الداخل والخارج وحدهن: يخشى بعض من يحقد على مصر الاسلامية من زيادة الأعداد التي تتخرج في كليات الجامعة العلمية والعملية وبذلك يختل بهذه الزيادة : النسبة القائمة حاليا بين أصحاب الدرجات العلمية في الاقلية والاكثرية المسلمة !!•• والوضع القائم قبل انشاء الكليات العلمية والعملية في جامعة الازهر كان وضعا يكاد يكون التفوق فيه واضحا في جانب الاقلية • استاذا في كلية طب القصر العيني

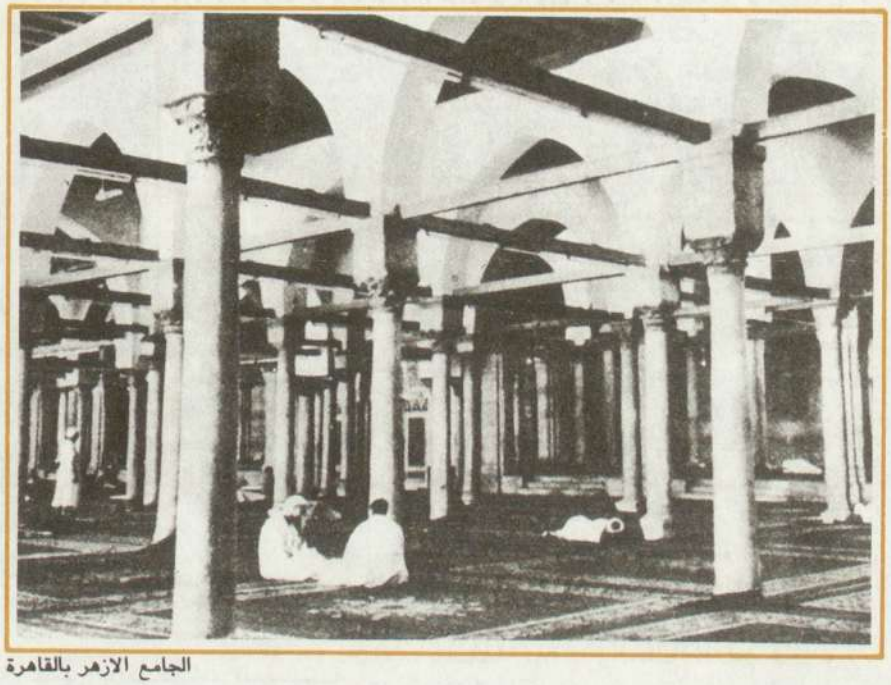
وفي الوقت الحاضر تعددت الاقلام في بعض الصحف تنادي بفصل الكليات العلمية والعملية ، بجامعة الازهر ، وجعلها في جامعة جديدة لا تحمل اسم الازهر ، حتى يقبل فيها غير المسلم والمسلم على السواء • وبهذا الفصل يتحقق ما يسمى « بتكافؤ الفرص » •

ولكن ينسى أصحاب هذه الاقلام أن تمويل الازهر بجامعته ، ومعاهده : من أوقاف المسلمين • وليس من الدولة التي ينطوي غير المسلمين تحت ولايتها الرسمية ت هذه المعاهد أصبح

وغفل كذلك هؤلاء المطالبون بفصل الكليات العلمية والعملية عن حاجة الازهر الآن : عن أن الفصل سيكون سببا في اغلاق المعاهد الازهرية للفتيات والفتيان على السواء : الاعدادية •• والثانوية • وكذلك سببا في اغلاق الاقسام العديدة في كلية البنات الاسلامية وذلك للارتباط الشديد بين هذه المعاهد من جانب والكليات الجامعة في الازهر من جانب

● هنالك ضعف مستوى الكفاية في إدارة وتصريف شئون الجامعة

● الأزهر في حاجة ماسة إلى استقلاله في التمويل وخطة التوجيه



الجامع الازهر بالقاهرة

آخر · فالكليات العلمية والعملية بجامعة الازهر أصبحت قاصرة على طلاب المعاهد الازهرية وطالباتها

فاذا اتصلت هذه الكليات أصبحت البنت المسلمة لا تجد لها مكانا الا مع الطلاب وبينهم في كلية مختلطة غريبة عن الازهر ، وعما يريده الاسلام من عدم السفور للمرأة ·

ان العقد على رسالة الازهر ·· وان الضعف لدي بعض الموجهين ·· وان الاستسلام لفتنة الصليبية الدولية : هو الذي يدفع الى ظهور فكرة « الفصل » من وقت لآخر بين الديني والعلماني في جامعة الازهر ·

عقبات في طريق التطوير

والعقبات التي تقف في طريق التطوير للأزهر اذن : متنوعة · هناك بعض الرواسب من التقاليد في منهج الدراسة في علوم الدين واللغة ·· هناك الارتباط بمنهج كتب معينة وبمؤلفين معينين في هذه العلوم ·· هناك الالتزام بأقوالهم والوقوف عندها دون الاحتكام الى كتاب الله ، وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام · ولا يمكن اجتياز هذه العقبة الا بعد فهم واضح لرسالة الاسلام ككل ·

هناك أيضا من العقبات : ضعف مستوى الكفاية في ادارة وتصريف شئون الجامعة ··· هناك من يضعف أمام تحدي بعض عمداء هذه الكليات في اتجاههم العلماني ، ان بعضهم اتجه اليه ·

الازهر في حاجة ماسة الى استقلاله في التمويل ·· استقلاله في خطة التوجيه استقلاله عن التبعية السياسية استقلاله في التعبير عن رأي الاسلام ، ودراسة الاسلام وعرضه ، والدفاع عنه ·

والاستقلال الذي أتى به قانون التطوير في أقسام الدراسات المختلفة لم يستغل استغلالا ايجابيا حتى هذه اللحظة ·· وانما استخدم في تحقيق رغبات ·· أو في تحقيق بعض المصالح الخاصة ·

د· محمد البهي

انسان كبقية الناس

● افتح ذراعي مهللا في فرح غامر لكل انسان يدفعه طموحه المشروع الى ان يحرز نجاحا بعد نجاحه ·· واشعر بالاسى الحقيقي لمن يمنحه الله رزقا وعافية لكنه يظل يطالع الناس ساخطا غير قانع لا يعرف الى الرضاء سبيلا · نعمة عظمى ان يكون الانسان شكورا يحمد الله على ما ناله ويشكره تعالى على ما يقدر له تقديرا · هناك من يواتيه الحظ الوافر لكنه لا يرضى ·ومن ترفعه الحياة فيقابل النعمة بالنكران ، ومن تمد اليه يدك بالمساعدة فيعضها في أول فرصة ·

لهؤلاء ادعو بالهداية وسماحة النفس وادعو لمن يمشي في الارض مزهوا بنفسه ان يصيبه التواضع فيجعله (انسانا) كبقية الناس يمشي على التراب واثقا بنفسه لكنه يمشي خافضا جناحيه للضعفاء باسطا يده للبائسين ومن لا يسال انسانا آخر وهو في اشد الحاجة الى كسرة من خبز جاف ·

الله والإنسان

د. عون الشريف قاسم

العبارة التى اوردها الكاتب الروسى دوستيوفسكى على لسان احدى شخصيات روايته التى تقول (اذا كان اللـه غير موجود فكل شىء مباح) تلخص فى ايجاز بديع الموقف المريح الذى توسلت به المادية الحديثة لحل قضية الصراع الابدى الدائر فى كل نفس بشرية بين نوازعها ورغباتها الحسية من جانب ، وبين دوافعها وتطلعاتها الروحية من جانب آخر .

فالمادية بالغائها لوجود الله لم تزعزع أسس العقيدة الدينية فحسب ، بل حسمت هذا الصراع الدائم لصالح النوازع والرغبات الحسية ، فتصبح بذلك مدار سعى الانسان ، فان من حرم التطلع إلى الاعلى محكوم عليه بالنظر دوما الى الاسفل . وفى ذلك حرف كبير لجهاد الانسان عن غايته ، التى هى الاقتراب ما أمكنه ذلك من صورة الكمال الانسانى التى ترشحه لخلافة اللـه على الأرض . ومدار هذا الجهاد الدائم السعى المتواصل لترقية ملكات الانسان العقلية والروحية ، وتدعيم شخصيته الخلقية ولا يتم له ذلك إلا بتغليب جوانب الخير فيه على جوانب الشر باحداث التوازن السوى بين غرائزه الفطرية التى تدفعه الى اشباع نهمه الى القوة والسلطة والمال والجنس وما إليه ، وبين الضوابط والكوابح التى تنزع به إلى التوسط فى كل ذلك ، وتدفعه إلى توجيه ما فاض من هذه الطاقات الفطرية والتسامى بها لبناء الانسان فى داخله .

بين الانسان والحيوان

وليس ذلك بالأمر الهين ، لما فيه من تضحيات جسيمة ، وحرمان ومغالبة للحيوان الشرس فى داخلنا ، بغرض تطويعه ، ليصبح الوحش الكاسر انسانا فاضلا ذا قيم ومثل ، ولذلك لا عجب أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين رجعوا من ميدان المعركة (رجعنا من الجهاد الاصغر ، الى الجهاد الأكبر) أى جهاد النفس . وبناء الانسان الداخلى بهذه الطريقة هو المؤشر الحقيقى الذى يحكم مسار التقدم .

وليس هنالك من جديد يضيفه العصر الحديث بكل مايزحم الدنيا من متع ولذات وأدوات الى هذه القضية الاساسية التى يرتكز عليها النشاط الدينى فى حياة البشر . فان الانسان حيوان تتبلد احساسيه كلما أغرق فى ملذات الحس ، مثله مثل بقية الحيوانات التى تمتاز عليه فى هذه الناحية بضوابط الغريزة الفطرية . فان معظم الحيوانات كما هو مشاهد لا تسرف فى الملذات إسراف الانسان . وانما تأكل وتشرب حين تجوع وتعطش وتقف فى معظم الاحوال عند حدود الشبع والرى بدافع من الغريزة . أما الانسان فان ضابطه فى كثير من شهواته ورغباته ليس فطريا . وانما هو صناعي . مداره العقل والوجدان والضمير ، التى تعتمد عليها شخصية الانسان الخلقية وبقدر ما ينجح الانسان فى كفكفة شهواته ، وردع غرائزه الفطرية ، وتوجيهها الوجهة التى تحقق سعادته الفردية ، وينجم عنها خير المجموعة التى يعيش وسطها ، بقدر ما ينجح فى ذلك ، تنمو فى نفسه هذه القدرة على التحكم على دوافعه وغرائزه ، فيرتفع من منزلة الحيوانية ، ويسمو إلى مرتبة الانسان . ولطغيان الغرائز الحيوانية الفطرية على تكوين الانسان كان لها فى معظم الاحوال الغلبة على ما سواها من المشاعر والعواطف التى هى مصدر انسانية الانسان ، ومن ثم كان الانسان فى الحياة البشرية عامة أمرا مصطنعا ، هش التكوين ، سرعان ما يتلاشى ويذوب فى أوقات الازمات التى تنهار فيها الضوابط الاجتماعية ، فيعود الانسان حيوانا مشرع الظفر والناب كبقية الحيوانات او أضل سبيلا ، كما كشفت ذلك الدراسات النفسية اثناء الحروب وظروف الاضطراب الاجتماعى ، ولعله لغلبة الحيوانية فى نفس الانسان ، وضعف الانسانية فيها ، جعل الله جزاء السيئة سيئة مثلها ، للطبع المغروس ، وجزاء الحسنة عشرة أمثالها ، لمغالبة الطبع والانتصار عليه .

بين الثابت والمتغير

ومن ذلك نتبين أن الحيوانية فينا أمر ثابت راسخ ، ولكن الانسانية فينا أمر طارىء

الصلاة والإنسان

عارض ، لا تستقر وتثبت إلا بمداومة المجاهدة ، والمراقبة لحياة الروح والوجدان حتى تقوى المشاعر الانسانية ، ويشتد عودها ، فتصبح بطول الممارسة والتدريب والمداومة طبيعة ثانية للانسان .

ولكن ظروف الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من صراع وصدام ، وتناقض بين المصالح ، خاصة حين يتعقد التكوين الاجتماعى كما هو الحال فى المجتمعات الصناعية الحديثة ، تجعل من سعى الانسان للمحافظة على العنصر الانسانى فيه أمرا بالغ الصعوبة . ويمكن للمرء هنا أن يستعير من الوجوديين تعبيرهم القائل بأن شخصية الانسان فى خلق دائم .

وما لم يركز الانسان كل قواه الروحية والفكرية لمراقبة نفسه ولكبح نوازعه فان طبيعة الحياة حوله تشجع الحيوان فيه على الاغراق فى كل الملذات والمتع والشهوات التى يفيض بها مجتمع الاستهلاك الحديث . وامكانيات الانسان محدودة ، مهما أوتى من نعم ، ولكن حاجاته ورغباته متى اطلق لها العنان لا حدود لها ولا ضابط ، إلا ذلك القدر الصناعى من العنصر الانسانى الذى يتعرض فى المجتمع الحديث لخطر الازالة والذوبان أمام مغريات الحس . ولحاجة الانسان الى التذكير الدائم بهذا الخطر المحدق بانسانيته ، ولكى لا ينصرف بكيانه لزحمة الحياة من حوله، فينمو الحيوان فيه على حساب الانسان ، كانت الشعائر الدينية رمزا لتذكير الانسان بعنصره الروحى الذى يرتفع به من الحيوانيه الى الانسانية المستمدة من روح الله .

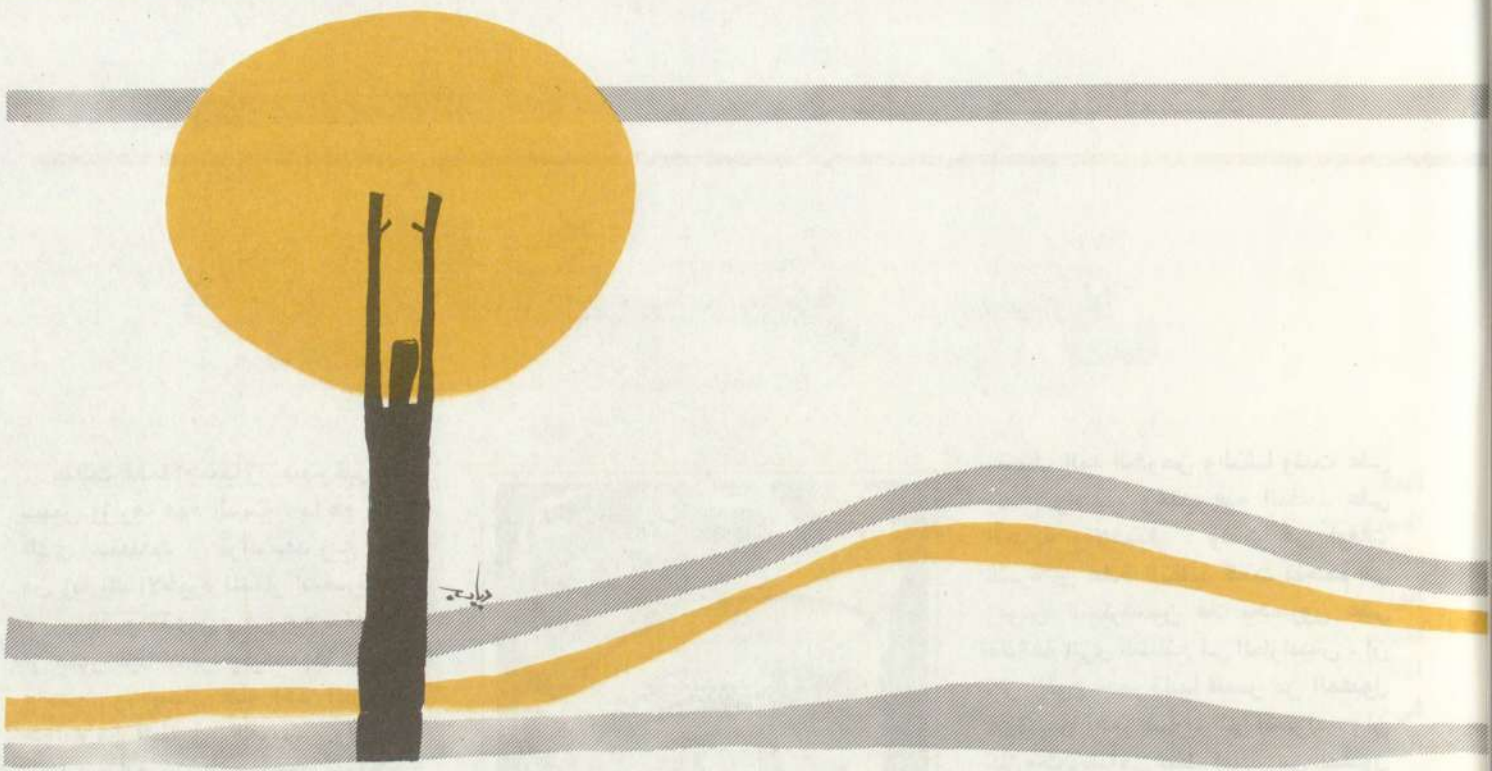
وكانت الصلاة فى الاسلام عماد الدين لأنها تنزع الانسان من زحمة الحياة وضجيجها الذى يبلد الاحساس خمس مرات فى اليوم ليتجدد احساسه بانسانيته ، وتتغذى روحه بشحنة من التأمل والتجرد والنظر الى داخل النفس ، حيث تقوى صلة الانسان بربه ، ليعود الى الحياة بشخصية إنسانية متجددة ، وهو أقوى وأقدر على مواجهة الامتحان الدائم ، الذى بينه الله سبحانه وتعالى فى قوله جل وعلا (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

أكثر الأديان عبادات

والاسلام من أكثر الديانات عبادات . وهى عبادات تتفاوت فى حركاتها وتتنوع فى أوقاتها ومدى دورانها . فمنها اليومى الذى يتكرر أكثر من مرة فى اليوم وهو الصلاة ومنها الاسبوعى الذى لا يكون إلا مرة كل جمعة وهو صلاة الجمعة ، ومنها السنوى الذى يتقيد بزمان بعينه وهو الزكاة ومنها السنوى الذى يتقيد بشهر بعينه وهو الصيام ، ومنها السنوى الذى يكون فى أيام بعينها ولكنه يجب مرة واحدة فى العمر مع الاستطاعة وهو الحج . ومنها الموسمى الذى يتصل بهذه العبادات من السنن والنوافل كصلاة القيام فى رمضان ، وصلاة العيدين احتفالا بانتهاء الصوم وأداء فريضة الحج . ورغم أن الشعائر والعبادات هى رموز لحقائق روحية وحالات وجدانية لايدرك الانسان مداها بالتعليل العقلى والجدل المنطقى ، وانما تتكشف أسرارها العظيمة لمن انفتح قلبه ووجدانه لذلك الفيض الروحى الغامر المتصل بسر الكون والذى هو من روح الله ، وهو من هذه الناحية غير قابل للتعليل لعجز وسائلنا العقلية والعلمية الراهنة للتصدى له ، إلا أننا رغم عجزنا عن تعليل كثير من الظواهر التعبدية وتقبلنا لها بالايمان والتسليم كأمر من الامور التى فرضها الله سبحانه وتعالى بهذه الهيئة المخصوصة ، فاننا ندرك أثرها فى حياتنا ، ونلمس نتائجها العملية فى سلوكنا ومعاملاتنا . ولا تحتاج فى ذلك للتكلف والتعمل لنتبين هذه الآثار والنتائج فقد دلنا المولى سبحانه وتعالى عليها فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم .

الوجه الآخر للعبادة

ومن كل ذلك يتضح أن للعبادات وجها آخر بالاضافة الى وجهها الروحى والمعنوى فالصلاة متى أداها المسلم على وجهها الصحيح فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ورد فى سورة العنكبوت والصوم ينجم عنه التقى مصداقا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ولقوله صلى الله عليه وسلم (الصوم جنة) أى وقاية ودرع يحمى الانسان من الرذائل والآثام . والزكاة فيها تزكية للمال ونماء وتطهير للنفس لقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) وهى بذلك تدعيم للتكافل بين أفراد المجتمع . والحج مؤتمر الاسلام على نطاق العالم يدعم من خلق الاسلام ومن أخوة المسلمين وتعاونهم ويرفع كل ذلك من مستوى الافراد الى مستوى الجماعة بحيث يلتزم كل مسلم فى هذا المؤتمر الذى يضم الاشتات المتنافرة من البشر بما أمر الله به



فى قوله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تعملوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الالباب) . وقد بين الله سبحانه وتعالى فى سورة الحج المنافع التى يجلبها الحج للمسلمين ، وبذلك يصبح لكل عبادة دور اجتماعى تؤدية فى حياة الناس المعاشة عن طريق تأثيرها المباشر فى سلوك الافراد الذين تصوغهم هذه العبادات صياغة اجتماعية تجعلهم يتصرفون فى حياتهم تصرفا عفويا فطريا لاقتران الجانب الروحى فى العبادات بالجانب الاجتماعى فى حياة الناس . ولم يبين الله سبحانه وتعالى حكمة العبادات إلا لنتبين اخلاصنا فى أدائها .

إذا لم نحقق فى حياتنا النتائج والآثار التى ذكرها الله سبحانه وتعالى مقترنة بهذه العبادات فان عبادتنا تكون عبادة باطلة لا خير فيها ولا فائدة ، فان الصلاة التى تغير من السلوك وتطور حياة الفضيلة فى المجتمع ليست حركات آلية ، وانما هى يقظة كبرى لقوى النفس دلنا عليها قوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهذا السهو والغفلة عن الصلاة ينجم عنه أكبر الضرر على الصعيد الاجتماعى ، إذ تستمر سورة الماعون لتصف الساهين عن الصلاة بأنهم (الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) . وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كثيرا من الصائمين عن الطعام والشراب ، ولكنهم غافلون عن حكمة الصيام التى تتجاوز الجوع والعطش لتنفذ الى دوافع الفعل فى نفس الانسان وضميره ، لاحظ لهم من صومهم غير العطش والجوع . فان الصوم المادى سبيل لتوطين النفس على الصوم المعنوى عن كل ما يشين من قول أو عمل . ولعظيم فضل الصوم اختصه الله لنفسه فى الحديث القدسى الذى يقول فيه المولى عز وجل على لسان رسوله الكريم (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وانا اجزى به)

السلوك وليد العبادة

ومن حيث نظرنا الى سلوك المسلم فى حياته الخاصة والعامة رأينا للدين تأثيرا مباشرا فيه ، فهو مطالب بالكتاب والسنة لينهج نهجا محددا فى الحياة لا شطط فيه ولا غلو ، يتوخى فى كل ما يعمل الصالح العام مهتديا بقوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا) . وهذه الصبغة الدينية التى تلون حياة المسلم ، وتحيل كل دقائق تصرفاته الى اعمال دينية نابعة من الايمان ، لتكتسب القداسة والالزام ، لا تصل بين حياة الناس والمثل العليا بحاجز ، بل تجعل الايمان انعكاسا صادقا للبساطة والفطرة السليمة ، فيصبح الايمان سبعين شعبة يدخل فيها الحياء ، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق ، وبذلك يشمل الايمان العناصر المعنوية والحسية من سلوكنا واخلاقنا ـ وكل ذلك يركز فى نفوسنا منذ أن نولد كل الفضائل والاعمال الخيرة التى يأمرنا بها الدين فى غير ما تشدد أو تطرف ، لأن الدين لين ، وقد أمرنا رسول الله أن نوغل فيه برفق لأنه (ما شاد الدين احد إلا غلبه) ولهذا السبب كانت شخصية الرجل المسلم هى الصياغة الواقعية لتعاليم الدين وارشاداته كما تهيأت له فى حدود الزمان والمكان والبيئة . وكانت حياة المسلمين هى الصورة المحسوسة لدينهم . فمن دينهم يستمدون نهجهم فى الحياة ليس على مستوى العبادات المجردة فحسب ، وانما على كل مستويات وجودهم المعنوية والحسية . وكان أصدق تعبير عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) . ولهذه الاسباب مجتمعة كان للشخصية المسلمة صفاتها الخاصة التى تميزها عن غيرها من الشخصيات ، وكان الدين الذى هو الصورة الفاعلة للحياة البسيطة النشطة مصدر قوتهم الذى يستوحون منه كل دقائق تصرفاتهم وجلائلها . ولهذا السبب كان انهيار حياة المسلمين مقروناً باضمحلال روح الدين فى نفوسهم ، فاذا فقدت العبادات مدلولها ومعانيها وحكمتها فى حياتهم ، وتحولت الى حركات آلية لا حياة فيها ولا حرارة ، انعكس ذلك على سلوكهم رياء ونفاقا ، ومنعا للماعون ، وافسادا فى الأرض .

د. عون الشريف

عباس محمود العقاد

في الطريق

سالت عالما اجنبيا زار مصر قبل عشر سنين وزارها هذه السنة . ما هو الفرق الذى استطعت ان تراه بعد ربع ساعة من زيارتك الاخيرة للديار المصرية ..؟

إن الفرق الذى يرى فى ربع ساعة لابد ان يكون فرقا ظاهرا وفرقا مهما فى وقت واحد . ولا يسال عنه احد اقدر على جوابه من الطارىء الغريب . ولا سيما الطارىء الغريب الذى تعود ان يلاحظ الاشياء ملاحظة العلماء . ومضى عليه وقت يكفى للشعور بالفرق بين مشاهدات الامس ومشاهدات اليوم .

قال صاحبنا بغير تردد كثير : إنه اختفاء الطربوش .

وقد كان صاحبنا موفقا فى جوابه السريع فلو انه تردد قليلا قبل أن يجيب . لما اهتدى إلى فرق اولى بالانتباه إليه من هذا الفرق الذى يدل على ما جرى داخل الرءوس ولا يقتصر على ظاهرها المكشوف للعينين .

قبل عشر سنين كان عدد الرءوس بعدد ما عليها من طربوش او عمامة او طاقية . وكان لون الطربوش الاحمر اسبقها إلى النظر وإن لم يكن اكثرها فى التعداد . واذكر ان كاتبا اوربيا شهد جنازة الزعيم الوطنى مصطفى كامل رحمه الله . وقد سار فيها نحو مائة الف مشيع . فقال يصف النعش فوق تلك الرءوس بين مطربشة ومعممة : إن نعش الفقيد كان يخطر فوقها كانه سفينة تمخر فى بحر من الدم يتخللها الزبد هنا وهناك

إن ذلك المنظر من مناظر الماضى التى لا تعود . فلو سار مائة الف فى موكب واحد لكان عدد الطرابيش بينهم اقل من عشرة فى كل مائة . فهو ظاهرة تختفى شهرا بعد شهر إن لم نقل اسبوعا بعد اسبوع . وليس الفرق فى هذا فرقا ظاهريا بين الامس واليوم . ولكنه فرق فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة .



عباس محمود العقاد

وفرق فى موقف البلد من الوجهة السياسية ومن الوجهة الاجتماعية . وما كان ليحدث لو لم يكن قد حدث فى البلد كما حدث فيه ، منذ ان كان ولاية تابعة للدولة العثمانية إلى ان زال عنه احتلال الدولة البريطانية .

كان الطربوش فى اول عهده رمزا من رموز الثورة على الجمود . كان السلطان محمود الثانى يريد ان يدخل فى الجيش نظاما غير نظامه العتيق . بعد ان توالت عليه الهزائم فى حروبه مع الدول التى اخذت بالنظام الجديد فى جيوشها وخطر له ان يبتدىء بتغيير الملابس ثم يتبعه بتغيير السلاح والتعليم . فلما امر الجنود والموظفين بلبس الطربوش بدلا من « الدلبند » او العمامة الانكشارية . خيل الى الجامدين على القديم ان القيامة قامت . بل اقام فريق منهم القيامة التى اوشكت ان تعصف بالبقية الباقية من الدولة . ثم شاع الطربوش كانه رمز للحرية العصرية فى ذلك الحين .

لكنه لم يلبث ان جمد حرفا ومعنى بعد قليل . فبعد ان كان طريا لينا . اضيف إليه الخوص والنشا وثبت على وضع واحد . وغلب فيه التقليد على الحرية والاختيار . ونذكر فى اوقات كثيرة ان عادة التقليد كانت تتحكم فى رءوس المطربشين فلا يجسرون على مخالفة الزى الشائع فى الطرابيش . إن كان اللون احمر قانيا فليس من المقبول ان يلبس احمر ضاربا الى السواد . وان كان مخروطيا فى شكله فليس من المقبول ان يستدير على قطر واحد . وان كان طويلا مرتفعا فتقصيره منتقد مذموم . وان كان قصيرا هابطا فالمنتقد المذموم ان يرتفع ويطول . بل ربما تدخل العرف المتسلط على الرءوس فى تحديد الموضوع الذى يستقر فيه على الراس . فلا يستحسن انحرافه إلى اليمين او إلى اليسار . او إلى الامام . او الخلف . إلا بالمقدار المطلوب . ثم بدات الثورة على الطربوش مع الثورة على التقليد ولكن طال عمر الطربوش برهة لان المقابلة بينه وبين القبعة اصبحت كانها مقابلة بين الوطنية والاحتلال . ولم تتغير هذه النظرة حتى زال بطش الاحتلال وزالت شبهة المصانعة له والتماس الزلفى لديه والان يعود الطربوش رمزا للمحافظة بعد ان كان رمزا للتجديد فمن لبسه اليوم من غير المحافظين لمجرد المحافظة ، فانما يلبسه لانه يفضل شكله على غيره . او لانه لا يحتمل كشف الراس فى الشتاء والصيف او لانه ممن يفضلون مداراة الصلع على كشفه للانظار .

هذه مطالعة من مطالعات الطريق ، سمعناها من زائر غريب . ولكنها احدى مطالعات كثيرة تعرضها علينا صفحات الطريق . والسؤال مما يمكن ان يعاد مرة بعد مرة . وجوابه فى هذه المرة اختفاء الطربوش . فاذا اعيد مرة ثانية وثالثة فماذا يكون الجواب ؟

● ليس الطربوش وحده هو الذى أسرع بالاختفاء فقد أسرع معه رباط الرقبة على اختلاف أشكاله

● مطالعات الطريق بغير نهاية .. وإنها جديرة منا بالنظر الدائم فى صفحاتها لأنها صفحات ظاهرة

أعدته على نفسى بعد أن فارقت العالم الغريب . فلم تمض من ربع الساعة دقيقتان حتى كنت امام دكان من دكاكين السجاير والتبغ . نظرت إلى الواقفين امامه فوجدتهم اربعة . واحد منهم طفل فى نحو العاشرة والثلاثة الآخرون جاوزوا الاربعين . ومنهم واحد فى نحو الستين . اما الطفل الذى يناهز العاشرة فهو كما يظهر رسول يشترى السجائر لغيره . واما الثلاثة الآخرون فهم جميعا مدخنون ومنهم واحد يحمل السيجارة المشتعلة بين أصبعيه .

وليس معنى هذا أن السجاير لا يشتريها اليوم إلا الطفل الذى يشتريها لغيره وإلا المدخن الذى يجاوز الاربعين ليس معناه أن الشبان جميعا لا يدخنون وأن التدخين قد اصبحت عادة مقصورة على الكهول والشيوخ . ولكنها مشاهد فى الطريق تذكرنا باختلاف المشاهدات فيه بين أمس واليوم . فقبل ثلاثين سنة كان من مشاهدات الطريق المألوفة أن ترى شابا بعد شاب يحمل سجارته بين اصبعيه ويطلق دخانها فى الهواء . كأنه ينادى الماره من حوله ليقول متحديا ها انا ادخن . فمن يمنعنى . وماذا أبالى ..؟ أما اليوم فمن النادر أن ترى شابا يهتم بالتدخين فى طريقه ومن اهتم بالتدخين فى طريقه فمن النادر أن يشعر بأن هذا التدخين شيء مهم يلفت الانظار .

ما تفسير هذا ..؟ ما تفسير هذا الاختلاف فى مسلك الشاب المدخن بين أمس واليوم ؟ تفسيره أن الشاب فى الجيل الحاضر قد اخذ بقسط من الحرية كان محجورا عليه قبل هذا الجيل . وقد يبدو فى هذا القول بعض التناقض عند سماعه لاول مرة . إن الحرية لا تمنع احدا من عمل يريده . فكيف يكون الامتناع عن التدخين فى الطريق أثرا من آثار الحرية ؟

إنه تناقض ولكن لاول وهلة . أما الواقع فهو زوال سبب التحدى والمباهاة بالتدخين فى هذا الجيل .

كان الشاب يدخن ليقول انه قد بلغ مبلغ الرجال واصبح مسموحا له بما كان محظورا عليه وهو صغير وكان يستعجل السن التى تجعله فى عداد الكبار وتخرجه من عداد الصبية الصغار لأن الحرية كانت حقا محتكرا للراشد الكبير دون القاصر الصغير .

ومثل هذا يحدث فى إطلاق الشارب بين أمس واليوم . لا ترى اليوم شابا يهتم باطالة شاربه قبل أوانه ، لأن الكبار والصغار يشتركون فى إخفاء الشارب أو تقصيره . أما قبل ثلاثين سنة فقد كان الصبى الصغير يقارب الثانية عشر فيبحث عن الدهون والادوية التى تعجل بنمو شاربه قبل أوانه . ولا يستريح حتى يطيل شاربيه ويلح عليهما بالفتل والتغزيز حتى تبرزا امام عينيه ، قبل سائر العيون .

ومن مطالعات الطريق الكثيرة مطالعة ضافية سريعة . تمر بنا فى لمح البرق ولا تحتاج لاكثر من خمس دقائق فى رحبة عامه من رحاب العاصمة . تعرضها علينا صفحات السيارات الحديثة وتقول لنا الشيء الكثير ، مما يقال فى هذه المطالعات . كان الغالب على السيارات الخاصة قبل ثلاثين سنة أن تصطبغ بثلاثة الوان وأن تكون السيارة كلها من لون واحد . هذه الالوان الثلاثة هى الالوان السوداء والخضراء والبنية . وكانت كلها تميل إلى الصبغة الداكنة « الغامقة » فى اصطلاح اللغة الدارجة .

وتتغير هذه الالوان شيئا فشيئا وتميل من داكنة إلى زاهية . ومن لون واحد إلى ألوان متعددة ومن لمحة راسبة إلى لمحة رشيقة خاطفة . مطالعة تقول كثيرا لمن يريد أن يسألها وجملة ما تقول ان النفوس تميل من الشعور بالهيبة والوقار إلى الشعور بالخفة والحركة ، وان فضائل الاناة تتحول إلى فضائل السرعة والاقدام . وكل من هذه الفضائل له حق واعتبار .

ولا تنتهى هذه المطالعات فى الطريق إلا إذا انتهى الطريق . ولن ينتهى الطريق الذى يتلاقى فى طرفيه . فكل نهاية فيه الى ابتداء . وكل نهاية وابتداء الى مفترق والتقاء .

ولكن الطريق إن لم يكن له نهاية ففيه مكان للوقوف . فلنقف فيه عند مطالعة اخيرة تلحق بأول هذه المطالعات عن الطربوش . وهى مطالعة تنتقل بنا من الرءوس الى الرقاب .

ليس الطربوش وحده هو الذى يسرع بالاختفاء . فقد اسرع معه رباط الرقبة على اختلاف اسمائه واشكاله وألوانه . وقد كان له مكان الصدر تحت مكان الطربوش على الرءوس .

وكان رباط الرقبة بقية من بقايا اللفاع الذى يلف على الرقبة فى الأقاليم الباردة ثم زال ذلك اللفاع وبقيت منه هذه البقية الأثرية التى لا تدفع برداً ولا تلزم لوقاية . وظل الناس يلبسونها بحكم العادة ولا يقصدون بها غير الزينة أو اجتناب الخروج على المألوف . ومن فكاهاتها حوار جرى بين طبيب مشهور وقرينتنا الذكية الفاضلة . قال الطبيب مازحاً ، وزوجته تحدثه عن سوار تريد أن تشتريه . ان السوار حجة عليكن من قديم الأزل . ألا ترين أن الاسوار لتدل على الاغلال التى تربط بها الأيدى . وأن الخلاص من الرباط أولى من الاصرار عليه ؟ قالت السيدة الذكية . ورباط الرقبة ماذا تقول فيه . ألا يدل على سحب العبيد من الرقاب ؟ تخلصوا منه قبل أن تدعونا إلى التخلص من السوار . وهذا مزاح لا يخلو من بعض الجد . فلا معنى لرباط الرقبة إن لم تكن فيه زينة أو وقاية وربما استراحت من جميع الرقاب قبل أن تستريح من الطرابيش جميع الرءوس .

ونعود فنقول إن مطالعات الطريق بغير نهاية وانها جديرة منا بالنظر الدائم فى صفحاتها لأنها صفحات ظاهرة لمختلف العادات والأطوار . ومختلف الاخلاق والافكار .

عباس محمود العقاد



هل يلحق العالم العربي بالغرب؟

أحمد عبد السلام البقالى

● هب أن الغرب اختفى بكارثة طبيعية وذهبت معه كل كنوزه العلمية .. هل يستطيع العالم العربى فى حالته الراهنة شق الطريق نفسه والوصول إلى القمة نفسها؟



قالت لى الأمريكية الحسناء زوجة صديقى (كارول) بعد نقاش طويل حول اقصر الطرق للخروج بالعالم العربى من التخلف ، وإلحاقه بقطار الحضارة الغربية السريع :

ـ لاتوجد طرق قصيرة .. ولا أمل للعالم العربى فى اللحاق بأمريكا فى المستقبل المنظور على الأقل .. إلا إذا توقفت امريكا.

وهمس فى اذنى أحد الجلساء العرب

ـ عقلية امريكية استعمارية رهيبة !

ولو لم أكن قضيت فى أمريكا من السنين ما قضيت ، وسرت فى مناكبها طولا وعرضا وقابلت شرائح وعينات بشرية تمثل جميع طبقاتها الاجتماعية ، والسلالية ، والدينية والسياسية ، لكان ذلك رد فعلى أنا الآخر..

فقد اتاحت لى مدة الدراسة والعمل الدبلوماسى بالولايات المتحدة ، لمدة عقد كامل من حياتى ، عشت اثناءه اسابيع عديدة فى حقيبة ، كما يقول الامريكان ، من طول التجوال ، فرصة ذهبية لسبر اغوار ذلك البلد العجيب ، واخذ انطباع واضح عن ديناميكية الحياة فيه ، والميكانيزمات الخفية التى تحكم نموه وتغيره وامتداده وتقهقره ، وأماله ومخاوفه ..

فهو مجتمع غاية فى التعقيد أشبه ما يكون (بنافقاء يربوع) فى ضخامة هذا البلد ، أو بخلية نحل مختلفة الثقوب والخروم يسكنها نحل مختلف الاحجام والاشكال والالوان ، لا يجمع بين افراده إلا قاسم مشترك واحد ، هو العمل الدائب ، والحركة المتواصلة ، والانتاج والاستهلاك المفرطان

وأول ما يصدم العربى فى الولايات المتحدة ، عند الاطلاع من قريب على حقيقتها والانبهار الشديد بضخامتها ، وقوتها ، وحيوية شعبها ، وملايين شُعَبْ الاختصاص بها ، هو تقزم صورة وطنه العربى فى عينيه ، وشعوره بالتفاهة والعجز الشديد على مواجهة التحدى الذى يفرضه عليه تاريخه وحضارته الغابرة ، وحمل المسؤولية فى رفع امته الى مستوى هذه الحضارة التى تطوقه من كل جانب ..

ولأضرب مثلا واحدا فقط ، ذهبت مرة الى مكتبة الكونجرس لأبحث عن عناوين الشركات التى تصنع اجهزة البحث عن المعادن ، وفى غرفة الكاطالوجات التى تحتوى على لوائح بأسماء وعناوين الشركات الصناعية الامريكية ، ذهلت لعدد المجلدات الضخمة المسفرة بالحديد ، والمعلقة بوجوهها الى تحت ، فى صفوف طويلة .. كل مجلد يحتوى على أزيد من ألف صفحة مكتوبة بخط دقيق توفيراً للمساحة ..

وخرجت وأنا افكر : (هب أن الغرب اختفى بكارثة طبيعية ، وذهبت معه جميع كنوزه وكشوفه العلمية ، هل يستطيع العالم العربى ، فى حالته الراهنة ، شق نفس الطريق والوصول الى نفس القمة فى الرقى العلمى والحضارى).

وأمام هذا الانبهار يلجأ كثير من الاعتذاريين عن تخلفنا الى البحث عن سلبيات امريكا ، وبعض مظاهر انحطاطها الاخلاقى الذى هو افراز طبيعى لكل تقدم مادى ..

● ●

بهذه الخلفية المثقلة بالوعى و بالحقيقة المرة كنت استمع الى (كارول) واصغى إلى صوت عقلها ، معجباً بأفكارها بدل وجهها الجميل ..

فلم أزد على أن ابتسمت فى يأس وعلقت :

ـ كيف تتوقف امريكا التى قال عنها (ألفين طافلر) فى كتابه (صدمة المستقبل) انها قطار بلا سائق يسير بسرعة جنونية فى منحدر مظلم ، وركابه متجهون الى الوراء ، واعينهم معصوبة) .

فوافقت :

ـ تماما .. امريكا لن تستطيع التوقف حتى ولو أرادت ذلك .. فهى مجبرة على السير .. والسير السريع .. تماما مثل كرة الجليد المتدحرجة من قمة الجبل .. وكلما نزلت كبر حجمها ، وزادت سرعتها .. وهى كفيلة بسحق كل من يعترض طريقها او يحاول إيقاف تقدمها ..

فعلق جليسنا الشاب :

ـ حتى تصل الى المنحدر وتستنزف كل طاقتها ..



- إنها قطار بلا سائق يسير بسرعة جنونية فى منحدر مظلم!
- أمريكا لن تستطيع الوقوف ولو أرادت ذلك فهى مجبرة على السير .. والسير السريع
- لو كانت الدورة الحضارية توقفت عند العرب لكان حالهم حال أمريكا الآن
- لو وجد الإسلام دعوة منظمة وذكية فى أمريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن

ـ تماما ، كسائر الحضارات من قبلها .

ورشفت كارول من كأسها واضافت :

ـ أمريكا مخدرة بالسرعة ، والقوة ، والنمو المادى ، كالمدمن على الكحول أو الهيروين .

فقاطعتها :

ـ أنا اراها كمن عثر على كنز لا يريد أن يتركه حتى يفرغ كل مافيه .. والكنز هنا هو وسائل التطور والتقدم فى كل اتجاه .. فهى نشوى بكل هذه المغامرات الاستكشافية السندبادية فى جميع ميادين المعرفة من (دى . إن . إيه) اى مكونات الخلية البشرية الحية ، الى ما وراء مجموعتنا الشمسية ، وما يحتوية كل ذلك من اسرار يسيل لها لعاب الرواد ! .

فقالت مستدركة :

ـ ولا أعنى أن التقدم احتكار لأمريكا وحدها .. فهى فقط التى اتفق أن وجدت فى هذا الوضع الحضارى الخاص فى هذا الظرف التاريخى بالذات .. ولو كانت الدورة الحضارية توقفت عند العرب مثلا ، أو الصينيين ، لكان حالهم حال أمريكا الآن..

قلت :

ـ يجب أن يكون القياس مع الفارق .. والفارق الهائل !

ـ كيف ؟

ـ إذا كان ما قاله (الفن طافلر) عن نسبة التقدم والتطور فى العصر الحديث فسيكون علينا أن نراجع نظرية الدورات الحضارية بشكلها الكلاسيكى ..

وفتحت (كارول) فمها وعينيها الزرقاوين الواسعتين فى تساؤل صبيانى محبب ، فقلت شارحا :

يقول (طافلر) : (إن التقدم الذى حققته البشرية فى الخمسين سنة الماضية يعادل ما حققته فى الخمس آلاف سنة الماضية بأسرها !) وضرب مثلا على ذلك بقوله : (إن التسعين بالمائة من الاطباء الذين انجبتهم البشرية ما يزالون على قيد الحياة)!

وانتظرت قليلا لاعقب :

ـ وهذا ما يجعل هذا العصر الذى نعيش فيه مختلفاً وفريدا فى نوعه .

فخرجت (كارول) من دهشتها مؤكدة :

ـ بالضبط ! وهذا ما يجعلنى ، حين انظر الى حالة العالم العربى ، والاسلامى الآن اتنهد فى يأس من ان تلحقوا بالغرب على الاقل فى المستقبل القريب ..

وتكلم زوجها الذى استهواه النقاش بعد أن ظل محايدا ، فقال وفى عينيه لمعان ابتسامة مشاغب معربد لا يريد لقوم زوجته الانتصار على قومه :

ـ انا اعتقد انه يمكن أن نلحق بأمريكا ..



بل أن نسبقها !

ورفع يديه لتهدئة الضجة :

ـ دعونى أشرح .

وتوقف ليشعل سيجارته بطريقته المسرحية لتشويق المنتظرين . وحين أطفأ الوقيدة، ووضعها بعناية فى المنفضة بدأ :

ـ حين أطلق الاتحاد السوفيتى أول (سبوتنيك) ، وقف استاذ محاضر بجامعة (مدريد) يهدىء من روع الطلبة قائلا : (لا تيأسوا ! أؤكد لكم أن اسبانيا ، تحت حكم (فرانكو) ، ستكون أول من يصعد إلى القمر واندهش الطلبة لهذا الخبر المثير ، فصاحوا متسائلين :

(كيف ؟ كيف؟) فرد المحاضر بكل ثقة :

(سنضع عسكريا على راهب ، وراهبا على عسكرى ، ونستمر فى ذلك حتى نصل القمر!) .

وضحك الجميع إلا زوجته التى ربما كانت سمعت النكتة ما يكفى لتضع يديها على اذنيها وتصرخ .. فحدجته بنظرة زرقاء وقالت :

ـ كنت متأكده من انه سينحرف بالحديث وينزل به الى مستواه .. ثم وجهت الكلام إليه :

ـ بحق السماء .. نحن نتحدث بجد .

فلم يثنه ذلك ، بل اعاد الكرة قائلا :

ـ لحسن الحظ ليس لنا رهبان فى الاسلام .. ولكن فى العالم العربى يمكن تعويضهم بالموظفين .

ثم انتقل بسرعة الى موضوع حديثنا :

ـ الان سأتكلم بجد .. سأحكى لكم حدثا عشته يمكن اعتباره مناسباً لما نحن بصدده .. كان لنا فريق ممتاز لكرة القدم فى (اصيلا) .. كانت له ملابس واحذية وجوارب فى مستوى اى فريق دولى ، وكان يخضع فى تداريبه ولعبه لجميع قوانين كرة القدم الدولية .. وذات يوم قدم الى (أصيلا) فريق من قرية مجاورة ليلعب مع فريقنا .. ويظهر أن كل ما تعلمه الفريق الخام من قوانين

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟

● لماذا يجب على العرب أن يلاعبوا أمريكا في ميدانها ويتقيدوا بقوانين لعبتها!

اللعبة هو أن يدخل الكرة فى شبكة الفريق المنافس .. بأى طريقة وبدون استثناء الصفع ، والعض ، والخدش ، ونتف الشعر ، والارتماء على الساقين ، ونطح البطون ، وركل السراويل .. إلى غير ذلك ..

وتوقف لينظر الى وجوهنا بعينيه المحتقنتين ، وسأل :

ـ اتعرفون أى فريق فاز ؟ فريق القرية ! عاد الى قريته منتصراً على ابناء المدينة غير عابىء باحتجاجاتنا على عدم انضباطه واتباعه للقانون .

فالتفتت إليه زوجته ساخرة :

ـ هل تسمح بربط الصلة بين حكايتك هذه ، وحديثنا السابق ؟

فاستمهلها بدم بارد ، ونطق من خلال دخانه:

ـ لماذا يجب على العرب أن يلاعبوا امريكا فى ميدانها ، ويتقيدوا بقوانين لعبتها ؟

وقلت ولسانى فى حنكى :

ـ هذا رأى وجيه .. فماذا تقترح ؟

ـ فتطوعت بالاجابة زوجته التى كان يثير اعصابها اسلوب تفكيره اللاأورثوذكسى :

ـ نعض أمريكا ، ونخدشها ، ونركلها من الخلف !

فرد زوجها بهدوء صابر :

ـ ليس تماما .. إذا كنا لا نستطيع منافسة الولايات المتحدة فى ميدان البحث العلمى ، والتقدم الصناعى ، والثراء المادى ، والجبروت العسكرى ، فهنالك ميدان يمكن منافستها فيه .. وهو الميدان الروحى والانسانى ! فالانسان واحد فى جميع اقطار الارض .. وهو القاسم المشترك بين جميع الدول ، فقيرة كانت أو غنية فاذا استطعنا أن نوجه الانسان العربى الى الامتياز فى الآداب ، والفنون ، وجميع العلوم الانسانية ، فى انتظار انطلاق الصاروخ العربى فى الميادين الأخرى ، امكننا اللحاق بأمريكا ، وتساوت الاكتاف على الاقل على المستوى الانسانى .

فقلت مكررا كلمته :

ـ إذا امكننا ! وبخط احمر سميك تحت (إذا) فاذا أمكننا توجيه الشعب العربى نحو أى شىء ، انحلت المشكلة !

فاعترض على تشاؤمى بحماس :

ـ لماذا لا ؟ لا يحتاج الأمر إلا إلى مجموعة من الشباب الواعى فى كل بلد عربى ليقود هذه (الحركة التجربة) التى لا تحتاج الى تمويل كبير ، ولا تزعج أى نظام سياسى .. كل ما نحتاجه هو جماعة من القادة الرواد المفكرين المقتنعين بهذه الفكرة ، ويجلسون ، ويخططون ، ويستقطبون من يصلح للتعاون معهم ، بدل أن نجلس جميعا نجتر احلام يقظتنا تعويضا عن عجزنا وتهافتنا! وسترون أن التحرك فى هذا الاتجاه السهل الذى سيشجع المواهب الفطرية على البروز والتألق ، سيساعد على التحرك فى اتجاهات أخرى اصعب واهم .. المهم هو تحطيم اسطورة الغرب القهار الذى لا يقهر وبذلك نكون قد خطونا أول خطوة فى اللحاق به .

فنطق جليسنا الشاب :

ـ هذا إذا افترضنا أن امريكا متوقفة أو ميتة تماما على هذا الصعيد .

فرد صديقى :

ـ أؤكد لك أن امريكا ماتت روحيا .. قتلتها المادة .. واصبح (الدولار) اعلى قيمها على الاطلاق .. واصبح شبابها يعيش فى فراغ روحى قاتل .. حتى أنه اصبح صيدا حلالا ، وملكا مشاعا لمحترفى الشعوذة من رجال الشرق الاقصى ، يغسلون ادمغته ، ويستغلونه فى جمع الاموال ، والثراء الشخصى ..

فتدخلت كارول قائلة :

ـ هذا صحيح .. كثير من الشبان هذه الايام يتعرضون لنوع من الاختطاف المقنع بحيث تتعرض لهم فتيات جميلات ، يأخذنهم الى مراكز الشعوذة هذه حيث يتم غسل ادمغتهم فى غفلة منهم ، فيتخلون عن دراستهم الجامعية ، وينخرطون فى هذه الطرق المشبوهة .. وحين تتمكن منهم هيستريا الطريقة يرسلونهم للمدن لجمع الاموال عن طريق بيع الورد أو التسول لصالح مؤسسة احسانية وهمية ، وهذا ما فعله مشعوذ من كوريا الجنوبية يسمى (مون) له عدة مراكز لتجنيد الانصار ، بقصد الاستيلاء على البلد بأكمله !

واضاف زوجها :

ـ ولا ننسى مذبحة المجنون (جيم جونز) بغيانا : ذلك الانتحار الجماعى الرهيب حين افتضح امره ! وهناك طرق كثيرة أخرى تعمل لتفجير أمريكا من الداخل . وقد عرفنا عن جماعة (جونز) ، وجماعة (مون) لأنهما افتضحتا .. الاولى بالانتحار ، والثانية بكتاب نشره احد اتباعها وهو شاب يدعى (جان إدواردز) عن كيف تم استدراجه ، وتجنيده ، وغسل دماغه ، ثم تسخيره لجمع الاموال .. وكيف اختطفه أبوه بالقوة بمساعدة فريق مختص فى انقاذ هؤلاء الضحايا ، ثم عملية غسل دماغه من جديد ، واعادته الى واقعه السابق .

فصاح جليسنا الشاب :

ـ ياإلهى ! ماذا تفعل المؤسسات المسيحية أمام هذا الغزو الخارجى ؟

فأجاب صديقى :

ـ المسيحية عاجزة تماما عن استبقاء انصارها .. ولو انهم وجدوا فيها ما يملأ فراغ ارواحهم لما هجروها الى مثل هذه الخزعبلات .

فوافقت كارول معلقة :

ـ هذا صحيح .. وقد لمست فى زيارتى الاخيرة للولايات المتحدة أن (الموضة) الجديدة هى الاسلام ..

فضحك الشاب قائلا :

ـ تتحدثين عن الاسلام (كتقليعة) عابرة تأتى وتروح ، مثل (المينى) أو (الماكسى) أو (الفيس بريسلى) !

فردت مخالفة :

ـ لم اقصد ذلك .. لو وجد الاسلام دعوة ذكية منظمة فى أمريكا لانتشر فيها قبل نهاية هذا القرن .. ولملأ الفراغ الهائل الذى يعيشه الامريكيون .. فهو يختلف عن المسيحية بانسجامه مع طبع الانسان ، ورغبته الفطرية فى الطهارة والأمن الغيبى . ويختلف عن بقية الطرق المشعوذة باثبات وجوده عبر القرون ، وبانتماء هذا العدد الهائل من سكان المعمورة إليه .

فتساءل الشاب :

ـ فماذا ننتظر ؟

فرددت كارول

ـ نعم .. ماذا ننتظر ؟ .

اضغاث أحلام



أحمد الأدندانى ووادى حريدين

فى أواخر الخمسينات ، عملت مع اخى الشهيد أحمد محمد الادندانى طيب الله ثراه ، بتكليف من المساحة الجيولوجية المصرية ، فى استطلاع وسط وشمال سيناء ، وهى المنطقة المسماه فى عرف الجيولوجيين باسم (حوض وادى العريش) ، وكان احمد ، رحمه الله ، مولعا بضرورة الاندماج التام مع البدو للتعرف على احوالهم ومثالياتهم ، والاستعانة بهم فى فهم حياة الصحراء ومسالكها ودروبها ، مع تدريبهم على كيفية المعاونة فى مضمار البحث عن (الثروة المعدنية) ، وبذلك تحقق لنا معا ، كثير من التوفيق فى تفهم حقائق عن جيولوجية سيناء ، اكاديميا ، واقتصاديا ، وخاصة فى اعالى روافد وادى العريش ، ذلك الوادى التاريخى ، الذى يشبه النهر ، إذا غذته روافده بماء المطر الوفير شتاء ، حتى يبلغ مداه عند (العريش) على ساحل البحر المتوسط ، مما جعل (بنى قريظة وقينقاع) يصرون على محاولة اقناع الرأى العام (العلمى) فى هذه الايام بان ما يسمى فيما بين أيديهم من التوراه ، والتلمود ، والمثناه ، باسم (نهر مصر) أو الحدود الجنوبية (للأرض المقدسة) هو وادى العريش ، ولهذا طردوا بعثة علمية أمريكية بعد نكبة ١٩٦٧ أثبتت ابحاثها وجود آثار مصرية قديمة العهد فى وادى غزة ، تنفى ما يدعونه من تزوير للتاريخ فى اضابيرهم ... ومن روافد وادى العريش واحد يأتى من منطقة (العوجة حفير) فى جنوب فلسطين ، يسمى (وادى حريدين) . ويتخذ هذا الوادى طريقه من الشرق الى الغرب خلال كتلة معقدة من الكثبان ، حتى يتصل بوادى العريش على بعد نحو من عشرين كيلو مترا جنوب البحر . وكانت كثافة الكثبان الرملية التى يخترقها ذلك الحريدين ، قد طمأنت القيادة المصرية ، وأدخلت فى روع (عباقرة) خطة ١٩٦٧ ، ان العدو لايمكن ان يتخذ هذا الوادى محورا لأى هجوم على العريش من الجنوب ... ثم تبين أن العدو كان قد توصل الى صنع دبابات (فى غفلة من كل أجهزة المخابرات) ذات (جنزير) محسوب العرض والسمك ، بحيث تسير به الدبابة بكل رشاقة ناقة طرفة بن العبد المشهورة ، على الرمال الناعمة ... وفوجئت مجموعة القوات المصرية بسيل هادر من المدرعات والمجنزرات والدبابات يتجه مع وادى حريدين نحو الطريق الرئيسية بين ابى عويقيلة والعريش ، فارسل القائد المسئول يطلب ذخيرة للمدفعية الصاروخية من مخازن (القاعدة) ونسى ، فى وطيس المعركة ان يوقع على (استمارة الصرف) أو يختمها بخاتم اللواء ، فكان أن رفض (أمين المخزن) صرف الذخيرة المطلوبة طبقا (للروتين) ، واضطرت القوات بعد نفاد ذخيرتها ، الى الانسحاب غربا صوب (جبل لبنى) ، وظلت الذخائر فى المخازن حتى استولى عليها العدو بدون (استمارة موقعة) ، فوجد احمد رحمه الله ، أن البدو قد اضافوا تاريخا جديدا الى هذا الوادى إذ انه قد علم منهم قبل سنوات ، ان من اساطيرهم التى يتخذونها حقائق تاريخية ، أن وادى حريدين كان يقيم فيه (ضبع) جسور شرس ، لا يفتأ يقطع طريق القوافل ويبطش باغنام الرعاة وإبلهم ، حتى اصبح مضرب المثل فى الوحشية ، ومبعث الخوف لكل سالك ، ومنتهى أية تهمة ، عندما تضيع ناقة او عنزة على يد سارق عابر أو لص محترف ، فيقال آنذاك (أكل ضبع حريدين بهيمة فلان بن فلان) ولا يصبح هنالك مجال للبحث عن الفاعل الحقيقى ، مادام ضبع حريدين مشجبا مستمرا خالدا ، تعلق عليه كل أفعال اللصوص وقطاع الطرق من الضباع البشرية .... ولست ادرى على وجه اليقين إذا كان هنالك فى أية صحراء عربية واد يسمى بأسم (حريدين) غير ذلك الذى ذكرت ؛ ولكنى اعتقد ، على وجه اليقين ، أن عالمنا العربى مليء ، بالتأكيد ، بمخلوقات ، معدة لأن تلصق بها صفات (ضبع حريدين) وتتخذ مشاجب لنعلق عليها أدراننا ، ونعزو إليها كل نتيجة سيئة يصل اليها تخطيطنا الذى نقوم به (دون ضغوط خارجية) أو تامر من (الاستعمار والصهيونية والمذاهب الهدامة) ، فهل آن الآوان يارب لكى (تقصف عمر) ضباع حريدين المتخذة مشاجب فى وطننا الكبير ، وتمنحنا القدرة على الاقلاع عن البحث عن (مشاجب) بل ان نبحث فى داخل نفوسنا عن حقائق اسباب تعثراتنا وفشلنا فى كثير مما نعمل افرادا وجماعات حتى وصلنا الى ما نحن فيه من تمزق وشتات وضياع..؟؟ .

قال لى احمد ، رحمه الله ، ذات يوم ، بعد أن حرنا فى معرفة أسباب احتراق إحدى خيامنا فى (منطقة عيون موسى) اسمع : لابد وان الذى حرق هذه الخيمة هو (ضبع حريدين) وأخشى أن يظل هذا الضبع العجيب يطارد امتنا الجريحة الى آخر الدهر ، وفعلا مضى هو الى جوار ربه قبل أن تظهر أية علامات على هلاك ذلك الوحش الوهمى .

درويش مصطفى الفار

د. حسين مؤنس

كلام فى السياسة

فى ندوة من ندوات الشباب التى أدعى إلى الحديث فيها بين الحين والحين سألنى واحد منهم :

ـ لماذا لاتكتب فى السياسة ؟ ألست ترى مشاكلنا المتراكمة والظروف العسيرة التى تمر بنا ؟ فما بالك اذا كتبت رجعت إلى الماضى تحدثنا عنه ، وباعدت ما بينك وبين الحاضر كأنه لا يعنيك ؟

قلت ـ ومن قال لك اننى لا أكتب فى السياسية ؟ اننى أكتب فى التاريخ والأدب حقا ، ولكن هذا فى صميم السياسة . ذلك أن السياسة لم تعد اليوم لعبة نفر قليل من الناس مُهمتهم الوصول إلى السلطان وحكم الناس والتسلط عليهم ، والاجتهاد فى البقاء فى السلطان جهد الطاقة . تلك كانت السياسة فى الماضى ، أيام بنى العباس وأيام الملوك فى أوربا فى العصور الوسطى ، وأيام لعب السياسة الطويل العريض خلال القرن التاسع عشر ، عندما كان يقود الناس رجال من أمثال نابليون وتاليران ومترنيخ ولوى نابليون ودزرائيلي وبالموستون وغلادستون ، فهؤلاء قوم كانوا يعبثون بمصائر الناس ويلعبون بمصالحهم لعبة غير شريفة ، وهم ـ بلعبهم هذا ـ قد أتاحوا الفرصة لرجل مثل كارل ماركس لينادى بهدم العالم الزائف الذى كان هؤلاء الناس سادته ، فقد قال لهم ما معناه : أيها السادة انتم كذابون منافقون . انتم تخدعون البسطاء وتتاجرون بعواطفهم لأن الشىء الوحيد الذى له قيمة فى حياة الأمم هو العمل ، وبدون عمل فلا تقدم ولا رخاء ولا ثروات ولا دول ! والعمل لا يتم بغير عمال ، فالعمال هم أساس القوة كلها فما بالكم تعبثون بهم وتشترون عملهم بأبخس الأثمان ، ثم تجمعون المال وتضعونه فى أيدى من تسموهم الأشراف وأصحاب الألقاب وأصحاب رؤوس الأموال ؟ـ

من ذلك اليوم يابنى فتح الناس عيونهم وتغير معنى السياسة ، فلم تعد كما ذكرت فن اللعب بالسلطان ، لأن السلطان ليس



نابليون



انتونى ايدن



بسمارك

لعبة ولا يمكن أن يكون لعبة ، وإنما أصبحت السياسة هى فن التنسيق بين جهود العاملين من ابناء الأمة .

وأوضح لك ما أريد أن أقوله : ان العمل وحده هو الأساس الذى تقوم عليه اليوم حياة الشعوب . والعاملون وحدهم هم الذين يحسبُ لهم حساب فى عالم اليوم . والعمل لا يراد به فحسب العمل اليدوى بل كل جهد مثمر يقوم على علم ، فهناك فى كل بلد عمال يعملون فى المصانع الصغيرة والكبيرة ، ومهندسون وإداريون واقتصاديون يديرون هذه المصانع ، وتجار وظيفتهم تسويق ثمرات العمل ، وهناك كذلك زراع يفلحون الأرض ، ومهندسون زراعيون يرسمون خطط الانتاج الزراعى ، وهناك معلمون يعلمون فى المدارس وأساتذة فى الجامعات وكتاب وأدباء ومؤرخون ومفكرون وكتاب مسرحيون ، وكل جماعة من هؤلاء تكون تيارا او ميدانا من ميادين النشاط العام للبلاد ، ووظيفة رجل السياسة اليوم هى تنسيق جهود أولئك العاملين جميعا وتنشيط العمل فى كل ميدان من هذه الميادين وتوجيه الحصيلة العامة لما فيه خير المجموع ..

وأنا كما ترى عامل ، وميدان عملى هو الميدان الثقافى بصورة عامة ، فأنا أعلم وأكتب وأنشر وأساهم على قدر ما استطيع فى بناء صرح الثقافة العربية أو فى تقديم غذاء ثقافى سليم للمواطن العربى ، والثقافة هى اسلوب حياة الشعب وطريقة تفكيره ومستوى ذلك التفكير ، فكلما ارتفع المستوى الثقافى للشعب وغنيت حياته بالمادة الثقافية كان ذلك أعون للشعب على التقدم والنصر فى معركة الحياة .

فأنا أعمل إذن فى تيار كبير من تيارات الحياة العربية هو تيار الثقافة ، وغيرى يعمل فى ميدان الأقتصاد أو الطب أو الهندسة أو التجارة أو الزراعة ، وكلنا نعمل فى ميدان السياسة ، لأن جهودنا هى التى تكون التيارات التى يعمل رجل السياسة المتفرغ لها على التنسيق بين هذه التيارات والافادة من تلك الميادين على أحسن وجه يستطيعه ، فنحن السياسة وهو منسق السياسة ، ونحن الانتاج وهو الذى يعمل على أن يفيد الوطن من ذلك الانتاج .

وإذن فأنا فى اشتغالى بالثقافة أعمل فى ميدان السياسة . أنا سياسى إذ ألقى المحاضرات فى الجامعة ، وسياسى إذ أكتب فى الأدب ، وسياسى إذ أكتب القصص ، فكل هذه تيارات أو خيوط تتكون منها قوة الشعب العربى .

ويكون الخطأ عندما أترك ما أهلنى الله له من العمل العلمى الثقافى وأتجه إلى العمل السياسى المباشر كما يريد منى ذلك الشاب . هنا لن أحسن العمل قط ، وأتخلى عن موقعى فى ميدان العمل القومى العام .

ويكون الخطأ كذلك إذا نسي رجل

● أصبحت السياسة فى التنسيق بين جهود العاملين من أبناء الأمة

● العاملون وحدهم هم الذين يحسب لهم حساب فى عالم اليوم

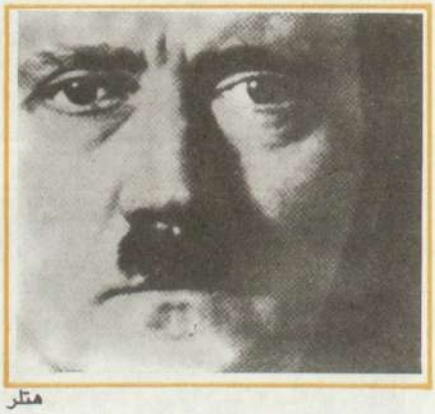
● إذا دخل رجل العلم فى السياسة أفسدها وأفسدته

السياسة أن عمله اليوم هو مجرد التنسيق بين جهود العاملين فى الأمة ، وتحديد مسار الأمة كلها على أساس ثمرات جهود العاملين فى كل ميدان ، يكون الخطأ اذا حسب رجل السياسة أنه يفهم فى كل ميدان أكثر مما يفهم أصحابه اذا تصور أنه عالم واقتصادى وزراعى ومهندس وطبيب ، وتصدر لرسم المسار لكل ميدان ليحقق هدفا يرتسم فى ذهنه ، لأنه مهما بلغ عمله فلن يستطيع الاحاطة بكل شىء ، ويكون ما يعمله خسارة على الأمة ، لأنه يعطل جهود العاملين ويحول دون الأفادة منها ويوجهها كلها توجيها خاطئا . وتلك كانت خطيئة الكثيرين من رجال السياسة فى العصر الحديث . وأكبر مثال لذلك هو أدولف هتلر ، فلا شك فى أن ذلك الرجل كان ذكيا وقادرا وكان قائدا ممتازا للشعب ، ولكن خطأه الأكبر جاء من أنه رسم سياسته على أساس الانتقام ممن تصور أنهم كانوا سبب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، فتدخل فى شئون الجامعات والتعليم ودس أنفه فى التجارة والمال ، وزعم لنفسه أنه عسكرى يفوق العسكريين المتخصصين فى فن العسكرية . فعطل كل جهود شعبه وساقه إلى الدمار .

الخداع والكذب

وقد تحدث ابن خلدون فى السياسة حديثا طويلا ، ولكن يحضرنى من كلامه فى ذلك الفن قوله إن الفقيه – أى رجل العلم بمفهوم عصر ابن خلدون – إذا دخل فى السياسة أفسدها وافسدته ، وهذا حق ، فان لرجل العمل مكانه وعمله ، فاذا تخلى عنه ودخل فى غيره أضاعه وأضاع نفسه .

وقد كتب ابن خلدون هذا الكلام وفى ذهنه مثال واضح جدا للسياسى القديم ، وهو محمد بن ابى عامر الفقيه الاندلسى الذى تخلى عن ميدانه وهو الفقه ودخل ميدان السياسة على أساليب السياسة القديمة ، وهى الخداع والكذب والوصول إلى



هتلر

السلطان بأى طريق ، ثم المحافظة على مكانه من السلطان بأى الطرق كذلك .

وقد كان أهل الأندلس من انجح شعوب أمة العروبة ، فقد كانوا شعبا ذكيا متعدد ميادين النشاط يعيش فى وطن غنى وافر الموارد ، وكان انتاج هذا الشعب فى كل ميدان غزيرا ، وذلك بفضل السياسة الحكيمة التى سار عليها أمراء بنى أمية وخلفاؤهم فى الأندلس ، فقد كانت غالبية هؤلاء الأمراء والخلفاء تفهم السياسة أحسن فهم . كانوا يفهمونها على أنها تنسيق بين جهود ذلك الشعب الذكى ، ولم يؤثر قط عن عبد الرحمن الأوسط أو عبد الرحمن الناصر أنهما تدخلا فى صناعة الصانع ، أو زراعة الزارع ، أو علم العالم ، إنما هم جعلوا أنفسهم فوق ذلك كله ، واكتفوا بتشجيع أصحاب المواهب والتنسيق بينها فى ذكاء ومهارة . ولقد كان عبد الرحمن الناصر لدين الله يقود جيوش الخلافة بنفسه ويفرض آراءه على العسكريين حتى منى بهزيمة قاسية فى معركة تسمى الخندق ، فترك القيادة لأهلها واكتفى هو بعمله الحقيقى كرئيس للدولة ، وهو تشجيع العاملين والتنسيق بين جهودهم ، ولهذا فقد نجح عبد الرحمن الناصر فى عمله خليفة للأندلس كما لم ينجح خليفة أو أمير من قبله .

ثم جاء صاحبنا محمد بن ابى عامر ، فمازال يدفع الناس بمنكبه حتى وصل إلى الحجابة، وهى رياسة الوزارة ، ثم تدخل فى كل الميادين حتى شل نشاط الناس أجمعين ، ولم يعد أحد يعمل فى البلاد غيره ، حتى القيادة العسكرية زعمها لنفسه وجعل نفسه قائدا أعلى ، ومضى يقود الجيوش ، وزعم المؤرخون أنه لم تهزم له راية قط ، وربما كان هذا حق ، فقد كانت معظم غزواته ضربات سريعة قليلة الأثر ، ولكن الذى انهزمت رايته على يد المنصور محمد بن ابى عامر كانت أمة الاندلس كلها ، فقد أهلكها لكى يبنى مجد نفسه ، وطارد أصحاب المواهب والقدرات فى كل ميدان حتى لم يبق إلا هو فى الميدان . فلما مات سنة ١٠٠٢ ميلادية كان كل شىء فى الاندلس قد مات قبله : كان قد قضى على كل رجل ذى ملكة سياسية ، وتعقب بالقتل والسجن كل النابهين من رجال البيت الأموى حتى انفرد هو بالسلطان الاعلى والرأى الأوحد فى كل باب ، واورث ملكه هذا لابنه ، ثم ابنه التالى ، وعليه قامت ثورة الاندلس كله سنة ١٠٠٩ أى بعد سبع سنوات فحسب من وفاة هذا الطاغية ، وبدأت الفتنة التى قضت على خلافة قرطبة سنة ١٠٣١ وبقية تاريخ الاندلس بعد ذلك لحن جنائزى طويل استمر أربعة قرون لم تقم للأندلس خلالها قائمة حتى قضى أمره وانتهى على يد فرناندو وإيزابيلا سنة ١٤٩٢ ميلادية .

وهذا الرجل ، مثله فى ذلك مثل هتلر وموسوليني ونابليون وبسمارك ودزرائيلى وغلادستون من رجال السياسة القديمة ، مخرب ، وهؤلاء جميعا مخربون والذى جعلهم مخربون هو أنهم لم يفهموا أن السياسة هى التنسيق بين جهود الشعب وتيارات نشاطه وانتاجه وتوجيهها فى مسار متناسب مع هذه الجهود ومقدر على أساس ملكات الشعب وقدراته ، فمن الأخطاء البالغة للكثيرين من قادة الأمم انهم يتخيلون احلاما ويقسرون شعوبهم على تحقيقها فينوء الشعب بذلك ويسقط فى

الغرق ، ومن أمثلة ذلك فى القديم الاسكندر الاكبر ، الذى تصور انه يفتح الدنيا بشعبه المقدونى ، فقضى عمره القصير يحارب الشعوب من مصر غربا الى الهند شرقا ، ثم اعياه الجهد فمات فيما يعرف الآن بأفغانستان ، وكان الشعب المقدونى قد مات قبله ، فقد استهلكه هذا الرجل ليحقق حلمه

ومن أمثلته فى العصر الحديث بنيتو موسوليني ، الذى تصور انه يصنع من الايطاليين اليوم رومان الأمس ونسي أن يوليوس قيصر نفسه لو عاش فى أيامنا لما كان أكثر من جنرال فى احد الجيوش الأوربية ، ومضى موسوليني يحاول أن يبنى بشعبه الايطالى امبراطورية رومانية ، فأما هو فقد انتهى أمره معلقا فى حبل مشنقه فى مدينة كومو فى ايطاليا ، واما شعبه الايطالى فقد قام بمهزلة لم يسمع بمثلها فى التاريخ ، فقد دخل هذا الشعب الحرب الكبرى إلى جانب الألمان محاربا للانجليز والفرنسيين والامريكيين وخرج منها محاربا للألمان إلى جانب الانجليز والفرنسيين والامريكيين . وهذا كله من عمل ذلك المغرور الفاضل بنيتو موسوليني .



جلاد ستون



تاليراند



موسوليني

صناع المأساة

وكل هذا الطراز من السياسيين يجلب على نفسه وشعبه المصائب ، بل هو لا يمكن أن يجلب على شعبه إلا المصائب ، لأن السياسة ليست تحقيق أحلام إنسان واحد مهما كان ذلك الانسان ، وليست خداعا واحتيالا لبلوغ السلطان ثم الاجتهاد فى المحافظة على السلطان .

ولقد تعودنا أن نعجب بساسة الانجليز ونتعجب من نجاحهم ومهاراتهم فى خدمة بلادهم ، فاذا تفكرنا فى أمور سياساتهم الانانية الشريرة وجدنا أن انجلترا اليوم تدفع ثمن مكر سياسييها من وليم بت الاصغر إلى ونستون تشيرشل ، فقد كان هَمُّ السياسى البريطانى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خداع شعوب الدنيا لحساب بريطانيا ، فبنوا الامبراطورية واستذلوا شعوب الدنيا ، فانظر إلى الانجليز اليوم تراهم – رغم علمهم ونشاطهم وتفوقهم فى كل ميدان ، احفل شعوب أوربا بالمشاكل والمتاعب ، وبعد أن كانوا يحتلون بلاد الناس أصبح الناس من اهل مستعمراتهم السابقة يحتلون بلادهم ويكلفونهم ما لا يطيقون .

وما من مشكلة يعانيها العالم اليوم إلا وبدايتها عند سياسى بريطانى من أولئك المكارين الدهاة ، فهم صناع مأساة فلسطين ، ومن غيرهم خلق تلك المشكلة ؟ وهم صناع مشكلة قبرص ، وهم سبب مشكلة روديسيا ، وهم سبب المآسى التى تعانى منها الهند ، وهم السبب الأكبر فى متاعب مصر والسودان ، وإن الانسان لينظر اليوم باحتقار بالغ لرجال من أمثال دزرائيلي وبالمرستون وكاسلريه وتشارلس غوردن وصمويل بيكر ، وصمويل هور ولويد جورج وبقية السلسلة إلى انطونى إيدن لأن اولئك الرجال أرادوا بناء مجد شعب واحد على أشلاء بقية الشعوب ، فجعلوا الشعوب أشلاء ثم انضاف إليها فى النهاية شلو الشعب الانجليزى نفسه

وما من اهل سياسة كانوا اعون لكارل ماركس فى عمله من الانجليز ، فهم بناة الرأسمالية البغيضة التى جعلت العمال المعذبين فى عالم الرأسمالية الانجلو سكسونية يصغون لكلام ذلك اليهودى الخبيث ، واذا نحن تأملنا الأمور مليا وجدنا ساسة الانجليز وراء كارثة الشيوعية ، فلولا سياسة الاستعمار المهلكة التى انتهجها ساسة الانجليز واستصفوا بها دماء الشعوب لما كان للشيوعية هذا النجاح كله بين جماهير الشعوب التى اهلكها الانجليز وساسة الانجليز ...

● ● ●

وبعد ، أيها الشاب ، أتريدنى بعد ذلك أن اترك ما أنا فيه من خدمة الثقافة وانصرف إلى السياسة ؟

أظن أنك ترى أن مذهبى فى العمل السياسى كما بينته خير مما تنصحنى به ، ولو تأملت ما قلت فلعلك سائر فى السياسة على هذا النهج الذى اسير عليه ، فأنا فى صميم السياسة دون أن أفسد السياسة ، وأنا فى خدمة العلم والثقافة اعرض على الاقل ما أنا صانع ، فاذا أنا دخلت السياسة فلا أنا فاهم ما أصنع ولا أنت فاهم !

د. حسين مؤنس

هناك طراز من السياسيين يجلب المصائب على نفسه .. وشعبه



فنون الرقص الشعبى فى قطر

تحقيق : سائد درويش

إن الحديث عن الرقص الشعبى القطرى أو الخليجى بصفة عامة لابد وأن يجعلنا نعتلى احدى مراكب الصيد أو مراكب الغوص على اللؤلؤ ، حتى نتمكن من استعراض فنون الرقص البحرية بالاضافة الى فنون الرقص الشعبى البرية المنتشرة فى هذه المنطقة .

وفنون الرقص الشعبى القطرى متعددة الاشكال مختلفة الأداء .. من أهمها العرضة (الرزيف) ، السامرى ، الخمارى ، اللبوة ، الطمبورة ، العاشورى والهبان ، بالاضافة إلى الفنون البحرية بانواعها المختلفة .

رقصة العرضة (الرزيف)

وهى من أشهر الرقصات الشعبية الجماعية المنتشرة فى قطر والتى تعود إلى أصل عربى عريق حينما كانوا يرقصون رقصة السيف التى غالباً ما كانوا يرقصونها فى مناسباتهم الوطنية وغزواتهم وانتصاراتهم . ورقصة السيف هذه استمرت الى يومنا هذا مع شىء من التطور واستخدام البنادق بجوار السيوف بعد أن استخدمت البنادق فى الحروب ويكون الرقص فى العرضه جماعيا بعدد غير محدود ، حيث يرزفون فى صفوف منتظمة على انغام الطبول والطارات وهم يحملون السيوف وحرابها وكذلك البنادق . ويقف حاملو الطبول والدفوف (الطارات) فى حلقة الرقص ، وعندما تشتد الموسيقى وتزيد سرعتها ..

الطنبورة آلة موسيقية عربية قديمة .. كان اسمها فيما مضى « الكنارة »

الآلات الموسيقية العربية القديمة



فانك تشاهد موجات متلاطمة من السيوف والبنادق التى يحملها الراقصون ، وبين الحين والآخر تتوقف الموسيقى لدقائق حتى يرتاح الراقصون قليلا ، ثم تعود للعزف مرة أخرى . ورقصة العرضة ، التى تقام فى الافراح والاعياد والمناسبات الوطنية والخاصة ، تعنى الرجولة والفروسية والشجاعة .

رقصة الليوة

ومن الرقصات الشعبية أيضاً ـ ـ رقصة الليوة .. التى تختلف فى الادوات التى تستخدمها عن رقصة العرضة .. فهى تستخدم الصرناى كآلة رئيسية وهو أقرب ما يكون إلى المزمار من ناحية الشكل .. والمزمار آلة موسيقية عربية قديمة وغنية عن التعريف . كما يستخدم فيها صفيحة من التنك يطرق فوقها النغم بواسطة قطعتين من الخشب . هذا بالاضافة إلى ثلاثة طبول احداها كبير واثنان آخران يعرفان باسم مسوندة ومسوندة صغير .

ويقف الراقصون فى حلقة متسعة . بعضهم يحملون العصى ، وعندما تعزف الموسيقى انغامها يبدأون بالرقص فى شكل دائرى حسب نغمات الموسيقى .

أما « الفوندى » (مطرب الليوة) فهو الذى ينشد اللحن بواسطة الصرناى ثم يردد الراقصون الكلام بعده .

الايقاع الدافىء والنغمات الراقصة



حلبة رقص



رقصة الطنبورة

« والطنبورة » اسم الآلة الموسيقية الرئيسية التى تستخدم فى هذه الرقصة .. وهى آلة موسيقية عربية قديمة جدا .. كانت تسمى فيما مضى « الكنارة » وقد جاءت تلك التسمية مشتقة من الاسم البابلى « كناروم » والتى وردت فى الكتابات المسمارية ولا تزال هذه التسمية العربية « كنارة » مستخدمة فى الوقت الحاضر فى أجزاء من بلاد الهند ... ولكن الكنارة اصبحت تعرف فى كثير من البلاد العربية باسم السمسمية وصندوقها الصوتى مستطيل كما تعرف فى منطقة الخليج العربى باسم « الطنبورة » وصندوقها الصوتى دائرى الشكل .. ويعتبر أقدم ظهور لآله الكنارة فى العالم فى العراق حوالى سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد كما جاء فى كتاب الدكتور صبحى أنور رشيد « الآلات الموسيقية فى العصور الاسلامية » . كما أن مؤلف الكتاب قد شاهد بنفسه فى ضواحى مدينة العلا بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٩ كتابات ورسوم منقوشة على جبل عكمة ومن ضمنها مجموعة من الكنارات هذا بالاضافة الى أن التنقيب على الآثار فى جزيرة فيلكة بالكويت قد أظهر ختماً منبسطاً عليه مشهد عازف على كنارة شبيهة بالكنارة السومرية .

وبعد هذه النبذة عن هذه الآلة الموسيقية العريقة نعود الى الرقصة المشهورة بنفس الاسم .. حيث يوجد بالاضافة الى الطنبورة أربعة طبول

رقصات الصيادين



اثنان على اليمين وآخران على اليسار ثم صفين من الراقصين أمام الطبول .. احدهما للرجال والاخر للنساء ، وقد يكون الصفان للرجال فى بعض الأحيان .

ثم تبدأ الموسيقى بالعزف ويبدأ الراقصون بالتحرك حيث يسير الصف الأول فى اتجاه الصف الآخر حتى يصلوا إليهم ثم يعودوا ادراجهم الى الوراء فيبدأ الصف الآخر بالتحرك فى اتجاههم وهكذا .

رقصة الهبان

والهبان أيضا اسم لآلة موسيقية أشبه ما تكون بالة موسيقية قديمة هى مزمار الجراب والتى تتألف من قربة (جراب) من الجلد وفيه ينفخ العازف بواسطة المزمار ويكون عادة فى القرية مزامير أخرى لاخراج الصوت من نفس الجراب بعد الضغط عليه .

وهى رقصة جماعية يقف عند ادائها الطبل فى المقدمة ثم الهبان ثم يشكل الراقصون دائرة وهم يتمايلون يميناً ويساراً تعبيرا عن تفاعلهم مع الأداء .

ورقصة الهبان أصلها من بلاد الفرس ، وصلت إلينا نتيجة الاحتكاك بالحضارات المجاورة كما ذكرنا من قبل .

فرق الرقص الشعبى

أما عن فرق الرقص الشعبى فى قطر فهى كثيرة وتشتهر فى جميع فنون الرقص الشعبى القطرى .. ولقد رأينا أن نختار مجموعة من هذه الفرق الشعبية لتمثيل جميع الألوان الشعبية فى الرقص :

فرقة مبارك بن سعيد وفرقة سعد عواد : (للفنون البحرية والعرضة (الرزيف).

فرقة بدوى بن فرحان وفرقة راشد عبد الله :

(للطنبورة والليوه)

فرقة أبو شنب :

(للهبان)

أما الفرق النسائية فاشهرها :

فرقة زيادة مفتاح

فرقة اسماء بنت راشد الحارب

فرقة مالكة بنت عبد الله

فرقة زهرة مجلى على

وهذه الفرق تقدم جميع الفنون الشعبية.

مجالس الرقص الشعبى

ومجالس الرقص الشعبى هى الاماكن المخصصة لكل فرقة من الفرق الشعبية التى تتجمع فيها للتدريب وتقديم نشاطاتها فى هذا الميدان .. وهذه المجالس أو الدور كما يطلق عليها أيضاً ..تسمى بأسماء اصحاب الفرق الشعبية فمثلا تقول دار مبارك بن سعيد أو دار سعد بن عواد .. وهكذا .. وفكرة هذه الدور منتشرة فى جميع دول الخليج العربى .. وفى بعض هذه الدول مثل الكويت قامت الدولة ببناء دور خاصة للفرق الشعبية الكويتية .. ووزارة الاعلام القطرية تدرس الآن اقامة دور خاصة للفرق الشعبية القطرية ايماناً من دولة قطر بأهمية التراث الشعبى القطرى وضرورة الحفاظ عليه من الاندثار .

الفرقة القومية للفنون الشعبية

إن الدراسة العلمية المتخصصة للفنون الشعبية القطرية يمكن أن تتبلور من خلال فرق الفنون الشعبية التى تتكون عبر هذا الاطار العام .

ودولة قطر قد حرصت أشد الحرص على دراسة تراثها الشعبى دراسة علمية

● اتصال العرب بحضارات البلدان المجاورة خلق جوًا مناسبًا لتطور هذا الفن

مجالس الرقص الشعبى



وافية ومن ثم بلورته من خلال الفرقة القومية للفنون الشعبية القطرية التى استقدمت لها متخصصين على أعلى المستويات من حيث الكفاءة والخبرة الواسعة فى هذا الميدان من أجل انشائها على أسس فنية تعبر بصدق وتصور بأمانة حضارة أمة من خلال تراثها الشعبى .

البداية والتاريخ

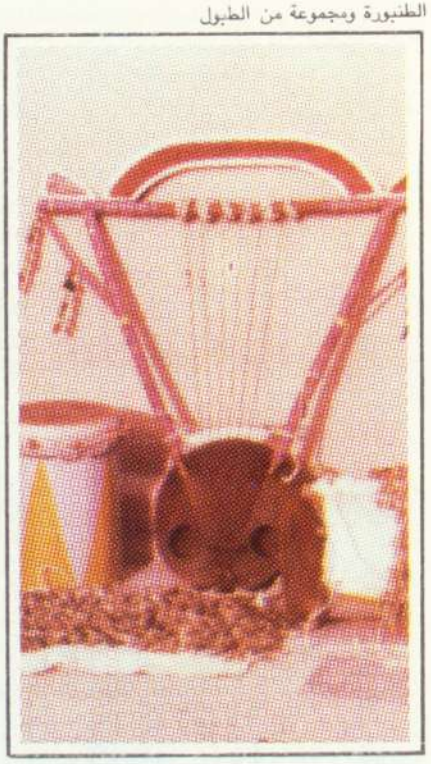
ويمثل الرقص الشعبى فى محتواه ـ شكلا وموضوعا ـ صورة تاريخ عريق ، لفن برزت فيه المشاعر والأفكار والحركات داخل اطار من الايقاعات الموسيقية البديعة .. وفى هذا المقام فانه يصعب الفصل بين الرقص الشعبى والأغنية الشعبية ، فهما متداخلتان إن لم تكونا متلازمتين ، فالرقص الشعبى يمثل ما تمثله الأغنية الشعبية من تعبير عن روح الشعب وأحلامه وطموحه وقد اختلف المؤرخون حول بداية هذا الفن ، وهل الرقص هو الذى تقدم على الغناء أم ان الغناء هو الذى تقدم عليه . ولكن هذا الاختلاف لا يبدل شيئاً من الحقيقة التاريخية التى تقول ان الرقص ـ شأنه شأن الغناء ـ كان فى البداية تقليدا لعناصر الطبيعة وكائناتها وتعبيرا لاساليبها فيما تؤديه من حركات ، وهكذا كانت الخطوة الأولى هى الرقص الاتباعى .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة الابداع فأخذ الانسان يبتدع الحركات الراقصة التى تنبع من عالمه الباطنى بعد أن كانت فى المرحلة السابقة نابعة من عالمه الخارجى . فأصبح هذا الفن المتموج ينطلق من حركات منسجمة ترسم فى الفضاء الرحب صورا من مشاعر ولوحات من أفكار .

وتابع بعد ذلك الرقص الشعبى مجراه التاريخى وهو يحمل فى ذاته أشياء قديمة جدا ولكنها ليست مجرد حركة ذات ايقاع فقط ، وانما رمزا لمعتقدات وافكار .

فالرقصات التقليدية المتوارثة عبر العصور انما هى فى الحقيقة عبارة عن رموز لأفكار ومعتقدات السلف ، انقرض بعضها ثم تطور البعض الآخر مع تطور العادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار ، فرقصة البطن التى تعتبر من أكثر الرقصات انتشارا فى المنطقة العربية انما كانت ترمز عند ظهورها الى الأم الأمومة التى تعانيها فى فترة الحمل والولادة . وكذلك رقصة الحلقة التى تعتبر من اقدم الرقصات ظهرت نتيجة لارتباط الانسان بالشجرة المثمرة ثم دورانه حولها . حتى الرقصات التى ترتفع فيها الايدى الى أعلى ، انما كانت تعنى فى الماضى التعبد والابتهال الى تلك القوة التى تحكم دقائق هذا الكون العجيب . لقد اضفى الانسان القديم الطابع الدينى على رقصه فكان يتقرب بهذا الفن الى الاله يستجديه الغيث

الطنبورة ومجموعة من الطبول



ويستجير به لطرد الأرواح الشريرة ثم يشكره على ما يهبه من النعم فعرفت رقصات الاستسقاء والحصاد وشفاء المرض وغير ذلك ومثلما كان الرقص فى الماضى تعبدا كان أيضا يعبر عن الاحاسيس الجياشة فى الاعياد والمناسبات المختلفة حتى الحرب كان لها رقصتها .

فنون العرب

وكان فن الرقص معروفاً عند العرب مثلما كان معروفاً عند سائر الشعوب المختلفة . وإذا كانت الشعوب القديمة قد وجدت أثرا لرقصها الشعبى منقوشاً على الجدران فانه كان من المستحيل وجود مثل هذه الآثار فى التراث العربى ، نتيجة لطبيعة البادية التى كان يعيشون عليها وصعوبة الاحتفاظ بالنقوش التى يمكن أن تعطينا فكرة عن فن الرقص عند العرب وانما نجد أن التاريخ يروى لنا القصص والحكايات التى تبرز لنا ملامح هذا الفن عندهم . فقد جاء فى الحكايات أن العرب فى جاهليتهم كانوا يمارسون الرقص الدينى مثل « رقص الدوار » ويمثل هذا الرقص طواف العذارى حول الأوثان كما مارسوا الرقص الوجدانى الذى يتمثل فى رقص الجوارى فى الأعياد والأفراح ، وكذلك مارسوا الرقص الحربى واشهره رقصة السيف التى يرقصونها فى الحروب والغزوات هذا بالاضافة الى رقص العبيد مثل رقصة الزفن .

وكلمة الرقص لم تكن تعنى عند العرب ذلك المفهوم الفنى للرقص .. وانما عرف العرب معناها كما جاء فى معاجم اللغة القديمة وهو الاضطراب والاسراع والعجلة ، والحركة الموقعة . ولا نعرف على وجه اليقين ماإذا كان العرب فى جاهليتهم قد عرفوا الانواع الاخرى من الرقص التى عرفتها الشعوب الاخرى مثل رقصة الاستسقاء ورقصة الحصاد ورقصة شفاء المرضى وغيرها من الرقصات .. وكل ما عرف عنهم من ألوان الرقص هو الهزج والخبب ، بالاضافة الى ما روته كتب التاريخ والأدب عن قيان روميات كن يرقصن فى قصور الغساسنة والحيرة ، كما كانت تفد من الحبشة الى الحجاز فئة من الغانيين والغانات .. وكل هذا لابد وأن يخلف وراءه أثرا لا يمكن التعرف على مداه . وان اتصال العرب المباشر بحضارات البلدان المجاورة خلق جوا مناسباً لتطور فن الرقص . ولعل أكثر النواحى الفنية التى أثرت على فن الرقص عند العرب هى تلك التى جاءت من بلاد فارس حيث ظهرت نتيجة لتقليد العرب للفرس فى أسلوب حياتهم رقصات يصعب معرفة أصلها على وجه الدقة مثل (الكرج) و (الدستنبرا) . هذا وقد مر فن الرقص خلال تطوره فى مراحل متعددة منها ما يشمل تطوير اللحن وبعضها يشمل الحركات المرافقة للرقص وثالثتها تطوير الحركات دون اللحن ، ورابعتها الحركات واللحن معاً



منظم الايقاع

الرقص والايقاع

وبعد أن عرف الرقص بانه الحركة الموقعة أخذ قدامى المؤرخين يحددون أشكال الايقاع التى تستخدم فى الرقصات وأوصلوها الى ثمانية أجناس هى : الخفيف ، والهزج ، ثقيل الثانى ، خفيفه ، خفيف الأول ، ثقيله ، الرمل ، خفيف الرمل كما جاء فى كتاب الأغانى ، ولعل هذه الأجناس هى نفسها ضروب الغناء .. حيث يصعب الفصل بين موسيقى الرقص وموسيقى الغناء . لأن الغناء يصاحب الرقص فى معظم اشكاله والعرب يرجعون انواع الايقاع فى الرقص الى نوع الفقرات ، فقد تكون هذه الفقرات خفيفة أو ثقيلة وقد تكون مزيجا بين الاثنين معاً .

وبعد هذا العرض لفن الرقص فى قطر وأصوله الانسانية والعربية ، يمكننا أن نقول ان الرقص الشعبى فى دول الخليج العربى كلها متشابهة الى أبعد الحدود .. فالادوات واحدة من الطبول والدفوف الى الصرناى والطنبورة والهبان وغير ذلك وكذلك الألحان متشابهة الى حد كبير حيث لا فرق إلا فى نطق بعض المخارج والكلمات احياناً أخرى .

وهكذا فان وحدة التراث تضاف الى وحدة الأرض والدين واللغة والتاريخ لأبناء الخليج العربى .

سائد درويش

جمال الغيطاني

عندما أصبحت طنجة مهر الأميرة

سوق الصناعات الشعبية فى شوارع طنجة



.. لا أدرى ما الذى يثيره فى نفسى اسم مدينة « طنجة » ، سواء قبل الزيارة أو بعدها ، غموض أكيد ، لكن ما نوعيته وما مصدره ؟ هذا ما أحاول البحث عنه وأنا أسجل تفاصيل طوافى بالمدينة التى انطلق منها ابن بطوطة ليرحل عبر العالم لسنوات طويلة ، ثم يعود ليموت فى نفس المكان الذى خرج منه .

جلست أحتسى الشاى الاخضر وأتابع الحركة الكثيفة فى الطريق ، يقع المقهى فى الجزء الأوربى من المدينة ، وهو جزء أصيل من المدينة ، يبدو ملتحما بها ، وليس منفصلا عنها كالأجزاء الحديثة فى فاس أو الرباط ، أو مراكش ، تسهر المدينة حتى ساعة متأخرة ، ويزخر شارع محمد الخامس بالرجال والنساء حتى منتصف الليل ، بعكس مدينة الرباط التى تهجع منذ السابعة مساء ، يشبه الجزء الاوربى مدينة الاسكندرية ، ومدينة الجزائر ، يبدو أن المدن التى تطل على البحر تكتسب صفات وملامح مشتركة ، بل اننى فى موضع معين قريب من الشاطىء كدت اشهق من الدهشة ، بالضبط كأننى ساقرأ لافتة تحمل اسم شاطىء سيدى بشر بعد قليل ، حتى أشجار النخيل الأنيقة المشذبة ، والبيوت المتراصة المتجاورة ذات الارتفاع الواحد ، والتى تقوم فوق مرتفع صخرى يشرف على البحر ، ولكن أى بحر تقع طنجة فى أقصى الركن الشمالى للقارة الأفريقية ، وهنا يلتقى أمامها البحر الابيض ، بالمحيط الاطلنطى ، يمتزج البحر بالمحيط ، وفى الساعات الصافية التى تخلو من الضباب يمكن رؤية مضيق جبل طارق ، وهناك مقهى يقع فوق مرتفع من المدينة ، تشرف منه على النقطة التى يحدث فيها اللقاء ، وفيه يمكنك أن تعتبر نفسك واقفا فى ركن القارة الشمالى بالضبط .

أعود الى الفندق ، وليل المدينة أخذ فى التأجج ، الملاهى عديدة ، ومتقاربة ، شأن الموانىء التى يرتاح فيها البحارة بعد طول سفر ، بالاضافة الى التاريخ الخاص بهذه المدينة التى حكمت لمدة تقارب النصف قرن بواسطة ثمانية دول أوربية ، فكيف عاشت فى ظل هذا النظام العجيب ، وكما تقول أمثالنا ، المركب التى تحمل قائدين لابد أن تغرق .

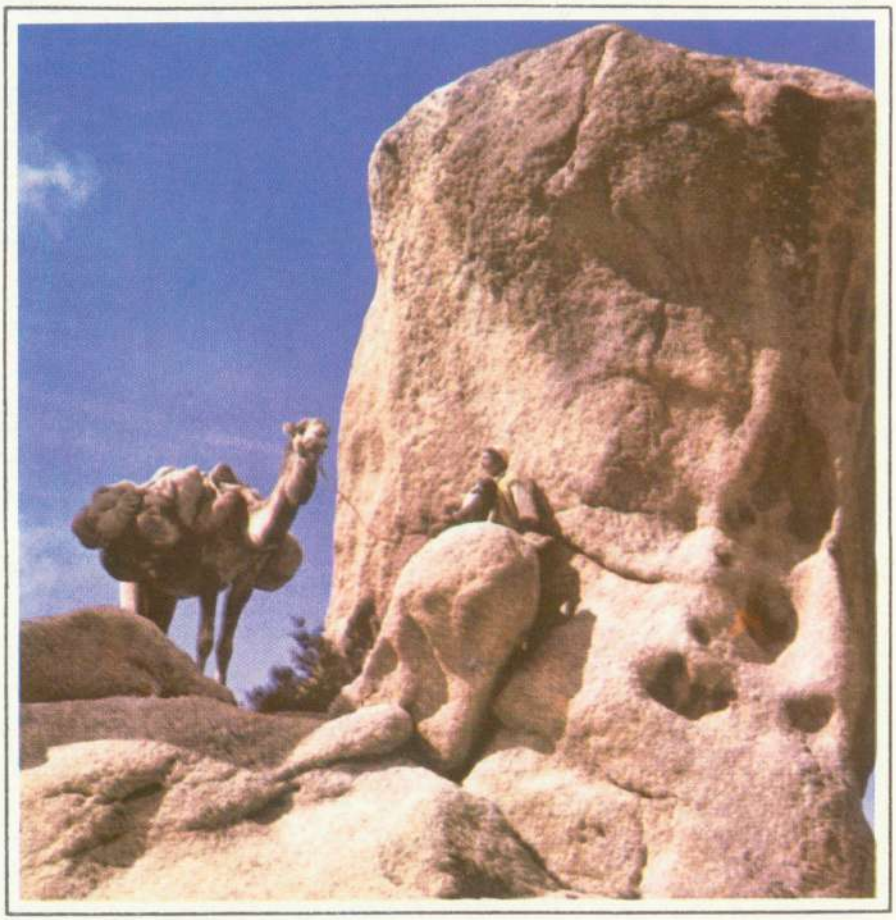
كهف هرقل

أبحث فى التاريخ عن أصل هذا الاسم ، واسرار تلك المدينة ، لماذا سميت طنجة ، الأسطورة تقول أن هرقل أثناء حروبه ضد تنجيس فصل الجبل بقوته ، وصنع مضيق جبل طارق ، ومات هنا ، ولازال يوجد كهف عميق يشرف على البحر ، يسمى بكهف هرقل ، لكن هناك ثمة اسطورة أخرى تقول أن سفينة سيدنا نوح رست هنا ، وأن أحد ركاب السفينة صاح عند رؤيته البر « الطين

● أبحث فى التاريخ عن أصل هذا الاسم وأسرار تلك المدينة لماذا سُمّيَت طنجة ؟ ومتى دخلها الإسلام ؟

● أثناء حكم الإنجليز تجددت الاضطرابات التى كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت

الطبيعة الخلابة فى المدينة التى انطلق منها ابن بطوطة



جاء » ، ومن ثم اشتق اسم « طنجة » ، ولكنها رواية اسطورية تبدو بعيدة عن التصديق ..

يقول التاريخ المكتوب ان المدينة كانت معروفة لدى الفينيقيين ، كانوا أول من استعمرها ، ثم جاء بعدهم المستعمرون البونيون ، وظهرت طنجة فى رحلات هانو سنة ٥٣٠ ق.م ، وفى عهد بوكوس الثالث (٣٨ق.م) أصبحت جمهورية ثم أعلنت روما أنها مدينة حرة وظلت على هذا الحال حتى عهد كلوديوس (٤٢ق.م) ، أى أن لمدينة طنجة سابقة تاريخية فى العصر القديم عندما أصبحت مدينة حرة ، ثم انتقلت الى حكم البيزنطيين ، لكن مدينة سبتة كانت هى المقر الرسمى لممثل امبراطور القسطنطينية .

ودخل الاسلام طنجة فى مستهل القرن الثامن الميلادى عندما احتلها موسى بن نصير ، وأوكل حكمها الى طارق ابن زياد ومنها خرج الى سبتة ، ثم الى اسبانيا فى سنة ٧١١م ، كان أول وال اتخذها مقرا له هو عمر بن عبد الله المرادى سنة ٧٣٢م ، وفى سنة ٧٤٠م استولى عليها ميسرة البربرى الذى أشعل ثورة كان الهدف منها ازاحة الحكم العربى ، ويعتبر المؤرخون أن ادريس الأول قد نزل بها عندما جاء من الشرق ، لكن موقعها لم يكن مناسباً ، وعندما تقاسم الادارسة الملك وقعت طنجة من نصيب القاسم ، وفى سنة ٩٤٩م ضمت الى أملاك الخلفاء الأمويين بالأندلس ، واستولى المرابطون على طنجة فى سنة ١٠٧٧م ، وعندما سقطت دولتهم انتقلت الى حكم الموحدين ، ثم الى دولة المرينيين .

غموض المكان

وفى سنة ١٤٧١م احتل البرتغاليون طنجة ، واستعمروها لمدة قرنين ، ثم انتقلت الى حكم اسبانيا فى عهد فيليب الثانى شأن أملاك البرتغاليين فى مراكش بعد انضواء البرتغال تحت لواء اسبانيا . فى سنة ١٦٦١م انتقلت طنجة الى أيدى الانجليز بعد زواج تشارلز الثانى من كاترين الطفلة .

لقد اصبحت طنجة جزءا من مهر هذه الأميرة ، وأثناء حكم الانجليز تجددت الاضطرابات التى كان يثيرها المجاهدون المسلمون من قبيلة جرفت ، واضطر الحاكم البريطانى ايرل بيتر بورو الى عقد هدنة مع المجاهدين على أن يؤدى لهم مبلغاً من المال ، ثم حاصر السلطان مولاى اسماعيل طنجة لمدة ست سنوات وكانت نتيجته ان جلى الانجليز عن المدينة فى فبراير ١٦٨٤م ، وعادت طنجة مدينة اسلامية . فى أغسطس ١٨٤٤ قذفها اسطول فرنسى صغير بقيادة الأمير جوانفيل بالقنابل ، وهزمت الجيوش المغربية ، وانتهت الأمور بطنجة إلى أن تصبح منطقة دولية يشترك فى حكمها ثمان دول أوربية ، مدينة دولية - ؟ إن هذا المصطلح يثير فى الذهن ، الغموض ، والتامر ، والتهريب ، حيث لا سلطة مسئولة ، أو طابع واحد للحكم ، هل كانت هذه الفترة سبباً فى اضفاء هذا الانطباع الغامض الذى يثيره فى النفس اسم « طنجة » ؟ ربما ..

في الساعات الصافية يستعد الصيادون لألقاء الشباك في البحر



لقاء في القصبة

كيف كانت الاوضاع في ظل الحكم الدولي ؟ ، إن افضل من يوضح لنا ذلك هو أول حاكم للمدينة بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م ، أي الرجل الذي أشرف على تصفية النظام البغيض واعادة المدينة الى المغرب ، وما بالك إذا كان هذا الرجل عالم كبير واديب ، إنه عبد الله كنون ، الأديب والمفكر المغربي الكبير ، رئيس رابطة العلماء المغاربة ، وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، ومجمع البحوث الاسلامية ، لحسن ظني كان الصديق أديب السلاوي على ميعاد مسبق معه ، اصطحبني الى منزله الذي يقع في القصبة ، حيث تعلو الأرض وتهبط ، وتتداخل الازقة ، وتنتصب البوابات الحجرية القديمة ، وكاننا نعبر من زمن الى زمن ، لا من مكان الى مكان كنت في القصبة استنشق هواء قادما من قرون سحيقة . إنه التاريخ المعاش ، ذلك الذي يتجسد في المكان رائقا ، احسنت الايدي المغربية الحفاظ عليه ، البيوت تتجاور ، تخفي اسرارها ، أبيض لون الجدران ، أخضر لون النوافذ ، أقدم منطقة في المدينة ، تعني القصبة المكان الذي يتحصن فيه الجيش ، كانت دائما مقر الحاكم ، كان السجن هنا ايضا ، لكن معالمه توارت ، هنا ايضا بيت المال ، القصبة هي الاصل وهي الاقدم ، يقوم الجزء الأوربي بأسفل ، لكنه حديث بدأوا فيه بعد تحويلها الى منطقة دولية ، وكان أول مبنى اقيم فيه دار النيابة ، صحيح انه جزء عضوي كما أشرت في المدينة ، لكن القصبة مكان وزمان مستقل بذاته في طنجة ، لاحظت أن القصبة تتجاور فيها مستويات اجتماعية متفاوته ، هنا قصر الامير الانجليزي يورك ويضم نفقا يصل مباشرة الى البحر ، وعدة قصور أخرى منطوية على نفسها لتصون عالمها الداخلي ، هنا أيضا قصر مولاي عبد الحفيظ الذي عقد الحماية على المغرب مع فرنسا واسبانيا سنة ١٩١٢م ، تخلى عن العرش في فاس ثم جاء الى المغرب ، وانتقل الى طنجة حاملا معه ثروته في صناديق ، نعم صناديق خشبية ضخمة ، إنها مرصوصة الآن في القصر ، لكنها خالية ، مفتوحة الأغطية ، عظة وعبرة ، تذكرت الصناديق التي خرج بها السلطان الغوري من القاهرة عام ١٥١٧م عندما اتجه على رأس جيشه الى مرج دابق ليلاقي السلطان العثماني سليم الاول ، وضع فيها كل ثروته ، ثم مات في المعركة ولم يعثر له على جثة ، وبالطبع نهبت الصناديق وأصبحت خزانة مصر خالية تماما ، القصر تحفة معمارية عربية ، في القصبة أيضا نجد عددا من العائلات الفقيرة ، وتبدو الحواري والازقة التي تسكنها هذه الاسر نظيفة معتنى بها ، اتجهنا الى زنقة ضيقة ، طويلة ، توقفنا أمام أحد الابواب الصغيرة ، اجتزناه الى الداخل ، وننتقل الى جو خاص ، منزل عمر بن منمنم ، تتوسطه نافورة صغيرة وحديقة ، في الطابق العلوي ينتظرنا عبد الله كنون تثير شخصيته الراحة في النفس ، انه بسيط بساطة العلماء المتعمقين ، يمثل تيارا قويا وأصيلا في الثقافة العربية هنا ، استطاع ان يناضل في ظل أعتى الظروف وحافظ على الثقافة العربية ،

تعليم العربية

قال عبد الله كنون أن تدويل أي مدينة يعني نكبة ، لأن هذه الدول التي تشترك في الحكم تأتي بصعاليكها ، وتوظفهم ، وتعطيهم أفضل المنافع ، ولا يراعي الجانب الوطني على الاطلاق ، كان الاهالي في طنجة لا ينتفعون على الاطلاق ، حتى الوظائف الحقيرة كانت للأجانب ، وتمتد هذه الصورة الى المجلس التشريعي الذي تمثل فيه الدول الثمانية ، كان للمغاربة ستة اعضاء في مواجهة ٢٤ عضوا أجنبيا ، وكان لليهود ثلاثة أعضاء ، لقد سيطروا تماما على الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى أن بعض الكتاب قالوا بأن طنجة هي اسرائيل الحقيقية ، كان البريد انجليزيا ـ أسبانيا ـ مغربيا أما المديرون ففرنسيون كان المجلس التشريعي يقنن لداخل البلاد ، لايوجد قاضي مغربي اطلاقا ، أما إذا كانت قضايا الجنايات والعقارات مغربية خالصة فانها تنظر في المحكمة الشرعيةالمغربية وإذا كانت

مدافع اثرية



شاطىء طنجة وشوارعها المتناسقة



● تدويل أى مدينة يعنى نكبة . لأن الدول المشتركة فى الحكم تأتى بصعاليكها لتعطيهم أفضل المنافع

تمس الاجانب فلا مفر من نظرها أمام المحاكم المختلطة ، أما أجهزة الأمن فكانت دولية أيضاً ، قوات الأمن شكلت من بلجيكا وفرنسا ، وفوق هذا كله أضافوا الادارة الدولية ، وكان فيها والى عام ، حاكم عام لطنجة ، يؤخذ من الجنسيات المختلفة ، وهو الذى ينظر فى المصالح الاقتصادية والصحية والأمنية ، الجمرك أيضاً كان مختلطا ، وكان هناك مجلس المراقبة مكون من دبلوماسيين من الدول الثمانية ، وكان حق الفيتو منصوص عليه فى هذا المجلس الذى انشىء قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، أما التعليم فكان حراً ، هناك مدارس مختلطة تابعة للرباط ، الايطاليون لهم مدارسهم ، وكان الفرنسيون لهم نفوذ كبير على الجالية المغربية ، وعندما بدأت هذه الموجة تكتسح المغاربة أدى ذلك الى تدمير الثقافة العربية ، بحيث أنه فى سنة ١٩٣٤م لم يكن هناك مغربى واحد فى طنجة يستطيع أن يكتب رسالة باللغة العربية ، كان تدريس اللغة العربية لمدة ساعة فى الاسبوع فى بعض المدارس .

فى مواجهة هذا أسس عبد الله كنون مدرسة مغربية خالصة ، كانت الأولى من نوعها لتعليم العربية فى طنجة ، وفى سنة ١٩٣٤ أصدر كتابه المعروف «النبوغ المغربى» ، وقد أصدرت فرنسا أمرا عسكريا بمصادرة هذا الكتاب ، أول مرة تصدر فرنسا أمرا عسكرياً بمنع كتاب ، ولاقى المؤلف مضايقات لا حصر لها ، لقد كان أول حاكم لمدينة طنجة ، وهو الذى صفى النظام الدولى ، وآثاره السلبية فى حياة المدينة .

النهار الجديد

صباح أول يوم من سنة ١٩٨٠ .

وقفت اتأمل السماء الملبدة بغيوم قادمة من البحر ، انتهى عقد بأكمله ، فى بداية السبعينات كان عام ٨٠ يبدو شديد البعد ، ما أكثر المشروعات التى بدا ممكنا تنفيذها حتى عام ١٩٨٠ ، يبدو أن إيقاع الزمن بعد بلوغ سن الثلاثين يصبح أسرع ، فى العشرينات يبدو رصيد الزمن لا ينفذ . يبعثر الانسان ايامه ، ويزهو بفائض الوقت ، وبعد بلوغ الستين يلتفت وراءه فاذا بباب اغلق ومن المحال أن يفتح مرة أخرى للتراجع ولو خطوة واحدة ، يد هائلة تدفع دائما الى الامام وها نحن نصل عام ١٩٨٠ ، ترى ماذا تحمل لنا السنين القادمة ، قضيت الليلة الاخيرة فى العام الذى أصبح ماضياً بمفردى ، كنت فى حجرة الفندق وحيدا حتى النخاع استرجع ما مضى وأتأمل مايمكن أن يجيىء وفى العاشرة مساء بتوقيت المغرب احتفلت ببداية العام الجديد بمفردى ، إذ أن الساعة كانت تعلن الثانية عشر وقتئذ ، وكان العام الجديد قد بدأ بالفعل هاهو صباح أول يوم من عام ١٩٨٠ .

قبل أن افارق طنجة ، ذهبت الى القصبة مرة أخرى ، كان الوقت مبكرا ، وبرودة يناير فى الطرقات الضيقة ، الصاعدة ، الهابطة ، كنت أسعى الى قبر ابن بطوطة المدفون هنا ، ودرت ونزلت ومشيت أحياناً فى زنقات لاتتسع إلا لمرورشخص واحد ، كنت افكر فى بدايات العام الجديد ، والمجهول القادم ، وفى ابن بطوطة الذى رحل معظم سنوات عمره يسعى لاكتشاف المجهول والخبيىء ويصل أطراف الدنيا ببعضها ، أخيرا أشار اديب السلاوى ومحمد شكرى الى بناء متواضع ضيق ، يقع فى زنقة (زقاق) لا يتسع لمرور رجل واحد إلا بصعوبة ، وكان المبنى يوحى بالضيق ، بابه ضيق لابد من الانحناء الشديد حتى يمكن العبور منه ، المكان ضيق يعبق برائحة عطر غامض ، أشار السلاوى الى الجدران وقال ان ابن بطوطة مدفون هنا ، اسفل الجدار ، لا معالم قبر واضحة ، خرجت من الضيق الى ضيق ، الزنقة بها بعض أطفال صغار راحوا يحملقون فينا بدهشة ، كنت اتأمل الضريح المتواضع والمكان الذى يصعب فيه التنفس ، طاف ابن بطوطة بالدنيا ، اتسع له العالم ، ثم ضاقت به هذه الزنقة المحدودة فى ذلك المكان المهمل من القصبة ، وليت ظهرى للقبر وداخلى شعور غريب ، قاتم الى حد ما ، بينما كان نهار العام الجديد يولد باستمرار ، والمدينة أصبحت وراءنا ..

جمال الغيطانى

نبيل خالد الأغا

أريحا بوابة التاريخ



وجه مدينة من فلسطين

أريحا مدينة النخيل



عشت مع اريحا غيابيا ، ولم اعش معها حضوريا إلا مؤخرا.

لقد كنت شغوفا لرؤيتها لأننى رغبت فى رؤية التاريخ من خلالها !

وفى الصيف الماضى ارتبطت اريحا فى خاطرى بموقف محير .

فعندما وددت زيارة وطنى الفلسطينى للمرة الأولى بعد حرب حزيران قال لى الناصحون فى عمان ـ وكنت استمزج آراءهم ـ مصيرك يتحدد فى اريحا : إما الى المعتقل فى صمت ، وإما الى البيت فى أمان !

وكانت اريحا هاجسى لأكثر من اسبوع بنهاره وليله ودقائقه !

واقتضت ارادة الله أن تتم الزيارة ، فكان ذلك اليوم القائظ من شهر أغسطس المنصرم.

اتجهنا الى سهل الغور ، وبعد ساعات قصار فى السفر ، وساعات طوال فى الاجراءات ، كانت حافلتنا الأردنية المتهالكة تقف على بعد خطوات من جسر « الملك حسين » ، وهو آخر نقطة أردنية صهيونية فرضتها نتائج حرب حزيران الاسود ، ومكثنا ننتظر الاذن لنا بالدخول من الجانب الصهيونى .

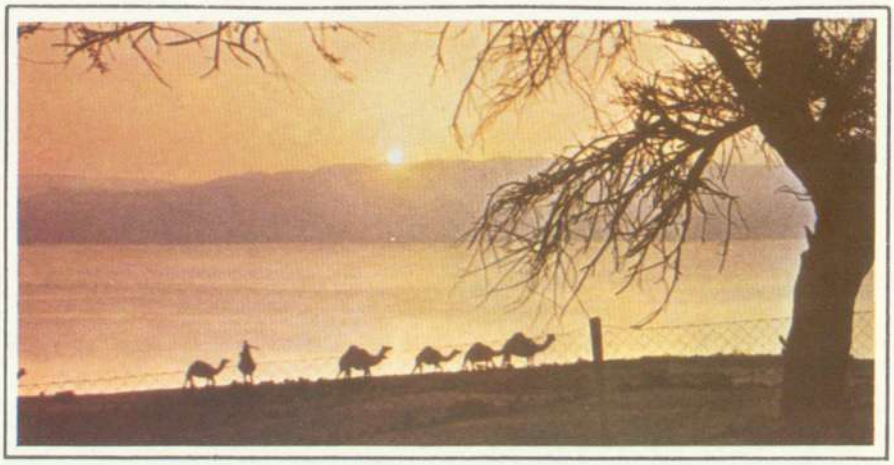
الرموز الثلاثة !

وقفت مشدود البصر ، محسور البصيرة أمام ثلاثة رموز رأيتها مجسدة لأول مرة ، ومن خلالها نبع و توالد ألف معنى ومعنى : نهر أردننا الوديع الذى تنساب مياهه الكالحة فى ألم ممض

● "جسر الأحزان" الذى عبرته آلاف النفوس الحائرة ... وروت أخشابه دموع المفارقين والمودّعين

● احتجزوا صور أطفالى .. ومازلت أجهل أبعاد الخطر الذى يهدّدهم بسببها !!

شروق الشمس فوق البحر الميت



شاطىء البحر الميت



ورتابة موحشة . و «جسر الاحزان» الذى يربط بين الضفتين المتعانقتين أبدا ، والذى عبرته آلاف النفوس الحائرة ، وارتوت خشباته المهترئة من دموع المفارقين والمودعين . والعلم الصهيونى القابع على صدورنا وانفاسنا متحدياً طموحاتنا وتواجدنا ذاته . وتطاير الشرر من عينى وقلبى وكبدى ، وتساءلت عمن اوصلنا الى هذا الوضع المهين الذليل ، ووجدتنى اردد بعض أبيات الشاعر العربى « قريط بن أنيف »:

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبح إبلي
بنو اللقيطةِ من «ذهل بن شَيْبانا»
اذن لقامَ بنصرى معشرٌ خُشُـن
عند الحَفيظَـةِ أن ذو لوثة هَانـا
لكنّ قومى وان كانوا ذوى عـددٍ
ليسوا من الشر فى شىء وان هانا

وبينـا أنا مسافر بخيالى عبر متاهات واقعنا العربى الموغل عجباً وغرابة ، إذ باحد احفاد « هرتسل » يلوح بيده ايذاناً بالموافقة على دخول حافلتنا ، وبعد ثلاثة أميال واجهتنا لوحة كبيرة على مبنى الجوازات والجمارك مكتوبة باللغتين العبرية والعربية : مركز حدود أريحا ، نرحب بالزائرين !

موقف عابر

دلفنا أولا الى قسم الجوازات المنظم تنظيماً يثير الدهشة ، وأغلب موظفيه من المجندات الصهيونيات ، ثم اتجهنا الى قسم التفتيش الذاتى ومنه الى صالة الجمارك الضخمة ، وبرغم الكثرة الهائلة فى اعداد المسافرين العرب يوميا ـ وبخاصة فى الصيف ـ إلا أن اعداءنا مستعدون لذلك تماماً .

ولن اسهب فى شرح عمليات التفتيش المتناهية الدقة التى تعرض لها كل ذى نبض وروح فينا ، لكننى أقول ـ بلا أدنى مبالغة ـ انه يستحيل على المرء أن يدخل معه عود ثقاب واحد دون أن تستشعره بعض حواس اعدائنا ، وهذا فى حد ذاته يعكس صورة القلق الذى يساورهم من نشاط الفدائيين الفلسطينيين .
سأذكر موقفا عابرا ..

فى « كابينة » التفتيش الذاتى طلبوا أن اسلمهم كل ما بحوزتى من أشياء مختلفة ، وفعلت . وسلمتهم خمس صور عادية جدا لأطفالى ، فأخذوها لمكتب التدقيق ، وخضعت لرقابتهم أكثر من ساعتين حيث اعادوها ، ومازلت حتى هذه اللحظة أجهل ابعاد الخطر الذى يهدد أمن « اسرائيل » من صور اطفالى !

وأخيرا .. خرجت من مبنى « القهر » الذى امتدت اقامتى فيه لأكثر من خمس ساعات ، وفى الخلف وجدت ساحة واسعة تتواجد بها عشرات السيارات المتجهة للمدن الرئيسية فى فلسطيننا المحتلة . ركبت احداها متوجها الى مسقط رأسى ، وبعد أيام مكثتها عند الاهل بخان يونس اتجهت الى أريحا لاستقرئها بعض صفحات من تاريخها .

أريحا : مهد الحضارة

لقد سميت اريحا باسمها الحالى نسبة الى « اريحا » الحفيد الرابع لسيدنا نوح عليه السلام ، وقد ورد فى معجم البلدان : « سميت باسم أريحا بن

أريحا

● الهزة الأرضية التى دمرت قصر هشام بن عبد الملك بعد وفاته بأربع سنوات

● سكان المدينة الذين ينحدرون من أصل مولع بالموسيقى والغناء

مدينة اريحا التى قيل عنها انها اقدم مدينة فى العالم



مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام » .

ويلاحظ أن هذا الاسم قد بقى على ما كان عليه منذ تسميته الاولى ، فلم يخضع لتبديل أو تحريف كما هو الحال لأغلب المدن التاريخية .

وتعتبر اريحا من اقدم المدن الكنعانية الحصينة التى ورد ذكرها فى أكثرية الاسفار القديمة ، وهى تقع على مسافة ٣٨ كيلو مترا شمال شرقى القدس ، وعلى مسافة ٨ كم غربى نهر الأردن ، ونحو ذلك شمال غربى البحر الميت .

وقد استدل الباحثون من الآثار التى تم اكتشافها فى « تل السلطان » باحدى ضواحى المدينة على أن اريحا هى اقدم مدينة مُسَوَّرَة عمرَها الانسان، فهى مهد الحضارة الاولى للانسان القديم .

وتاكيدا لهذه الحقيقة يقول الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار السابق فى الاردن « إن مدينة اريحا هى اقدم مدن العالم على الاطلاق كما بينها علم الآثار حتى اليوم ، وهى أقدم من مدينة دمشق بخمسة آلاف سنة ، وقد كانت اريحا مأهولة بالسكان قبل ايام ابى الانبياء ابراهيم الخليل بحوالى ستة آلاف سنة . وقد ثبت بأدلة تاريخية اثرية أن تدجين الحيوان ومعرفة الفلاحة والزراعة الاولى نشأت فى هذه البقعة من الارض بالذات » .

إلى ارض التيه

لقد هاجر سيدنا يعقوب « المعروف باسم اسرائيل» الى مصر حوالى عام ١٦٥٦ قبل الميلاد ، وفيها تكاثر نسله ، واصبح الاسرائيليون كَمًّا معدودا فى مصر ، إلا أن الفراعنة تمادوا فى قهرهم وإذلالهم وكسر انوفهم ، ومن هنا نبع تفكيرهم للنزوح منها فى عهد موسى عليه السلام .

ولقد تربى موسى فى بلاط رعمسيس الثانى على أرجح الاقوال ، فهو مصرَى المولد ، اسرائيلى الوجدان ، وفى يوم

رأى احد المصريين يضرب احد الاسرائيليين ، فاغتاظ موسى منه وضربه بعنف على رأسه فمات المصرى ، وخشى موسى أن ينتقم المصريون منه ، فهرب الى صحراء التيه ، وهناك تزوج بابنة النبى شعيب عليه السلام ، كما ورد ذلك مفصلا فى القرآن الكريم .

اتجه موسى وقومه الى سيناء ومن ثم الى فلسطين ، وفى الصحراء عطشوا وجاعوا فأكرمهم الله بالمن والسلوى وضرب موسى صخرة فانبجست عيونها . وزاد الله من اكرامهم ـ تقديرا لنبيهم ـ فساق لهم الغمام ليقيهم صهد الشمس ، غير انهم لم يقدروا الله حق قدره فكفروا بانعم الله « وضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

بعد انقضاء فترة التيه حاول موسى دخول فلسطين من ناحية سيناء فلم يفلح بسبب مقاومة اهلها له ، فاتجه اليها من جهة شرق الاردن ، فوافته المنية هناك . ويروى بأنه دفن على مقربة من « مادبا ».

كان يوشع بن نون هو القائد الداهية الذى خلف موسى فى قيادة اليهود ، وأحد الذين دخلوا فلسطين كجواسيس .

إبادة السكان

وكانت الخطة التى رسمها « يوشع » تقضى بابادة سكان فلسطين حتى يحل اليهود محلهم .

استطاع يوشع أن يجتاز نهر الاردن ، وحاصر وجنوده اريحا ، واحتلوها بعد أن ارتكبوا فيها مجزرة بشرية رهيبة ، قتلوا اثناءها ملك المدينة . وقد ورد فى سفر يوشع : « صعد الشعب الى المدينة (اريحا) وأهلكوا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب ». وعندما يقرأ الانسان ذلك .. تتبادر الى ذهنه وبصورة واقعية عشرات المجازر الهمجية التى ارتكبها احفاد يوشع فى : دير ياسين ، وقبية ، وخان يونس ، وكفر قاسم ، وجنوب لبنان ، وقلقيلية ، وغزة ، وأبى

قمة الجبل المقدس



زعبل ، والسموع ، وبحر البقر.. وغيرها.

وبمثل هذه الطرق التى تفتقر الى الحد الادنى من الآدمية تمكن يوشع من احتلال قسم كبير من المدن الكنعانية .

اريحا : هدية لكليوباترا !

لقد اشتهرت اريحا منذ القدم بأنها خصبة التربة ، عذبة المياه ، دافئة الشتاء ومابرحت تتمتع بهذه المزايا حتى اليوم ، ويقال بأن (انطونيوس) الرومانى قدمها هدية الى حبيبته كليوباترا ، ثم باعتها كليوباترا فيما بعد الى هيرودوس الكبير . الذى جدد بناءها ووسع مساحتها ، ونسق شوارعها ، ويقال بأن تلال « ابى العليق » الحالية هى بقايا مدينته .

وفى القرن السابع الميلادى دخلت اريحا فى رحاب الاسلام تابعة لمحافظة الرملة ، وقد اسهب مؤرخو العرب فى وصف خيرات اريحا حتى دعيت بمدينة النخيل نظرا لوفرة ما يزرع منه فيها ، قال عنها المؤرخ المقدسى : « واريحا .. معدن النيل والنخيل ، رستاقها الغور ، وزروعهم تسقى من العيون ، وشديدة الحر ، معدن الحيات والعقارب ، اهلها سمر وسودان ، كثيرة البراغيث ، غير أن ماءها أخف ماء فى الاسلام ، كثيرة الموز والارطاب والريحان » .

ومن اسباب شهرتها ايضا موقعها الاستراتيجى كبوابة رئيسية لفلسطين شرقا ، ولوقوعها على الطرق الرئيسية الممتدة بين القدس والغور ، ولأنها همزة الوصل بين الضفتين الغربية والشرقية لنهر الاردن .

وهناك ميزة تختص بها اريحا دون سائر المدن . فهى تقع على انخفاض ٨٠٠ قدم تحت سطح البحر ، وقد افادتها هذه الميزة فى ارتفاع درجة الحرارة فيها عن بقية المناطق حيث تصل فى بعض ايام الصيف الى ٤٦ درجة مئوية، مما جعلها افضل مشتى فى الديار الفلسطينية والشامية برمتها .

وفى الوقت الذى تغطى فيه الثلوج تلال القدس وعمان يستطيع المرء أن يتمتع بالدفء والحرارة فى ربوع اريحا وعلى شواطىء البحر الميت ، وقد ساعدت هذه الظاهرة كثيرا فى نضج جميع الخضار والفواكه فيها فى وقت ابكر من سائر المناطق المجاورة ، وتشتهر اريحا وما يجاورها من اراضى الغور بزراعة الموز (الريحاوى) الذى يتمتع بشهرة واسعة فى فلسطين والاردن ، أما بالنسبة لسكان أريحا فيقول لانكستر هاردنج : « ينحدر معظم السكان الحاليين من اصلاب الرجال الذين خلّفهم فى البلاد جيش ابراهيم باشا فى اوائل القرن التاسع عشر ، وبينهم عدد لا بأس به من أصل زنجى ، وهم مولعون بالموسيقى والغناء ولَعا وراثيا يعود دون شك الى اصولهم الزنجية ، وكثير من سكان اريحا يذكرون بأنهم أتراك أو من العراق أو من الحجاز».



مجرى للمياه فى اريحا

آثار أريحا

مازالت توجد فى أريحا بعض المواقع الأثرية المهمة مثل :

● جبل قرنطل أو جبل الأربعين أو التجربة وكلها اسماء متعددة لهذا الجبل الذى تقدسه الطوائف المسيحية وتحج إليه لاعتقادها بأن السيد المسيح قضى أربعين يوما من صيامه فى احد مغاور هذا الجبل .

● خربة المفجر فى ظاهر اريحا الشمالى ، وفيها بقايا قصر « هشام بن عبد الملك » الأموى (٦٩٠ ـ ٧٤٣م) ، ويعد من أشهر القصور الاموية فى الشام ويبدو أنه دمر على اثر الهزة الارضية التى حدثت بعد وفاة الخليفة بأربع سنوات .

● تل السلطان . يقع الى الشمال من اريحا ، وبه آثار كنعانية عديدة ، وتنبع من هذا التل « عين السلطان » التى تدر ماء عذبا وهى ذات أهمية قصوى فى نجاح الزراعةبالمنطقة وترتفع عن المدينة بـ ٢٧ مترا .

● المغطس ، وهى مزار سياحى فريد يقع على نهر الاردن ، وتعتقد الطوائف المسيحية بأن يوحنا المعمدان قد عَمَّدَ السيد المسيح فيه . لذلك فانها تأتى إليه من كل اصقاع المعمورة لتشهد « عيد الغطاس » الذى يناسب اليوم السادس من يناير كل عام . ويجرى فيه احتفال ضخم حيث يركب القساوسة « المراكب المقدسة » فى « النهر المقدس » وسط التراتيل الدينية ، يحدث ذلك فى الوقت

أريحا

الذى تشترك فيه اعداد من اصحاب العاهات والامراض المختلفة مع الاهالى والسياح فى قذف انفسهم فى مياه النهر . أولئك على أمل الشفاء ، وهؤلاء من أجل البركة !!

ومادمنا بصدد الحديث عن اريحا ، فليسمح لنا القارىء الكريم أن نصحبه معنا فى جولة جغرافية سريعة فى منطقة الغور :

جولة جغرافية

لقد كان الغور الفلسطينى من أقدم المناطق التى سكنها البشر فى عصور ما قبل التاريخ الميلادى ، وكلمة « الغور » تعنى « المنخفض » وغور الاردن هو الانخفاض العظيم الذى يقع بين فلسطين والاردن وسوريا ، ووادى الاردن هو القسم الواقع بين بحيرة طبرية فى الشمال والبحر الميت فى الجنوب .

ويرى بعض المؤرخين بأن الغور كان عامرا بالحياة قبيل المناطق الفلسطينية الأخرى التى كانت وقتئذ ممتلئة بالغابات الكثيفة ، وبقى الغور عامرا فترة طويلة وذلك مما دعا (لوط) عليه السلام « ابن أخ سيدنا يعقوب » لينزل به من أجل هداية اهله لعبادة الله سبحانه وتعالى .

لقد شهدت منطقة الغور حدوث معركتى اليرموك وحطين الخالدتين ، وبعض المعارك الحربية الأخرى .

كما أن منطقة الغور تضم عددا من رفات الصحابة عليهم رضوان الله ، ومن ضمنهم : ابى عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنه،وضرار بن الأزور، ومعاذ بن جبل وغيرهم .

نهر الاردن

اعظم انهار فلسطين ، له ثلاثة روافد هى : نهر الحاصبانى الذى ينبع من لبنان ، وهو اطول مصادر نهر الاردن حيث يبلغ طوله ٣٩ كم ، ويجرى مسافة ١٤ كم منها فى الاراضى اللبنانية قبل دخوله الاراضى الفلسطينية ● نهر دان وينبع من الحدود الفلسطينية ، ويلتقى مع نهر بانياس ، ثم يتحدان بالحاصبانى

نهر الاردن



ويعتبر نهر دان من اضخم مصادر مياه نهر الاردن .

● نهر بانياس ، ينبع من سفوح جبل الشيخ قريبا من بلدة بانياس السورية على ارتفاع يبلغ ٩١٤ مترا ، يبلغ طوله ٩كم ، يجرى كيلو واحد منها فقط فى داخل الحدود السورية .

عندما تتحد روافده يعرف بنهر (الشريعة) ، وبعد خروجه من بحيرة طبريا يعرف بنهر الاردن ، ويصل عرضه الى ثلاثين مترا ، وعمقه الى ثلاثة أمتار ونصف المتر وفى الاجزاء الشمالية يصل عمقه الى ١٣٠٠ قدم وخلال سيره من بحيرة طبرية الى مصبه فى البحر الميت تتحد معه انهار ووديان كثيرة .



جذع شجرة متكلس من املاح البحر الميت

ويعتبر نهر اليرموك أكثرها اهمية حيث يلتقى بنهر الاردن جنوبى بحيرة طبرية فى نقطة مشتركة بين الحدود الفلسطينية والسورية والاردنية ، ثم نهر الزرقاء الذى يحمل اليه ٩٢ مليون متر مكعب من الماء سنويا .

وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة باسم وادى عربة وهو اقليم صحراوى كما نعرف .

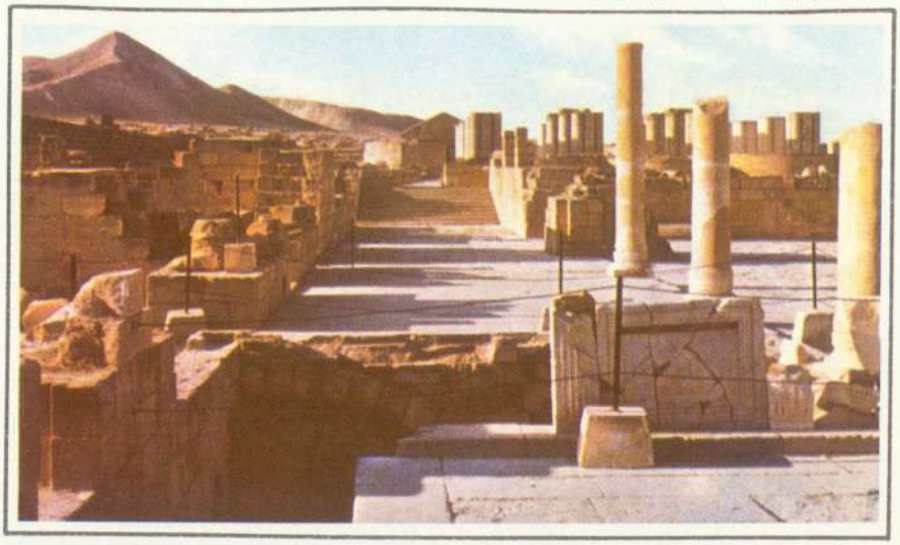
البحر الميت

يقال بأن الكتاب اليونانيين القدامى هم أول من اطلق عليه هذا الاسم ، اما العرب فقد اسموه (بحيرة لوط) . ، ويعتقد علماء الآثار بأن البحر الميت يغطى مدينتى الأثم والمنكر وهما:سَدوم وعَمّورة .

والحقيقة أنه ليس بحرا بالمعنى المتعارف عليه جغرافيا ، بل هو بحيرة مقفلة ليست لها منافذ ، ويعتبر نهر الاردن هو المصدر الوحيد لمياه البحر الميت الذى يغذيه بنحو ستة ملايين طن من الماء العذب يوميا . ولكن حرارة الجو سرعان ماتَبَخِّر تسعين بالمائة من هذه الكمية يوميا ! .

ونظرا لهذا التبخر الكثيف تبقى فى البحر الميت كمية ضخمة من الاملاح المعدنية لاتسمح لأى كائن حى بالحياة فيه.هذا وتصل نسبة الاملاح فيه الى ٥٥٪ بينما هى فى المحيطات ٦٪ فقط !! وهو هادىء تماما لايعرف الموج ، ونظرا لثقل مياهه فان الانسان لايستطيع وهو داخل الماء أن ينزل جسمه كله الى تحت

قصر هشام بن عبد الملك بالقرب من اريحا



وادى اريحا يطل على نهر الاردن



مستوى الماء ، بل يرتفع تلقائيا الى سطح اليم . وهذه ميزة يستمتع بها جميع الزائرين للبحر ، فالسائح يستطيع بكل بساطة أن يستلقى على ظهره وبيديه صحيفة يقرأها دون أن تبتل !

لقد اقتضت مشيئة الخالق عز وجل أن لايعيش كائن حي فى هذا البحر الميت الذى له من اسمه نصيب،لكنها قضت بالمقابل تعويض هذا النقص بما هو أغنى وأكثر ثروة .

فهذا البحر « الميت » يحتوى على ثروة خيالية ومذهلة من الثروات الطبيعية يقدرها بعض الخبراء بأنها تعادل ثروة الولايات المتحدة !! ، فهو يحتوى على كميات ضخمة من كلوريد الكالسيوم ، كلوريد المغنسيوم ، كلوريد الصوديوم ، بروميد المغنسيوم ، كلوريد البوتاسيوم ، وغير ذلك من الاملاح والمعادن الأخرى .

إن الاوربيين أكثر ادراكا لأهمية البحر الميت منا نحن العرب ، فهل ندرك اليوم ما أدركه الغرباء بالأمس عن بحرنا « الميت الحي » ؟! .

واقع اريحا

بعد النكبة العربية الاولى عام ١٩٤٨ نزح الى اريحا آلاف من اللاجئين الفلسطينيين،وأقام أكثر من خمسين ألف عائد منهم فى مخيمين رئيسيين : مخيم عين السلطان ، ومخيم عقبة جبر ، وهذا الأخير اقيم على انقاض المدافن القديمة لأهل اريحا الذين عاشوا فى نفس المكان قبل ميلاد المسيح !

وعندما نزل هؤلاء اللاجئين الى غور الأردن اعملوا فى ارضه المالحة القاحلة فئوسهم وزنودهم وهممهم فأضحت حدائق غناء ، ومزارع معطاء ، تجود ـ بفضل الله ـ بالفواكه والخضار على اختلاف انواعها ، وكذلك جميع انواع الحمضيات والنخيل والموز والاسكادنيا وغيرهـا .

وتبقى كلمة ثناء نقولها فى حق المجاهد موسى العلمى الذى انشأ مزرعة نموذجية ضخمة فى منطقة اريحا تعتبر من اضخم وانجح المزارع فى فلسطين برمتها ، وهى معروفة لدى أهل المنطقة «بمشروع العلمى» . حقا .. لقد استطاع موسى العلمى أن يحقق معجزة زراعية حقيقية بعد أن كان الاعتقاد السائد بأن الارض المحيطة بمدينة اريحا لاينبت فيها الشجـر !!

وبعد النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ وقعت اريحا ـ وهى جزء من الضفة الغربية لنهر الاردن ـ فى قبضة الجلاد الصهيونى . ومنذ ذلك اليوم وهو يحيطها بالمستوطنات العسكرية والزراعية ، وقد أقام حولها حتى الآن سبع مستوطنات ،وَيُعِدُّ لاقامة ست مستوطنات اخرى .

كما أن السلطات الصهيونية ممعنة فى حرمان سكانها من حق حفر الآبار الارتوازية التى يحتاجون اليها فى ري مزارعهم . وهذه واحدة من خطط الضغط على اهلنا بالأرض المحتلة لافقادهم شهية العيش الهنـىء فى وطنهم واضطرارهم للرحيل فى نهاية المطاف !

● ● ●

فى طريق عودتى من فلسطين الى عمان ... وعند جسر الاحزان تلفت ورائي مغالباً دموعى وأخذت اناجى بلادى .. مرددا أبيات الشاعر سعدى يوسف :

يابلادى التى لَسْتُ فيهـــا
يا بلادى الوحيـــــده
ياعذابَ الليالـــى المَديـــدَه
يا بـــلادى الطريـــدَه
ليس لى منكِ إلا شراعَ المسافر
رايـة مزقتهـــا الخناجـــر
والنجـــومُ الشريـــدة

نبيل خالد الأغـــا

العمّ سيّد طيّب القلب

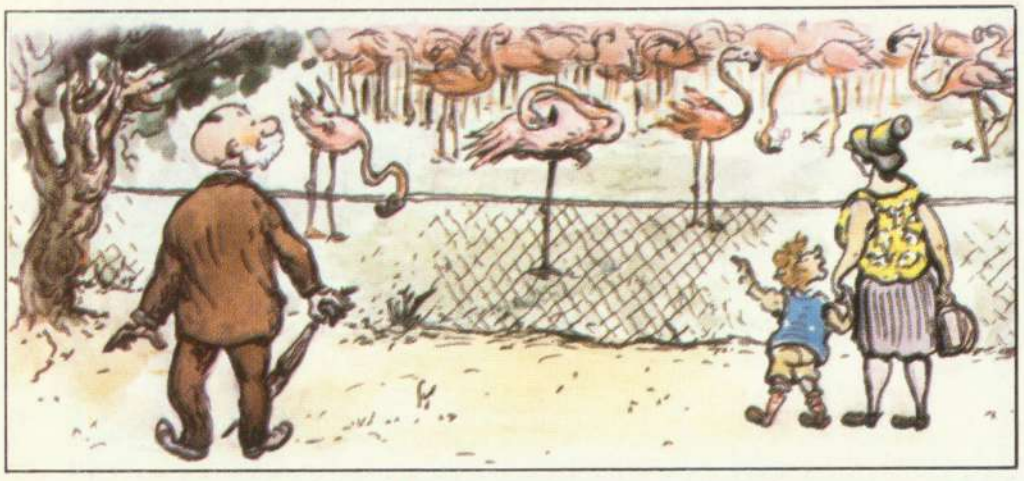


— ١ —



— ٢ —

— ٣ —





بريشة الفنان
عبد السلام نور


— ٢ —

— ٣ —

أنور الجندي

نظرة إلى تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

مناهج تاريخ الجماعة لها منهج تستمده من الإسلام
الإسلام في التاريخ حركة أوسع من الأمة العربية أو الدولة الإسلامية
إنه حركة التاريخ نحو تحرير الإنسان من الظلم والاستعباد

في مجال دراسة تاريخ الاسلام فان هناك محاذير كثيرة يقع فيها المحللون والباحثون وأخطر هذه المحاذير هي محاكمة تاريخ الاسلام من خلال مناهج وضعت لتفسير تاريخ أمم أخرى لها ثقافتها وعقيدتها وتحدياتها ، بينما لا يمكن فهم تاريخ الاسلام الا بتفسيره وفق منهج أصيل مستمد من عقيدته ·

وتتمثل فلسفة التاريخ الاسلامي على هذا النحو :

مبدأ تاريخ الاسلام « جماعة » لها منهج تستمده من الاسلام · هذه الجماعة كونت المجتمع الاسلامي وبنت الحضارة الاسلامية وفق مقومات فكرة أساسية قوامها : « دعوة انسانية للعالمين » : الى الحرية والعدل والحق والمساواة ·

وفي طريق هذه الحركة الى غايتها فانها تواجه أمرين :

أولا : معارضات قوية وقوى مضادة تحول بينها وبين طريقها

ثانيا : هذا المجرى يصيبه بين الحين والحين ركام يعوقه ويسد مجراه ·

والاسلام يبدو في خلال تاريخه في صورة « كائن حي » له جناحان : فكر وحضارة · متجدد الخلايا يمر بمراحل القوة والضعف خلال حركته الدائبة وأبرز ظواهره : ظاهرة التجدد والتغيير وتصحيح المفاهيم من خلال اطاره الجامع ، يتصل ذلك في كلا جناحيه : جناح الفكر الذي يتجدد بظهور أعلام الفكر وقادة الرأي · وجناح الحضارة يتجدد بظهور بناة الدول وصناع الاحداث ·

نعم : لم يجمد الاسلام أمام حركة التاريخ خلال العصور أو تطور الحضارات والمدنيات ولم يتوقف عن مدها بتفسيره في ايمان وقدرة على السير بخطوة التاريخ نفسها بل ربما سبقها خطوات ·

تحرير الانسان

والاسلام في التاريخ : حركة أوسع من الامة العربية أو الدولة الاسلامية، أو الحضارة الاسلامية وأعمق من الحدود التي تربطه بالسياسة أو تقصره على الحضارة والثقافة ، أو تقف به عند قيام الدول وسقوطها ، أو الفتوحات والحروب ، وانما تتمثل فيه كل هذه القطاعات وتتشابك ·

فالاسلام في الحق هو حركة التاريخ نحو الحرية : تحرير الانسان من بوتقة الظلم واقرار حقوق الافراد والجماعات وتحريرها من الاستعباد ، وبذلك فهو انطلاقة انسانية ، بعيدة المدى ، في كل الامم والشعوب التي اتصلت به ، سواء من دانت له أو أساغت فكره دون أن تأخذ عقيدته ·

ولقد كان لبزوغه في محيط الامة العربية معنى واضح الدلالة هو « اصطفاء » هذه الامة لحمل رسالته ، ومن ثم بعث الرسول من أهلها ونزل القرآن بلغتها ومن ثم فلا سبيل لفصل تاريخ العرب عن تاريخ الاسلام منذ فجر الاسلام الى اليوم فمنذ بزغ الاسلام ارتبط تاريخ العرب به أوثق رباط ، لقد ظهر في الامة العربية أولا ثم في حياة الرسول حيث دانت الجزيرة العربية له ، فكانت أشبه بالبحيرة العربية التي امتدت منها روافده وفروعه ، كما انبعثت منها الموجات المتوالية المختلفة التي تحركت شرقا وغربا وشمالا وحملته الامة العربية الى العالم أجمع ، وكانت اللغة العربية الفصحى أداة فكره وثقافته ، وحضارته فالفكر الذي كونته الامة العربية من خلال جوهر الاسلام ، كان حصيلة مشتركة للمسلمين والعرب جميعا بحيث لا يمكن أن يوصف بأنه فكر عربي وكذلك الحضارة فهي فكر عربي اللغة اسلامي الجوهر وهي حضارة اسلامية شارك فيها الجميع ، وانصهرت فيها مختلف الثقافات الانسانية : هندية وفارسية ومصرية ويونانية ، تبلورت جميعها في اطار الاسلام وفق مفهومه ومضمونه وقد شارك في هذه المرحلة العرب وغير العرب في مجالات الحضارة والفكر والحكم ·

قادة الفكر

وقد رسم الاسلام مفهوم الوحدة بين معتنقيه والمرتبطين به على أساس الفكر وليس على أساس الجنس ، ووسع دائرة الاخاء الانساني وأسقط العصبية والتفرقة العنصرية وجعل أساس التبريز والتفوق والتفاضل مستمدا من العمل لا من العرق ولا من الشخصية ولا من الوراثة ·

نظرة إلى تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات

تاريخ الإسلام يمثل حركة تطور شامل ومتصل وحركة اجتماعية ذات مفهوم وعقيدة

ولقد اتسم تاريخ الاسلام بسمات جعلت له طابعه ومفهومه ·

ذلك : أنه لما كان الاسلام هو دين وفكر وحضارة ومجتمع ، فان التاريخ السياسي في تاريخ الاسلام هو أقل هذه الجوانب أهمية حيث تبدو الجوانب الضخمة الحافلة بالأمجاد في تاريخ الاسلام الفكري والعلمي والعقلي وفي مجال الدراسات العقلية والفقهية والاجتماعية ·

وتتمثل أبرز جوانب التاريخ الاسلامي في القادة والأعلام والمفكرين الذين بنوا القاعدة العريضة للفكر الاسلامي مستمدة من القرآن : أولئك المصلحون المجددون ، حملة لواء اليقظة وتصحيح المفاهيم الذين حفل بهم تاريخ الاسلام خلال مختلف مراحله وأدواره ، وفي هذا المجال نجد طبقات الاطباء وأخبار الحكماء والنحاه والرواة والادباء وطبقات الفقهاء والمؤرخين والاجتماعيين وتاريخ أعيان كل عصر ، فليس تاريخ الاسلام اذن تاريخا سياسيا فحسب وليس التاريخ السياسي الا جناحا من أجنحته بل ربما كان أقلها خصوبة وعمقا وأثرا في حركة التاريخ ونموه

من هو المسلم ؟

ومن هنا تسقط تلك الشبهة التي يرددها البعض من اقتصار تاريخ الاسلام على حياة الخلفاء والملوك ، بل يتناول مختلف مظاهر حياة المجتمع والحضارة ·

ويمثل تاريخ الاسلام : حركة تطور شامل متصل ، وحركة اجتماعية يدفعها مفهوم وعقيدة في مختلف ميادين الحياة · ولا تستوفي دراسة تاريخ الاسلام الا اذا قامت في ظل مفهوم جامع شامل ، كما أن اتصالنا بالغرب اليوم يجب أن يقوم على مفهوم مرحلة هي رد فعل لمفهوم مرحلة سبقتها ، بحسبان أن هذه الحضارة العصرية الغربية ليست منفصلة عن عالم الاسلام ، وانما أقامت قواعدها على المنهج التجريبي الاسلامي وعلى بناء صاغه العرب والمسلمون ، فنحن حين نتصل بها اليوم لا نكون غرباء عن جذورها ، فهي ملك البشرية كلها التي صاغتها وشاركت في تكوين جوانبها المختلفة، فقد قدم الفكر الاسلامي لهذه الحضارة علومه وجامعاته وبنى قاعدتها العريضة في الاندلس ·

في ضوء هذا المفهوم نستطيع أن نقول ان لتاريخ الاسلام « طابعا متميزا » ولذلك فان تفسيره لا يمكن أن يخضع الا لمنهج جامع ، ليس ماديا خالصا وليس روحيا خالصا وليس اقتصاديا ، أو جنسيا ·

فالمسلم كما فهمه الباحث الغربي الاستاذ ولفرد كانتول ، « يحس بالتاريخ احساسا جادا انه يؤمن بتحقيق ملكوت الله في الارض ويؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا يسير البشر في الارض على مقتضاه يحاولون دائما أن يصوغوا واقع الارض على مقتضاه ويحاولون دائما أن يصوغوا واقع الارض في اطاره ، ومن ثم فهو دائما يعيش كل عمل فردي أو جماعي ، وكل شعور فردي أو جماعي ، بمقدار قربه أو بعده

المحاولات القاصرة

هذه العبارات للكاتب الغربي تقرب من الحقيقة وتكشف عن الفارق العميق بين فهم المسلم للتاريخ وبين فهم الطوائف الاخرى ، ويتابع (اليان وايد غزاي) : هذا المعنى حين يقول لو ان وجهة نظر المسلمين للتاريخ هي نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشرية اذا اعتنقت تعاليم الوحي (القرآن) فان ارادتها حينئذ تتطابق وارادة الله · ولا يعود يوجد من يعصي أوامره ويعم الأخاء بين البشر · ومن صفات المؤمن أنه صابر ويعلم أن الامر لارادة الله ، وقد قدموا أفضل فيلسوف للتاريخ ممثلا بالفيلسوف ابن خلدون وكان أول فيلسوف حلل درجات تأثير المحيط والدوافع النفسية التي تعمل عملها في الحياة الانسانية وتسبب نشوء الحضارات وانقراضها ونشاهد بوجه عام تيارين يتنازعان السيطرة على أفكار فلاسفة التاريخ المسلمين : المفهوم الحركي والمفهوم القدري وكلها تظهر بوضوح في تقلبات القوى الاجتماعية وعلى العكس من ذلك كان الفلاسفة الهنود قد قطعوا كل صلتهم بما هو وقتي وفوري وقدموا تعاليم انهزامية وانعزالية ، والتاريخ بالنسبة للبوذية والهنود ليس الا وهما

ويؤكد الاستاذ تريتون في كتابه « الاسلام : عقيدته وعبادته » : أن التفسير المادي لا يصلح لفهم تاريخ الاسلام « يقول : « اذا صح في العقول أن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحا في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فان هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين رغب في أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين الا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة فرأوا أنها تقع في هذا الشيء الجديد : الا وهو الاسلام » ·

وهذا ما نريد أن نصل اليه : في ان أية محاولة لتفسير تاريخ الاسلام بغير التفسير الاسلامي للتاريخ هي محاولة باطلة وان جميع مذاهب التفسير التاريخي : المادية والاقتصادية والجغرافية والمناخية ، لا تستطيع أن تستوعب مفهوم · التاريخ الاسلامي ولكل أمة وعقيدة مقاييسها التي تشكل قانون تفسيرها ·

ولذلك فان كل المحاولات التي تجري الان لتفسير تاريخ الاسلام من خلال النظريات الغربية هي محاولات قاصرة ، ذلك أن الاسلام الذي يقوم منهجه على تكامل الروح والمادة ، والحياة والموت ، والدنيا والآخرة ، والنفس والجسد والثوابت والمتغيرات والكلي والجزئي ، لا يمكن أن يفسر

● الإسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تعجز عن استيعابه النظريات الجزئية

بمنهج جزئي سواء أكان ماديا أم روحيا خالصا ، ولذلك فان هذه المحاولات كلها التي ترمي لأن تضع الاسلام في صف الديمقراطية مرة أو الاشتراكية مرة أو الحرية مرة ، كلها قاصرة فالاسلام له ذاتيته الخاصة وتكوينه الجامع المتفرد الذي قد يلتقي ثمة مع جانب من هذا أو ذاك ولكنه لن يكون الا هو وحده الذي تعجز المناهج المادية ونظريات التفسير الجزئية عن استيعابه وفهمه ·

حملات التغريب

كذلك واجه التاريخ الاسلامي حملة ضخمة من حملات التغريب والغزو الثقافي تستهدف اثارة الشبهات والشكوك حوله ، بقصد وضعه موضع الازدراء والانتقاص في نظر أهله وحتى يفقد أهميته من حيث أنه قوة انبعاث ويقظة ، وقد حرص التغريب على اختلاق تاريخ اسلامي منفر عسى أن ينتزع من المسلمين ثقتهم في ماضيهم الاسلامي وفي أنفسهم كمسلمين ويسلخهم من تراثهم الفكري وتاريخهم الاسلامي فيصبحون بلا ماض ، فتضعف معنوياتهم وتسهل السيطرة عليهم فكريا وثقافيا كمقدمة للسيطرة عليهم عسكريا واقتصاديا وقد جرت المحاولات لاحلال مناهج الغرب في تفسير التاريخ بديلا للدراسات الاسلامية وفرضت كتب الغرب في المدارس والجامعات وجعلت مناهج الغرب في دراسة التاريخ هي الجواز الى تخريج المؤرخين العرب والى وضعهم موضع الصدارة ·

وقد حفلت هذه الدراسات بالتطاول على أعلام الاسلام وقادته ونوابغه والتشهير بهم في كل عصر عن طريق تزييف طائفة من الاخبار المشكوك فيها والقصص اعتمادا على مصادر غير أصيلة أو مطعون في صحتها لالتماس هذه الشبهات ·

وهناك محاولة أخرى في حاجة الى الكشف عنها ودحضها : ذلك هو محاولة



القول بأن تاريخ الاسلام هو الاسلام نفسه ، والواقع أن التاريخ الاسلامي ليس بالضرورة ممثلا للاسلام ، وانه لابد من التفرقة الواسعة بين مباديء الاسلام الربانية الثابتة المثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وبين التجربة التي قام بها الحكم الاسلامي والتي قد تلتقي مع مباديء الاسلام في بعض المراحل وقد تختلف عنه حين يذهب قادة المسلمون بعيدا عن منهج الاسلام ·

ولا ريب أن هناك نفرا ممن تولوا زمام الحكم في الدولة الاسلامية بعد الخلافة الراشدة بعدوا عن « منهج الاسلام » فمن غير الحق أن يصور سلوك هؤلاء الحكام على انه هو الاسلام نفسه ، وأهم ما في ذلك الفهم الخاطيء من محاذير هو محاولة نسبة الاستبداد الى الاسلام ، ومحاولة الاستشراق تبرير الاستبداد بالاسلام نفسه حيث يقول بعضهم وهو كاذب : ان نظام الحكم في الاسلام نظام استبدادي ونسى هؤلاء أن للاسلام مبادئه الواضحة التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لمصلحة المحكوم نفسه·

حقائق التاريخ

كذلك فان التفسير التاريخي الغربي (المادي المصدر) يعجز عن استيعاب حقائق التاريخ الاسلامي التي تعلو على التصور المادي فسرعة انتشار الاسلام على هذا النحو المذهل وتمكنه في خلال فترة تقل عن قرن من الزمان أن يبسط جناحيه من حدود الصين الى حدود فرنسا ، هذا في تقدير التفسير الغربي مشكوك فيه لان الفكر الغربي لا يؤمن بأثر : الايمان العميق القادر عن طريق الارادة الانسانية الى التغيير الواسع ، كذلك يعجز التفسير الغربي عن فهم واستيعاب قاعدة اسلامية أساسية هي « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ذلك أن التقدير المادي يرى أن الكثرة العددية هي الغالبة أبدا بينما يجعل الاسلام من الايمان قوة جديدة مضاعفة الى قوة العدد والعدة ، وقد أكدت الفتوح الاسلامية هذه الظاهرة بما لا يدع مجالا للشك، وقد ثبت في مختلف الغزوات والمعارك التي دخلها المسلمون أن عددهم فيها كان أقل من عدد خصومهم بمراحل · وان عدد عدوهم كان مضاعفا أكثر من مرة بل مرات ، فالنصر هنا يرجع الى عنصر الايمان الذي لا يعتد به في الحساب عند التفسير الغربي للتاريخ ··

وهناك ظاهرة من التعصب ترجع الى الاختلاف بين الاديان وتفسيراتها للحياة ومن اختلاف وجهات النظر ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ومن وجهة نظر الاستعمار التي ترى أن الغرب هو الجنس الابيض ممدن البشرية وأن بلاد الاسلام هي العناصر الملونة التي يرى أنها أقل في الدرجة والقدرة والكفاية ومن خلال نظرة الاستعلاء العنصري والتعصب الغربي تجري تفسيرات خاطئة في مقدمتها الادعاء بأن انتشار الاسلام انما جاء بالسيف وهي دعوى مبطلة ، والحق أن الاسلام لم يرفع السيف الا دفاعا عن كيانه حين يتعرض وجوده للخطر وذلك في مقاومة محاولات المتآمرين عليه ·

وهكذا نجد أن الاسلام في عقيدته وحركته له ذاتيته الخاصة التي تعجز النظريات عن استيعابه النظريات الجزئية ·

ومن هنا فلابد أن يكون للتاريخ الاسلامي تفسيره الاصيل ·

أنور الجندي

د. حافظ الجمالى

التقدم بين الإنسان والمنهج

كان لنا فى ماضيات الأيام أستاذ فى الرياضيات . وكان فى بعض الأحيان يتحدث عن هوامش لهذه المادة ، لم نكن نأخذها مأخذ الجد . إلا أنها لم تكن تخلو من بعض المتعة . مثال ذلك أنه ضرب يوما بيده على المنبر ، وقال إن ضربتى هذه لاتؤثر فى المنبر وحده ، بل تؤثر فى كل شىءآخر ، حتى أعالى النجوم . إن هذه ستهتز بدرجة أو بأخرى من هذه الضربة . ولكن ماهى قيمة هذا الاهتزاز ؟ إنها قيمة رياضية بحتة ، فيها رقم ما مسبوق بمئات من الأصفار ، على يمين الفاصلة التى تعين لك وحدة القياس . وبالتالى فان أحدا لايشعر بها ، إلا أن يكون إلها يحيط علمه بكل شىء . أما فى مستوى حواسنا ، فان فى وسعنا الظن أن نجوم السماء لاتهتز مطلقا من جراء هذه الضربة ، لصغر تأثيرها ، وضآلة اللامتناهية . غير أن المهم فى هذا المثال ، هو أن تعرفوا أنه مامن شىء يحدث فى مكان إلا ويؤثر فى كل شىء آخر من حوله ، بعيدا كان أم قريبا .

وأعود الآن الى هذه الذكرى ، وأتساءل هل كان أستاذنا هذا يعرف شيئا ما عن المادية الجدلية ؟ وعن قولها إن كل شىء يؤثر فى كل شىء آخر من حوله ويتأثر به ؟ وإن الطبيعة فى تغير مستمر ، بحيث لاتستطيع السباحة فى ذات الماء مرتين ، وإن فى كل شىء جانبا سلبيا هو (الضرورة) ، وآخر إيجابيا ، وهو (الوجود) وإن كلا من هذين يصارع الآخر صراعا أبديا ، بمقدار ماهو آزلى ، ويحاول افتراسه ، وإن التغيرات الكمية متى تراكمت الى درجة ما انبثق عنها تغير نوعى ، يقلب صورتها القديمة الى صورة جديدة . وإن التطور ليس إلا هذا الانتقال الضرورى من صور قديمة الى أخرى جديدة ، وإن هذه الحال ، هى حال الطبيعة ، كما هى حال الانسان وحال المجتمع ! إنى لاأظن ذلك . ولكن الاستاذ كان يتكلم بمنطق رياضى بحت ويعرف على الأقل ، مبدأ أوليا من مبادىء الجدلية المادية ، أما المبادىء الأخرى التى اكتملت مع هيجل فلاريب أن بذورها كانت معروفة ، حتى فى تفكير هيراقليت ، منذ أواخرالقرن السادس قبل الميلاد . فاذا جاء ماركس وأعاد تنظيمها وجعلها تقف على رجليها ، بدلا من أن تقف على رأسها ، كما هى حالها عند هيجل ، فلا ريب أن كل الناس يعرفون له هذه المزية ويقدرونها له حق التقدير .

حالة تاريخية واحدة

ولكن لماذا أقول هذا كله ؟ والجواب أنى كثيرا ما أسمع أن الأخذ بمنطق المادية الجدلية ، هو وحده الذى سيخرج العرب وكل شعب متخلف آخر ، من التخلف ، ويضعهم على صراط التقدم اللامتناهى . فان لم يأخذوا به كتبت عليهم الهزيمة . وباءوا بغضب من الله ورسوله . وبطبيعة الحال فان عددا كبيرا من العقائديات يتنازع شرف هذا الايمان ، وكلها ملخصة فيه . غير أنى أتساءل دوما : هل القضية فى التقدم أو التخلف قضية (منطق من نوع ما) أو منهج ما . على ما يقول عصمة سيف الدولة ، إذا اتبعناه نجحنا ، وإن تجاوزناه الى غيره أخفقنا !

والاحظ هنا أن النهضة الغربية كانت واضحة منذ القرن الخامس عشر أو السادس عشر على أبعد تقدير . ترى هل كان القوم هناك يتبعون فى تطورهم منطق المادية الجدلية (أو منطق جدل الانسان بلغة سيف الدولة) فيتتابع تقدمهم لهذا السبب ؟ وهل أعمينا نحن عفويا عن هذا المنطق فتخلفنا وتراكم فوقنا التخلف ولايزال ؟ أو لم يهدنا الله مرة واحدة خلال الف سنة من تاريخنا لمثل هذا المنطق ؟



هيجل

وأتساءل مرة أخرى : إنه لنا فى الماضى نهضة وتقدم ، وسبق الى اكتشافات علمية كثيرة ، فهل كنا عندئذ نأخذ بمنهج أو بآخر فى الوصول الى هذا التقدم ؟.. وهل وجد حتى الآن شعب واحد من الشعوب المتقدمة حقق تقدمه بقرار مسبق يبين أهداف التقدم وطرق الوصول إليه ؟

إن هنالك حالة تاريخية واحدة نستطيع ـ ولكن بالجهد ـ أو بعد لأى ، كما يقول قدماء العرب ، أن نقول إن التقدم فيها تم بقرار ، هى حالة اليابان فمنذ عام ١٨٦٨ ، ولدى انتقال الأمبراطور الى العاصمة الشرقية ، طوكيو ، وإصداره مراسيم القضاء على النظم الاقطاعية ، وتحديث الاقتصاد ، والادارة ووضعه زمام الأمور بين أيد قليلة من رجال الساموراى ، الذين استهواهم التقدم ، كان بالامكان أن يشاهد الانسان عندئذ قفزة حضارية لامثيل لها فى العالم ، بحيث أن عددا محدودا من السنين (أقل من أربعين) رفع اليابان الى مصاف كبرى الشعوب المتقدمة ، بعد أن كانت تعيش كل مآثر أو مآسى الحياة الاقطاعية ، ونظام الطبقات ، وما يشبهها ولكن هل كانت اليابان تخطط لتقدمها ، طبقا لمنهج ليبرالى (سرعان ما ضحى به على مذبح التقدم الاقتصادى) ، أو لمنهج اشتراكى ، أو لآخر مادى جدلى ؟ أما أنا فأظن أن الشىء الهام لم يكن المنهج ، ولا التخطيط ، بل كان (إرادة التحديث) أو إرادة التحضر . وعندما وجدت هذه الارادة ، أخضعت ماحولها من نظم ومؤسسات ، وجعلتها متحضرة ، من دون اى بحث عن تناقض ممكن بين تراث الأجداد ، وحداثة العلم ، ومبتكرات الصناعة .

أساليب ومناهج مختلفة

ولكن هل يعنى هذا كله أن وجود المنهج أو الخطة أو التخطيط ، مما يفسد عملية التطور ، أو يعرقلها ؟ الحق عز ذلك بعيد . وقلما استعمل العقل فى أمر ما ، وكان نجاحه دون نجاح العفوية ، والارتجال . لكن القول إن منهجا ما بعينه ، هو الذى يساعد على التقدم ، دونه أى منهج آخر ،

- الحقيقة أن الحضارة وليدة الجهد الإنساني المتراكم او الخلاق
- المشكلة ليست في المنهج .. ولكن في العقل أو الروح التي تقوم وراءه
- الإنسان السيئ يريق سوءه على كل المناهج ويجعلها جحيما

إنما هو قول لايتطابق مع حقائق التاريخ : فالشعوب التي تقدمت ، تقدمت بصور شتى ، واساليب ومناهج مختلفة ، ولم يخطر ببالها أصلا أن تستخدم المنهج الجدلي ، وعلى الأقل لأنها لم تكن تعرفه . ترى اكانت تتصرف تبعا له من دون وعي الى أنه هو الناظم لحركتها ؟

وفي دنيانا الآن جملة دول اشتراكية ، تعتمد المنطق الجدلي هو والماركسية معا . في سلوكها العام والخاص . فهل جعلها هذا المنطق ، كلهاسواء في التقدم ، أو أنها تتدرج على سلم الحضارة من أدنى الدرجات إلى أعلاها ، تماما كالدول الأخرى التي لاتعتمد هذا المنهج ؟ وحتى الاتحاد السوفيتي الذي حقق الرقم القياسي في التقدم . أي في العلم والتقنية . فهل كان تقدمه يصدر عن اعتماد المنهج الجدلي ولاشيء آخر ؟ وهل كان تقدمه واحدا في كل أجزائه ؟ لئن صح هذا فعلينا أن نسأل :

لماذا لم توازه الدول الأخرى الآخذة بمنطقه ومناهجه ، على الرغم من أن بعضها كان أكثر منه تقدما ؟ لعلها اذن تزيف المنطق ، وتخون الرسالة ؟ ولكن كيف تفعل ذلك على مرأى ممن يحسنون تطبيق المنطق ، ويخصونها دوما بكريم الرعاية ؟

الحقيقة أن (الحضارة) وليدة الجهد الانساني المتراكم أو الخلاق . يكبر هذا الجهد فتكبر هي ، والعكس بالعكس . بقي



ماركس

أن نعرف لماذا يكبر الجهد في مكان ، ويصغر في آخر ؟ وفي رأينا أن مستوى الحرية المتاح للعمل الفردي ، والابداع الشخصي والشعور بالأمن ، ومستوى اخلاص الدولة لأهداف الأمة ، ومدى كفاءة رجالها للاعمال المسندة اليهم ، كل هذه العوامل هي التي تتيح المجال لتقدم الحضارة ، فتضيق هذه ، إن ضاقت تلك ، وتتسع إن اتسعت وليست مجرد كلام غث،الا يوجد باحث واحد ، غربي أو شرقي ، بحث في التخلف العربي ، إلا وأشار الى علاقته باستبداد الدولة ، وذهولها عن أهداف الأمة وكذلك ليس بالملاحظة الضحلة أن نرى الدول العربية تختلف في كل شيء : في النظم والفلسفة ، وطرائق الحكم ، وأشكاله الخارجية وعقائدياته ولكنها لاتختلف مطلقا في مستوى التقدم ، فكلها والحمد لله من العالم الثالث على تباين شروطها الداخلية والخارجية ، واختلاف ما تعتمده من العقائديات . أفليس المجال مفتوحا للشك إذن في قيمة المظاهر الخارجية في سور الحكم . ومناهج العمل ، والقول أن وراء هذا التباين الخارجي وحدة عميقة في الجوهر ، مما يجعل التقدمي كالرجعي ، والاشتراكي كالبورجوازي ، والحديث العقل كالقديم والوحدة كالانفصال والانفصال كالوحدة ، والصمود كعدم الصمود ؟

الحقيقة أن المشكلة ليست في المنهج ، ولكن في العقل أو الروح التي تقوم وراءه . فاما أن تكون هذه متحضرة ذاتيا فتشيع التحضر في كل ما حولها . وإما أن تكون متخلفة فتلون كل أداة حضارية بلون تخلفها فالانسان وحده هو الاصل ، فاذا وجد ، كما ينبغي ، فكل منهج صالح ، وإن لم يوجد ، كما ينبغي ، فكل المناهج معا تصبح أدوات جديدة للاخفاق . وأظن أن برنارد شو هو الذي قال : إن فلاسفتنا (الاشتراكيين) لم يتركوا شيئا إلا نظموه . حتى لقد بحثوا في كيفية توزيع المواد الاستهلاكية ، أعلى ظهور الدواب ، أم في السيارات ؟ إلا أنهم نسوا شيئا واحدا ، هو كيفة حمل الناس على قبول آرائهم ، وتطبيقها في الوقت المناسب ، تطبيقا حسنا . ومامن شك أن الانسان السيء يريق سوءه على كل المناهج ، ويجعلها جحيما بدلا من أن تكون نعيما .

د. حافظ الجمالي

كلمات لها دلالة

في اعماق نفسك : ان مكائد المرأة مهلكة . ولكن هذه المكائد تدبر في اعماق نفسك انت الرجل قبل ان يدبرها عقل المرأة . واذن فلا مكائد نسوية خطرة عليك الا تلك التي تريد انت ان تقع فيها .

التفوق لا السعادة : الرجل القوي الطموح هو الذي ينشد التفوق لا السعادة . التفوق هو ان تنطلق الى اعلى ، ان تضرب في اعماق السماء لتلتقط ولو شعاعا من ضوء النجوم . اما السعادة فهي ان تستلقي على رقعة من الارض وتفرح بمجرد التطلع الى ضوء النجوم .

الخلق والذكاء : متانة الخلق اثمن من ذكاء العقل والشعوب كالأفراد لا ترتقي بذكائها قدر ما ترتقي بمتانة اخلاقها .

هذا هو الفرح : لا فرح للرجل الا في عمل يحبه ، ولا فرح للمرأة الا في حب طفلها ، او في حب رجل تنزل من اجله عن كبريائها ، وتحنو عليه هو الاخر وتحبه كانه طفلها .

أنطون مقدسي

العرب وتحدي المرحلة



في اعتقاد المثقفين العرب ـ جلهم فيما أعلم ـ ان التحدى الذى نواجهه اليوم ، وعلينا ان نرد عليه أو نرده كى نواصل مسيرتنا الحضارية ، يتركز فى «التكنولوجيا»أى ، فى نظرهم مجموع «الآلات» التى اخترعها الانسان ، بالاستناد الى العلوم الدقيقة (الرياضيات والطبيعيات على الخصوص) ونحن فى غفلة من الزمان ، فهى التى مكنت الأجنبى فى السابق من احتلال ديارنا ، وتمكنه اليوم من التسلط ، بشكل أو بآخر ، على ثرواتنا . هذا الاعتقاد يحيل الى مسلمة ، مضمرة أو ظاهرة ، تسوغه أو تجعله ممكنا ، وهي أن الأمة ماتزال ، فى جوهرها ، على ما كانت عليه فى الفجر الأول ، سليمة ، معافاة ، على احسن حال وبوسعها ، إذا ماتيسرت لها الوسائل الحديثة ـ تكنولوجيا ـ أن ترقى اليوم ، كما بالأمس ، الى اعلي مستويات الثقافة والحضارة . ويذهب بعضهم الى أن الاخلاق هى التى تردت لأن الناس حادوا عن سنة الأوائل فأصيبوا بما يشبه الخور النفسى ، فعلى الجماعة أن تستنهض هممهم بحيث يستعيدون تدريجيا مناقب الاقدمين . وعندها تستقيم الأمور وتسير فى الطريق السوية .

وعلى أية حال فما هى الأمنية التى نتغنى بها منذ نهضتنا (اواسط القرن التاسع عشر) تتحقق متسارعة ، فقد رزقنا والحمد لله من الثروات ما يمكننا من الحصول على ما نريد ، وإذا بقيت عملية التحديث سائرة على وتيرتها اليوم فسوف يكون لنا فى ظرف سنوات من الاجهزة الاكثر حداثة ما يغطى حاجاتنا كلها الاقتصادية منها والعسكرية ، كالعمرانية والثقافية ، وايضا الضرورية والترفيهية (هذه أكثر من تلك) كما أننا بدأنا نخرج فى جامعاتنا وفى الجامعات الاجنبية ، بوتيرة متسارعة ، مانحتاجه من متخصصين على اعلى المستويات لضمان صيانة الاجهزة وحسن سيرها بحيث يرتفع عندنا مستوى الانتاج والخدمات ونحتل بعد سنوات المكان اللائق بنا بين الامم .

ومع ذلك لا أظن أن العربى يؤمن فى قرارة نفسه بأننا صرنا ـ او سنصير عن قريب ـ فى عداد الامم المتقدمة ، رغم اننا نجد فى بعض عواصمنا ، مانجده فى عواصم هذه الأمم من وسائل التمدن ومستلزماته وظواهره ، لا بل يذهب المتشائمون الى حد التأكيد بأننا اليوم أكثر تخلفا من الأمس ومن لا يتقدم يتأخر ، تقضى بذلك سنة الحياة .

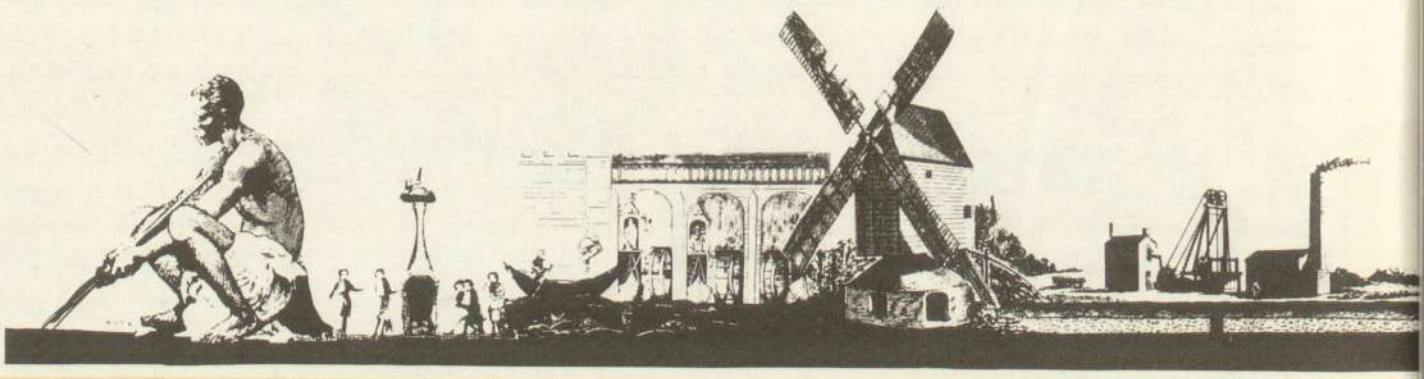
والتقدم بعد ليس فى حيازة الاشياء ، بل هو ـ إذا قاربناه مقاربة اولى ـ فى نمط استخدامها وعلى الأخص فى العلائق الاجتماعية والانسانية التى تنشأ بنتيجة استخدامها ، وما يلزم عن هذه العلائق من قيم وعادات وتقاليد ... وأدب وفكر ، ويبدو لى أن ماركس لم يدرك إلا وجها من الحقيقة عندما رأى أن الآلة تبدل الانسان ، فردا وجماعة ، وتجعله ، بمعنى ما ، على صورتها ومثالها . إذ قد يحصل العكس تماما ، فالبندقية مثلا حلت عندنا محل السيف ، فى المآتم والاعراس والاحتفالات الأخرى . والسيارة محل الحصان . فهى عند الثرى الهيبة ، وعند اولاده دمية يزجون بها اوقات الفراغ ، وقد يتنافسون فيما بينهم على قيادتها ، أيهم يتفوق على الآخر سرعة ، ولا يعنيهم ما إذا كانت تزهق أرواح الناس والى أى حد ، وعند الريفى المعوز، تظل السيارة شاحنة أيا كان حجمها ، ففيها يحشر البشر مع الاشياء والحيوانات سواء بسواء . أما أذى عباد الله فمسألة ثانوية ، أمرها متروك للأقدار ، ورصيف الشارع الذى جعل للمارة يتحول فى امسيات الصيف الى مكان للنزهةأو للتجمع ، فالمرور عليه شاق وقد يعرض كرامة المرء للامتهان ، والشهادة الجامعية التى هى بالاصل إجازة مهنية صارت اداة للترقية الاجتماعية ودليلا على مرتبته فى سلم التشريفات .

هذه الامثلة وغيرها ، وهى بعدد وفير ، تدل ، إن دلت ، على أن أشياء الحضارة الحديثة ووسائلها ومؤسساتها ، حرفت عن الغرض الذى جعلت من أجله لتنتظم فى اطار علائق اجتماعية أخرى ، ما يزال كلها قبليا ، قوامها العصبية ، كما يرى ابن خلدون . والانتماء فيها ليس للجماعة (الامة أو الوطن) أو للدستور ، بل للزعيم ، لا فرق فى هذا بين النظام الجمهورى والملكى ، الاشتراكى والرأسمالى ، الشعبى

- التقدم ليس فى حيازة الأشياء . بل هو فى نمط استخدامها .. وعلى الأخص فى العلائق الاجتماعية والإنسانية التى تنشأ نتيجة استخدامها

- لقد خسرنا ماضينا ومانزال نلتمس طريقنا إلى القرن العشرين .. ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ولم نصر إلى مايجب أن نصير اليه

- الآلة ليست موجوداً قائماً بذاته .. إنما هى حصيلة تاريخ .. إنها بُعد من أبعاد حضارة متكاملة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً



والبرلمانى وما شئت ... فالكل بالنتيجة واحد طالما ان العقلية واحدة .

والواقع أننا سواسية فى رد فعلنا على الآلة وحضارتها ، لا فرق بين شمالنا وجنوبنا مشرقنا ومغربنا ، فقد دخلنا كلنا عفويا فى تسوية معها ، رجحت القديم على الحديث . وعلى أية حال فان الحلول المتوسطة ، اذ تستمر ، تعرض الانسان ، فرداً وجماعة للهجانة ، وبالفعل فقد خسرنا ماضينا ومانزال نلتمس طريقنا الى القرن العشرين ونحن على مشارف الواحد والعشرين . فواحد من أوجه التحدى الاساسية هو اننا لم نعد ماكنا عليه ولم نصر الى مايجب أن نصير إليه .

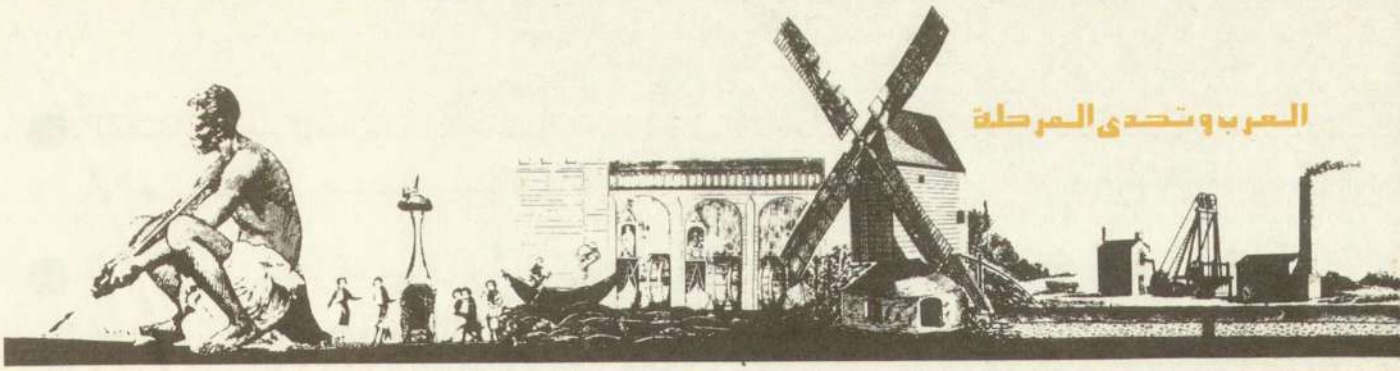
اللغز فى الانسان

إن الآلة لهى بين أشياء العالم الشىء الوحيد الذى لا سر فيه ولا لغز ، فبوسعك ، إذا درستها ، أن تفككها قطعة قطعة بحيث تلاشيها ، ثم تعيد خلقها كما هى أو مع تعديلات تجعلها أحسن مما كانت عليه ، كما أنك تستطيع أن تستخدمها لأى غرض تشاء فهى ملكك ولك الحق المطلق مبدئيا باستهلاكها .

لكن اللغز هو فى الانسان ، مبتدع الآلة ، لأنه يمنحها الوجود ويستخدمها لاستعباد الآخر ، وهى فى الوقت ذاته تفرض عليه أمورا لم يكن لولاها ليأخذ بها ، فلا تدرى أيهما يسود الآخر ، فالتحدى ليس فى الآلة ـ إنها بمتناول كل انسان يدفع ثمنها ، وليس فى المهارات اللازمة لاستعمالها ، فبوسع أى انسان مبدئيا أن يكتسبها ، إذا بذل الجهد المطلوب . وقد لا يكون أيضا فى اختراعها ، فهى اليوم من عمل هيئات متخصصة ، تضم افرادا من أطراف العالم الاربعة ، كل وفق كفاءاته ، والقاسم المشترك بينهم ـ تطوير التكنولوجية ـ يصهرهم فى وحدة لا قومية (حيادية قوميا) ولكنها تعمل لصالح الأمة التى تكونها وتمولها وتشرف عليها وتستوعب نتائجها . والتحدى فى هذا ، أى فى قدرة الأمة على تنظيم ذاتها فى مؤسسات تستطيع بدقتها وعملها المحكم ، أن تفرز أو تستقطب الهيئات المتخصصة ثم توظف حصيلة عملها لخدمة مصالحها الخاصة ، ومنها السيطرة على الامم الاخرى .

إن الآلة ليست موجوداً قائما بذاته ، ليست شيئا حياديا ، بحيث لا تتأثر بالنقلة من بيئة انسانية الى غيرها ، انما هى حصيلة تاريخ ، وليدة مجتمع ، كونها وكونته ، أى المجتمع الصناعى ثم هو اليوم المجتمع بعد الصناعى ، انها اذن بُعد من ابعاد حضارة متكاملة فى بناها الاقتصادية والسياسية ، الثقافية والاجتماعية وايضا فى أدبها وفلسفتها وقيمها وتقاليدها ، الخ . فكيف يتسنى للجماعات غير المصنعة أن تصنع وتحافظ فى الوقت ذاته ، كل منها على هويتها وشخصيتها التاريخية ؟ ذلكم هو السؤال الخطير المطروح على العالم غير المصنع ، بخطورة متناسبة مع اصالة كل أمة أو حضارة ، من أمم وحضارات هذا العالم .

ثمة ظاهرة ، قلما يعيرها فكرنا العربى ما تستحق من اهتمام ، مع انها سيرورة بعيدة المدى ، وهى أن الاستخدام المتزايد لدى كافة الامم والشعوب ، للسيارة والثلاجة والراديو والطائرة وغيرها من منجزات التقنية التى اصبحت من ضرورات الحياة ، وايضا استخدام البندقية وايضا المدفع والصاروخ ، وغيرها من مستلزمات الدفاع عن النفس ، كون ويكون بسرعة عادات وقيما ، تقاليد وتصورات واخيلة ومنعكسات موحدة ، وبمعنى ما لسانا اميا ، وبالتالى عقلية مشتركة وعلائق انسانية واحدة . فما هى حدود هذه السيرورة ؟ وهل سينتهى الامر مع تعميم استخدام منجزات التكنولوجيا الى صهر كافة الامم فى أمة ، وكافة الحضارات فى حضارة ؟ لا اعتقد ذلك إذ لا توجد أية بوادر تبشر بظهور مجتمع لا قومى أو عالمى . وربما أن العكس هو الاصح ، اليوم ولا شعار آخر . ولكن المؤثرات التى يخضع لها الشباب العربى اليوم والتى هى بوادر عقلية جديدة ، تباعد بينهم وبين الماضى بحيث يفقد التراث تدريجيا ، فى نظر الاجيال الناشئة ، كل معنى ، ويبدو وكأنه جملة أوامر وزواجر «مجانية» أى جزافية . ليس التقارب بين الشعوب والامم والحضارات بالأمر المكروه فقد وجد البشر ليتعارفوا ويتعاونوا ، إلا أن الشعب يفقد مناعته بفقدان اصالته ، فيصبح التقارب لصالح الاقوى ، وربما بسيطرة مبطنة ، مغلفة بالمثل الانسانية العليا .



تلك ، على ما أعتقد ، أمور واضحة .

والذى ليس واضحا هو الطريق التى تؤدى الى التأليف بين خطين ، للوهلة الأولى متنافرين : خط الماضى الذى هو شخصيتنا التاريخية وخط المستقبل الذى هو خط الحداثة .

والخطأ هو اننا ما نزال نعتبر التقنية وسيلة وحسب أو فى أننا مانزال نفصل الغاية عن الوسيلة، فنعتبر الموجود التقنى ، بشكل عام ، شيئا قد يملكه المرء وقد لا يملكه . مع انه فى الحقيقة وجه من اوجه وجود كلي نسميه (الوجود فى الحداثة) .

فالتحدى ليس موجها لثروات العربى ، بل لوجوده أولا ثم لثرواته .

ولغز الحياة

كان ديكارت يرى الناس متساوين فى العقل (الحس السليم أحسن الامور توزعا ، على حد قوله) متفاوتين فى الطريق التى يسلكها كل منهم للوصول الى الحقيقة ، متفاوتين ، بتعبير آخر ، فى استخدام العقل هذا يجيده فيتقدم ، وذاك يسيئه فيقصر ، وبمعنى ما ، الحق معه إذ أن بوسع كل انسان مبدئيا إذا وضع فى شروط سوية أن يميز بين الخير والشر ، بين العدل والظلم وان يفهم البديهيات الناظمة للبرهنة المنطقية (الكل اكبر من أحد اجزائه ، مثلا أو أن يعرف ما إذا كان يمارس حقا حرياته اولا ، ولأية درجة (الديمقراطية) ، كما أن بوسع أية جماعة أن تبلغ مبدئيا اعلى الدرجات فى سلم الحضارة والثقافة ، إذا أخذت بأسباب ذلك ، ولقد برهنت على صحة هذا المبدأ حركة صعود الامم وهبوطها على الخصوص فى القرن الفائت وفى هذا القرن ذلك أن العلوم والتقنيات وكافة وسائل التقدم (كما يفهم التقدم اعتياديا) ملك الانسانية جمعاء ، ومن حق كل انسان ، فردا وجماعة ، أن يفيد منها كما أن من واجبه الاسهام فى تطويرها .

فوجود الانسان مقصراً فى عالم يتقدم ـ مع أن كافة الابواب مفتوحة أمامه وكافة الامكانات متوافرة لديه ـ هذا الوجود هو التحدى بالذات ، وهو يطرح سؤالا ، التأمل المخلص فيه يحرج المتخلف وهو : لم كان التخلـــف ؟

ثمة عوامل شتى وظروف موضوعية واكبت التخلف ، منها المناخ والتفاوت العرقى ودورة الافلاك الخ كما كانوا يرون فى السابق (ابن خلدون مثلا) ومنها ، فيما يرون اليوم ، الغزو الاجنبى الذى كان يعطل حركة تقدم الشعوب فى السابق ، والاستعمار الذى بدأ مع النهضة الغربية وما يزال مستمرا ، هو الذى قسم العالم الى مناطق نفوذ او احتلال اجبرت كلا منها على الانغلاق على ذاتها وبقيت كذلك لسنوات قليلة خلت وايضا وجود المواد الاولية ومصادر الطاقة اللازمة للصناعة حيث تمت الثورة الصناعية فى أواخر القرن الثامن عشر ، الخ .

إلا أنه لا توجد ، من حيث المبدأ ، شروط لازمة وكافية لشرح وتسويغ عمل ، الانسان بعد من ابعاده ، وإذا وجد شيء من ذلك سقطت الحرية وامتنع الكلام . إن الانسان ينشيء شروط وجوده بمقدار إنشائها إياه واكثر .

أقول بشكل آخر إن الشروط والاسباب والعوامل التى ذكرت وغيرها بعدد وفير ، كلها ، قد اوردت ورددت بكافة الاشكال والتلوينات ، لا تكفى لرفع مسؤولية التخلف عن المتخلفين ، على الخصوص اليوم ، بعد أن استقلت معظم أممهم ، وصارت كل منها نظريا ، سيدة ثرواتها ، تتصرف بها كما تشاء ، وعليها ان تستخدمها ، لا لرفع مستوى حياة الشعوب وحسب ـ فهذا تحصيل حاصل بل أيضا لاذكاء روح الابداع عند الفرد ، وهذا هو جوهر التقدم .

ان وجود الجماعات أمما كانت أم حضارات أم شعوبا أم غير ذلك ـ هذا الوجود تاريخى ، فما نسميه خصائص الأمة أو عقليتها أو مميزاتها القومية ان هو إلا تشكل مرتبط بظروف سياسية ـ اقتصادية ـ ثقافية تستدعيه ويستدعيها ويتبدلان معا قد يكون هناك طابع عام أو خلق مشترك يميز أمة عن أخرى ويضفى سمات خاصة على تقدمها أو تأخرها ، وهو قابل للاستمرار زمنا طويلا ولكن ماالذى يضمن استمراره إلى ما لا نهاية له ، ؟

فالعجز إذا ليس عضويا ، كما يقول علماء الحياة ، أى ليس من بنية الموجود ، ولو صح ذلك لما كان ثمة تحد ، وإنما هو وظيفى على حد تعبير علماء الحياة أيضا ، ليس العجز فى العقل ، فهذا مشترك بين البشر اجمعين ، كما يقول ديكارت وهو الذى يميز الانسان عن الحيوان بل فى ممارسة الانسان لقدراته العقلية ، فقد يستخدمها للقتل والسطو وبقية انواع الأذى ، وقد يسخرها لتغطية عقده النفسية ، كما قد يستخدمها لتنمية العلوم والآداب والثقافة ، شأنه فى ذلك شأن مالك رأسمال ، قد يستهلكه لاشباع شهواته ، وقد يوظفه فى مشروعات التنمية .

فالسؤال الذى لا جواب له هو : لم يتراخى الانسان فى وقت من الاوقات فيبدأ بالهبوط وينساق معه ؟ لم يدمر الانسان احيانا وجوده وكأنه ينتحر عامدا متعمدا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ ... وبالعكس ، متى وكيف ولم تشتد همته فيقتحم الصعاب ويصبح مستقبلا . ؟

إنـــه لغـز الحريـــــــة .

التحدى الحضارى

ليست هذه المرة هى الاولى التى تواجه فيها الامة العربية تحديا «حضاريا» بمقياس التاريخ ففى القرنين الأول والثانى للهجرة وجدت أمتنا ذاتها امام حضارتين كانتا إذ ذاك تتنازعان السيطرة على العالم المتحضر : الاغريق فى تراثهم الفلسفى وفي بيزنطة وريثتهم ، ومن جانب آخر بلاد فارس وعبرها روحانية الشرق الاقصى . وما إن يطل القرن الرابع حتى تصبح كل من الحضارتين ، بالتعريب والتمثل ، بالتأليف وإنشاء المؤسسات ، بعداً من ابعاد الوجود العربى .

ولكن من المؤكد أن تحدى الحداثة ، فكرا وتقنيات ، اضخم واقوى مفعولا من كل ما سبقه من جهة لأنه يقع على بنية اجتماعية جعلتها قرونا عدة من الانحسار والتقوقع ، هشة سريعة العطب ومن جهة أخرى لأن التكنولوجيا التى هى وجه الحداثة الأكثر تقدما والاكثر نفاذا ، تملك قدرة خارقة على تفتيت الشخصيات التاريخية ، على الخصوص إذا لم تكن هذه مهيأة

● التحدى موجه لأمم العالم كله .. وبالدرجة الأولى لثقافة كل منها . وبتعبير أدق لأصالتها ولصورتها الحضارية وتاريخها

● التقدم ليس فى الثروة ولا فى عمران المدن .. حتى ولا فى عدد المدارس .



ابن خلدون



ديكارت



كارل ماركس

لاحتضانها ، أى لمعرفتها وتمثلها وابداع نظيرها ، ويزيد فى خطورة مفعولها أنها ، بذاتها ، كيان مجرد ، حيادى ، أصم بدون تراث ، بمعزل عن الزمان والمكان ، فحيث يغرسها الانسان تزيح التاريخ القائم لتفرض تاريخا خاصا بها ، وهو فى الحقيقة نفى لكل تاريخ . وحيث تهبط على حين غرة هبوط الغازى تفرض صورتها وتاريخها ، منطقها وتراثها ، أو قل يفرضه صاحبها هو ومصالحه ـ باسم العلم والتقدم ، باسم الحرية ، باسم الصداقة بين الشعوب ... باسم ما شئت من المعانى الانسانية العظيمة !

فالتحدى اذن موجه لأمم العالم كله ، وبالدرجة الاولى لثقافة كل منها ، لمؤسساتها للغتها ، أو بتعبير ادق لأصالتها ولصورتها الحضارية ، كما تبلورت خلال تاريخها ، إلا أنه يأخذ شكلا حاداً جداً عند الامم غير المصنعة حيث البنى والقوى، القيم والتقاليد ، حيث العلائق الاجتماعية والانسانية ليست من هذا الزمان ، فلا تتوافق مع آلة الحداثة ، وأيضا حيث على الجماعة بالتالى أن تنشىء كل شىء وتنشىء وجودها من الصفر ، وفى الوقت ذاته تحافظ كل منها على اصالتها .

فالتحدى رهان على الوجود .

إلا أن ماصنعه إنسان ، بوسع كل إنسان بوسع أى إنسان ، مبدئيا ، أن يصنع مثله وأحسن ، وليس هذا بالامر المستغرب ، فالآلة ، اية آلة ، مهما تكن دقة صناعتها وإحكامها وتعقيدها ، ان هى إلا دستور رياضي حقق فى الحديد والصلب ، إنها تصور عقلى ، فكرة مجردة باختصار صناعة لاطبيعة ، وكل صناعة يوجدها إنسان ، فهى للانسان ، يستخدمها وفق حاجاته ويطورها وفق رصيده الفكرى .

ولكن ، اذا توافرت له الشروط التى تمكنه من ذلك .

واذا كان العقل قسمة عدل بين الناس ، فوجوده لايتحقق لايصير فعلا ، بعد أن كان قوة إلا بالطريقة أو إذا شئت بسلوك الطريق المتناسبة مع غرضه ، وربما أن الاعتراض الأهم على ديكارت وحقيقته هو فى سؤالنا عما إذا كان بوسعنا الفصل بين العقل والطريقة التى يستخدم بها ليتحقق ، اذ ليس من الممكن اعتبار الغاية بدون الوسيلة ولا الهدف بدون الطريق التى تؤدى إليه ، والعكس صحيح ، فاذا كان بمقدور إنسان مزود بثقافة مناسبة أن يصنع آلة حديثة تدرب على صنعها ، واذا كان بمقدور أى مجتمع اليوم أن يعد علماء وتقنيين بعدد وفير ، فليس من السهل على الجماعة أن تنظم ذاتها بحيث تستوعب علماءها فلا يغادرونها ، كل منهم ، فور إنهاء تحصيله ، كما انه من الصعب جداً على الفرد أن يبدع فكراً متقدماً بدون مناخ مشبع بالثقافة والحرية ، قد يكون من العسير حصول الانسان على راس مال نقدى وفير ، ولكن الأعسر هو حسن استخدام رأس المال هذا بحيث يؤتى أكله .

إن التقدم ليس فى الثروة ، ولا فى عمران المدن ، حتى ولافى عدد المدارس ، على أهمية هذه الوسائل وغيرها ، بل هو فى الابداع ، اقصد القدرة على تخطى الركود فى سبيل تجدد لاحد يحده . واعلى انواع الابداع هوابداع الانسان ذاته وعالمه ، فعندما تبلغ الجماعة هذا المستوى تنتج ماتحتاجه من علماء وتقنيين وآلات تلائم درجة نموها ، وتنتج بالدرجة الأولى شعراء ومفكرين ... وأيضا قادة على مستوى الآتى

● ● ●

ان قرونا من الاستعمار والاضطهاد ، من الفقر والتقوقع .... تفقد الانسان ثقته بذاته فهو ضعيف الخلق ، محدود النظر ، سيىء الظن بالآخر ، جشع ، نهمه لايشبع من الثروات والمناصب والالقاب ، إذا وضع فى مركز السلطة تسلط ، هذا الرجل إذا حكم علق الحريات واضطهد الناس ، لاعن سوء نية فى اغلب الحالات ، بل لأنه لايطمئن اليهم لايركن إلى من لايعرفه ، أهل عشيرته وندماؤه والمتزلفون هم الموثقون وحدهم ، عندها تراوح الجماعة مكانها ويخيم عليها شبح التخلف ويبدأ التحدى .

فالداء فى الحرية وعليها وحدها أن تجيب .

ربما أن الحضارة التكنولوجية هى اكبر امتحان تعرضت له فى التاريخ حرية الانسان فرداً وجماعة ، وذلكم هو جوهر التحدى ، يضع كل أمة أمام مسؤولياتها ، وعليها أن تجيب ، لابالاعلان عن النوايا الطيبة ، فالعبارات الفضفاضة دوما دليل عجز فى المؤسسات ، وبما تعطيه من مبادهة للشعب ، كى يناقش ويختار ويوجه وبالحوار الفعلى بين القيادة والناس ، وتبادل الادوار ففضيلة المواطن أن يكون حاكما ومحكوما ، أن يجيد الامارة والطاعة ، كما كان يرى أرسطو وبما تنتجه من مثقفين وفنانين وفلاسفة ... ينبئونها عن حقيقتها ، ففى جواب الأمة الدليل إلى وعلى درجة تحررها ، والبرهان على أن بوسعها تخطى التخلف .

والحرية هى الحكم الأول والأخير فى شؤون الحياة والدنيا .

أنطون مقدسى

نعمان عاشور

لقاء مع:

بيرم التونسى العراقة الشعبية



من أصل تونسى .. لكنه من مواليد الإسكندرية

كان صاحب محل عطارة وهو صبى

الظاهر بيبرس: إحدى روائع بيرم الدرامية

أزجاله ظلت تنبض بعناء الناس حتى آخر عمره

تعود بيرم رحمه الله أن يكتب فى أى مكان يهبط عليه فيه الوحى . وكما كان يقول هو ساخرا من نفسه (لما تواتينى زنقة الالهام فقل على الدنيا السلام) وذلك انه كان يسارع الى تسجيل خواطره حتى وهو جالس فى الترام لأنه كان يتمسك بحكمة دائمة بالنسبة لما تجود به قريحته الفياضة (أصل اللى يجى لو راح ما بيتكررش) وهو يقصد بذلك ما تكشف له عنه احاسيسه من افكار نسميها نحن تارة بالوحى وتارة بالألهام . كان اذا لم يسجلها فى حينها وأراد أن يكتبها بعد ذلك فلابد أن يكتب شيئا آخر غيرها ... وقد درج بيرم على ذلك من الصغر منذ كان صاحب محل عطارة فى اوائل نشأته بالاسكندرية وهو صبى .... ابان الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام ١٩١٦ .

كاتب عمومى

حدثنى عن ذلك بنفسه فى جلسة طويلة إذ كنا نعمل معا فى القسم الادبى بجريدة الجمهورية ونقوم بالاعداد لاصدارها بعد تجارب استمرت أكثر من سبعة شهور وقال وهو يجلس الى احد المكاتب الخالية وفى يده ورقة وقلم وانا استغرب أنه سيجلس ليكتب مباشرة . (أنا اصلى خدت على كده من زمان ... من ايام العطارة .. كنت اقعد اكتب فى الدكانة والناس تفتكر انى باعمل حسابات المحل ... وانا فى الحقيقة بارص لهم قصايد زجل وشعر زى اللى انا حاأرصها دلوقت لبتوع الجرنال) وهذه العادة ... عادة الكتابة المباشرة فى أى مكان كانت تفرضها عليه طبيعة وظروف حياته بعد أن تحولت الكتابة الى حرفة ومهنة ومصدر الرزق الوحيد . لكنها لم تكن عملية الخلق عنده إذ كان يصف نفسه وهو يزاولها بأنه (كاتب عمومى) لكنه حين يشرع فى كتابة الاعمال الفنية الكبيرة التى يعتز بها يحتشد لها بكل المهيئات الممكنة التى تتيح له التفرغ والانقطاع والعزلة عن الناس ...

كان من عادته رحمه الله أن يختار ركنا منزويا من أى مقهى وامامه كراسة من كراريس تلامذة المدارس وفى يده قلم صغير من الرصاص .. وكان يحب أن يكتب دائما بالقلم الرصاص .. يجلس وعيناه تجولان فاحصة فيما حوله حتى ليخيل اليك أنه يبحث عن شىء ما قد تاه منه . ثم يرفع قامته ويتمتم كما لو كان يخاطب السماء ..

فاذا نزل برأسه على الورق لم يرفعها إلا وفى يده كل ما كتبه كاملا ...



حارة النواوى التى قضى بيرم أيامه الأخيرة



قهوة السد بحى السيدة زينب مكان بيرم المفضل لكتابة ازجاله



بيرم مع ام كلثوم وزوزو نبيل

غية الحمـــام

صحبنى يوما الى منزله وكان يقطن فى المدبح .. احد أحياء القاهرة الشعبية العتيقة ... وكان القصد أن يطلعنى على (غية الحمام) التى يقتنيها ... كان يعشق الحمام بكل أنواعه ويقتنى العديد منه ويقوم على تربيته وإطعامه ومبادلته مع غيره من الهواه .. وهذه الهواية هى الأخرى كانت لاصقة به منذ شبابه وهو فى الاسكندرية ، وقد لازمته طوال سنوات النفى التى امضاها فى فرنسا وكانت من أقوى الانطباعات التى ظلت عالقة بوجدانه وتستأثر بكل اهتمامه ....وكثيرا ما كان يتمنى أن يكون لدينا مثلما فى اوربا ميادين يطير ويعيش الحمام فيها ... ثم يستدرك (عارف الحكاية دى لو حصلت لكن دا مستحيل .. احنا بناكل الحمام والعصافير كمان) .

أما بيرم نفسه فلم يكن يطيق ذبح الحمام حتى يأكله ...

ملحمة الظاهر بيبرس

اقدمت يوما على الجلوس إليه فى مقعد مقابل وكنا فى نادى الاذاعة القديم بشارع الشريفين وشاعرنا الكبير ينهى إحدى حلقات مسلسله الرائع عن (الظاهر بيبرس) إنها احدى روائع بيرم التونسى الدرامية ... ويااليت أحدا يعنى بنقل شرائطها المسجلة فى الاذاعة (هذا اذا لم تكن قد مسحت واعدمت) وبالقليل تسجيل اصول حلقاتها المكتوبة بخط يده اذا لم يكن قد ادركها الضياع فى ارشيف الاذاعة ... ثم يعمل على طبعها فهى من اقوم واعمق ما سجل عن تراثنا الشعبى على ارفع المستويات الفنية .. امسكت بالمقعد ولكنى ما كدت أجلس واحركه حتى فزع صارخا فى وجهى ..(ابعد عنى حرام عليك) ولم اغضب فقد كنت اعرف فيه هذا الطبع ... لكنه حين انتهى من الكتابة قام يترنح وكأنه كان فى غيبوبة ثم أخذنى من يدى لأجلس على المقعد أمامه ... بعد الحاح فى الاعتذار .

ماكينات التفصيل الأدبى

وحقيقة الموضوع أن الحلقة التى كان يكتبها للاذاعة عن الظاهر بيبرس كان ينقصها مشهد حتى تصبح مدة التسجيل بالمسمع الاضافى نصف ساعة كاملة ... لأنها اذا سجلت كما كتبها اصلا لخرجت ناقصة أربع دقائق وبالتالى لا تستحق عنها أجرا يعادل نصف اجرها المقرر للنصف ساعة ، وكان بيرم شديد الحساسية لمثل هذه الامور وكان يكتب المسمع الاضافى مرغما ... وبعد أن تابع اعتذاره راح يشرح لي حقيقة ما كان يكتب بسخرية لاذعة مريرة .. (انت عارف احنا بنعمل إيه ؟ احنا بنقدم قماش والمكن هو اللى بيفصله) وكان يقصد بذلك اجهزة التسجيل ومكانة الكاتب المعاصر بكلمته المكتوبة على الورق فى مواجهة ادوات التعبير الحديثة الناطقة والمشخصة على السواء .... كان يعانى من ذلك حتى فيما يكتبه من اغانٍ خصوصا للسينما .. فأحيانا ما يقدم الاغنية ثم يعترض عليه المخرج لأنها قصيرة أو يطلب اليه المطرب والملحن تغيير بعض كلماتها ... فيأخذ بيرم نص الاغنية ويمزقه فى وجوههم ثم ينصرف ... فاذا لاحقوه كتب لهم غيرها مشترطا الا يحددوه بمقاس والا يطلبوا منه تغيير حرف واحد منها ... كان لا يقبل ابدا أن يعبث أحد بكلماته فيما عدا (الشيخ زكريا) .. و (الست) وهو يقصد زكريا احمد وأم كلثوم وعلى اساس ألا تستبدل أى كلمة فى أى شطر إلا بعد موافقته وهو الذى يختار بديلها وينتقيه بنفسه ...

بيرم : قصة حياة

وهنا قبل أن تنساب بى الذكريات والانطباعات عن بيرم التونسى وعشرتى له ... افضل لو اقدم صورة خاطفة عنه وعن حياته حتى اعرفكم بحقيقة مكانته وقيمته ... بيرم من أصل تونسى ولكنه من مواليد الاسكندرية ... وقد نشأ فى عائلة فقيرة وتحمل عبء حياته من صباه ... ورث عن والده مهنة العطارة ولم يكمل تعليمه فى المعهد الدينى ... واكتشف فى نفسه موهبة الشعر ثم كتابة الزجل ... ولأنه يعيش على الدوام بكل إحساسه وفكره ووجدانه مع الجموع الشعبية المعانية فى كافة مسالك الحياة .. فان ازجاله ظلت تنبض حتى نهاية عمره بعناء الناس وصرخاتهم وشقائهم فى شجاعة نادرة وثبات وصلابة لا تعرف اللين وهو الابن الشرعى للجموع الشعبية التى حملت على اكتافها ثورة ١٩١٩ فى مصر ... وكان من ابرز المعبرين عنها سواء فى موقفه السياسى وفى انتاجه الفنى وزمالته وارتفاقه المتصل بصنوه العملاق الموسيقى سيد درويش الذى كتب له بيرم العديد من أهم ما لحن من اعمال غنائية

لقاء مع: بيرم التونسى

● بالرغم من احتكاكه بالمجتمع الغربى .. فقد حافظ على تدينه



بيرم سنة ١٩١٩م



بيرم فى حالة استرخاء .

ومسرحية باقية ...

نفى بيرم من مصر عام ١٩٢٠ ، وعاش شريدا فى فرنسا سنوات طويلة ثم حاول العودة الى مصر مرارا ولكنه فشل الى أن اتيحت له الفرصة عام ١٩٣٦ إبان الفورة الوطنية المطالبة بالحكم النيابى الحقيقى وعودة الحياة الدستورية .. كان يستقل باخرة تعبر قناة السويس فلما رست أمام مدينة بور سعيد لم يستطع أن يقاوم فنزل الى البر وانسل هاربا الى القاهرة واختفى لعدة شهور عند بعض معارفه واصدقائه القدامى .. فلما عرف بوجوده كان لابد لكى يرفع عنه النفى المؤبد خارج مصر ان يقدم الثمن على صورة بضعة أزجال يعلن فيها التوبة ويطلب العفو من الملك فاروق .

حدثنى بيرم عن ذلك الموقف الذى لم يرحمه فيه خصومه وبعض أصدقائه حتى بعد مماته ..

الحقيقة انا كنت أيامها فى حيرة وناوى أركب رأسى تانى .. لكن قعدت افكر لسه حارجع للمر اللى شفته فى أوربا ... وفى مقابل ايه؟ .. كام سطر زجل من ضمن الاف السطور اللى باكتبها علشان ارجع اعيش فى مصر تانى ... كنا نجلس على طرف الرصيف فى مقهى مجاور لسراى عابدين .. وكان مزاجه معتدلا على غير العادة .... فقال بمنطق عجيب وعميق وهو يبصق على الارض مشيرا الى بصقته ثم الى الاوساخ التى تضج بها ارضية الميدان وشوارعه .. قول لى .. البصقة بتاعتى دى عملت إيه فى الشارع !! زودته وساخة !!! ابدا !! .

... وانا من ناحيتى لم أكن ألومه وانما كنت ولازلت مقتنعا بموقفه ... وإلا فماذا كان يحدث لو اننا حرمنا من بيرم طوال السنوات التى عاشها فى مصر بعد ذلك حتى وفاته فى ١٩٦١ . لقد عاد ليغمر حياتنا بأعماله الفنية الباقية فى كل مجال من مجالات نشاطنا الفنى ... السينما والمسرح الغنائى والاذاعة وما يكتبه لأم كلثوم من اغنيات ... ثم هذا التراث الوافر من الازجال والمقولات الشعبية التى كتبها ناقدا كافة همومنا الاجتماعية والثقافية فى اصالة وتجدد وحيوية لم يصل اليها احد بعده حتى اليوم ...

اعتزازه بفنه

ونعود الى لقاءاتى معه ... لقد كان الشىء الغريب الذى يستلفتنى فى بيرم دائما أنه رغم الحياة العريضة الصاخبة التى عاشها خارج مصر ... ورغم احتكاكه بالمجتمع الغربى احتكاكا لاصقا قويا وبالذات اندماجه بالحياة الجماهيرية الشعبية هناك بحكم قيامه بكثير من المهن الصغيرة ولا أقلها اشتغاله حمالا ثم جزارا الخ ... فانه ظل ثابتا على شيئين رئيسيين: شدة تدينه الذى بلغ حد التصوف ثم التعلق الدائم بأنباء وطنه من طوائف الشعب العمال والفلاحين بالذات واحياء القاهرة الشعبية بناسها وتقاليدها ... لقد عاد كما لم يعد غيره وهو أكثر ارتباطا بالبيئة التى انبتته وان كان دائم السخط صارخ الاسى على ماتعانيه من فقر وجهل وتخلف ... ثم هذا الانعدام الكامل فى التمسك بأبسط مقومات الحرية ... وكانت الحرية تتمثل دائما عنده فيما يلمسه من رضوخ الناس للقهر وهوانهم واستسلامهم لكل عوامل التسلط ... ومن هنا رفض كل ما كان يعرض عليه من وظائف واعمال حكومية وغير حكومية رغم أنه كان يعيش من اليد الى الفم واحيانا ما تنقطع عنه سبل الكسب من انتاجه ... ولهذا كان يحرص على أن ينال حقه من كل مايقدم من كتابات حتى اتهم بأنه يغالى فى تقدير قيمة وأجر انتاجه . وقد اختلف كثيرا مع أم كلثوم فيما كانت تدفعه له فى مقابل اغنياته التى يؤلفها لها لدرجة أنه اتهمها بالبخل والاستئثار والانانية وامتنع عن الكتابة لها عدة سنوات متأثرا باحساسه بالغبن .. وظل على موقفه وهو يردد .. (انا باقول كلام ماحدش غيرى يقدر يقوله .. علشان كده .. انا اللى احدد قيمته وثمنه .) .

الفقر .. والجدعنة !

كان بيرم عنيدا فى اعتزازه بكتاباته حتى صوره بعضهم بأنه كان يضمر الحقد لبقية الفنانين الذين يكسبون من اعمال أقل قيمة من أعماله .. الكثير من الأموال ...



بيرم عام ١٩٢٧ فى سنوات المنفى بفرنسا

ضعف اضعاف مكاسبه .. وتلك فرية مبعثها فهم خاطىء وغير ناضج لطبيعة الحياة التى عاشها بيرم ... فالرجل كان يقتات من قلمه . وهو لم يكن يطمع فى المال بدليل انه كان مبددا وعلى حد وصفه لنفسه (أنا راجل ايدى سايبه .. انت تقدر تمسك الميه فى ايدك .. أهو أنا الفلوس فى ايدى زى الميه تمام لكن لازم آخذ حقى بالكامل) .. والذين عاشروا بيرم حتى نهاية عمره فى زهده وتصوفه البالغ يعلمون كيف كان ينظر للمادة فى احتقار مرير ..لقيته يوما يجتاز رصيف الترام مع ولديه الصغيرين (انجبهما على كبر) وكان فى طريقه ليشترى لهما كسوة العيد ... ويحمل فى يده حوالى مائة جنيه استلمها توا من خزينة الاذاعة مقابل تمثيلية زجلية فقال لى وهو يأسف ساخرا والنقود فى يده : نبيع مشاعرنا وافكارنا على الورق ونأخذ مقابلها ورق نشترى به .. جزم وصرم ثم أردف وهو يجتاز الشارع بولديه وكل منهما فى يد (الحمد لله على الفقر والجدعنة) وهى عبارة تسمعها دائما على لسان كافة أبناء البلد فى مختلف حوارى القاهرة ...

عامية بيرم وشاعرية الفصحى

منذ أكثر من خمسة عشر عاما .. زارنى احد ابناء بيرم بعد أن كتبت عنه دراسة بمناسبة ذكرى وفاته ... وكان يعرف مدى صلتى وعلاقتى بوالده وشكرنى على اننى نوهت بأهمية وضرورة جمع ثرات بيرم المشتت المبعثر فى مختلف الجرائد والمجلات والكتب .. واخبرنى ان لديه العديد من الاعمال التى جمعها من مخلفاته وبينها العديد الذى لم ينشر وبحكم عضويتى فى لجان المجلس الاعلى للآداب والفنون استكتبته مذكرةبذلك وأحلته على المسؤولين بالمجلس فرفضوا قبول النشر بزعم أن المجلس لايقوم بنشر مؤلفات مكتوبة باللهجة العامية ... وانصرف الصبى يائسا ... بعدها وانا اقلب احدى المجلات القديمة وجدت فيها بعض قصائد بيرم فحرصت على تضمينها فى كتاب اخرجته عن الشخصيات المصرية بعنوان (بطولات مصرية) ومنها طبعا شخصية بيرم .. وهاكم قطافا من قصيدتين لتحكموا بأنفسكم على مدى العامية فى زجل بيرم وارتباطها اللاصق كتعبير أدبى بأدق وأرقى واصفى أساليبنا الفصحى ...

القصيدة الاولى بعنوان (الكلمه الهايفه) ويقول فيها...

من هفوة أو كلمة هايفة ننحمق ونقوم نسب وندب ونشعلل عراك بالشوم . وكل محموق وله فرقه تقوم بهجوم من قبل ما نعرف الظالم من المظلوم تبقى الشرارة حريقه والسحابة حسوم لاشركة تنجح ولاعيلة صفاها يدوم ومنين نشوف العدل ولاالسفينة تقوم ما دمنا فوق قلبها قاعدين لبعض خصوم تضحك علينا الحدادى فى السماء والبوم

والقصيده الزجلية الثانية عنوانها (الزحام) ومنها هذه الابيات ....

شوف الجاموس لما يشرب من شط النيل الواحد جنب اختها واقفين فى صف جميل .

شوف الغنم للمراعى لما تمشى رعيل لا الكبش يطغى ولا ينطح بقرنه أصيل أسراب ومنتظمة راجعة للحمى بديل وانظر وشوف البنى آدم بتوع دى الجيل كل الأمور عندهم بالزغد والتشضيل قالوا اللى مايكونشى فى الأول دايبقى عويل ومن كده بالقليل فى كل زحمة قتيل واللـه البهايم ولا ... اولاد قابيل وهابيل

لهجة عامية لكنها مصاغة فى رنة عربية أصيلة تكاد تدانى الفصحى فى سبكها وصياغتها وروعة معانيها ودقة ورقة صورها وما تحمله من مشاعر داخلية وموسيقى. تلك كانت موهبة بيرم وتلك كانت شاعريته وهى أقرب إلى التراث الشعبى منها الى التراث المتوارث ... وحرام أن نتجاهلها ولانجد بيننا من يحرص على بقائها قدر ما نحرص ونعتز بألف ليلة وليلة فى لغتها مثلما فى دلالتها وقيمتها ... ولهذا اقدم الدكتور محمود الشنيطى مشكورا وهو يرأس الهيئة المصرية العامة للكتاب على جمع تراث بيرم واصدار بعض اعماله فى خمس مجموعات .

تجارة فى تجارة

قبل وفاة بيرم بشهور اصيب بوعكة صحية الزمته الفراش ... ثم عاد ليستأنف نشاطه ... لقيته جالسا وحده منفردا بنفسه فى زاوية بمقهى فى ميدان الأوبرا ... ولم يكن من عادته أن يجلس هناك .. كان أمامه كوب من الينسون وهو يسعل بانتظام من أثر الربو الشديد ... رحب بى وشكرنى على سؤالى عنه ... لم تكن أمامه ورقة ولم يكن فى يده قلم ... وكان قد عاد من فحص طبى على صدره ... وجلس صامتا ساهما ... فحاولت أن اخرجه من صمته ...(مالك ياأستاذ بيرم) فأجابنى (الدكتور بيقول لى ماتتعبش نفسك وأنا قرفت من صنعة القلم طب. وبعدين ... أعيش منين ... والاولاد حيعملوا ايه ؟ أنا لو مت حا أدخل الجنة ... لكن هما حيعيشوا فى نار ... الايام الجايه هيه أيام النار ... أيام الشقا ... أيام الشرود والجحود ... خدها منى حكمه ... الخير خلاص انتهى من الدنيا العيشه كلها حتبقى تجارة فى تجارة ... بكره تشوف)

بعدها مات بيرم وكلماته لاتزال تطن فى اذنى كلما تلفت حولى ، كيف امكن له أن يصل بهذه النظرة النفاذة الى المستقبل .. بفضل فراسته .. ام بفضل عبقريته أم بفضل إغراقه العميق فى مسالك التصوف والزهد والشفافية .... لقد كان بيرم من أكثر الناس واقعية بقدر ما كان من أكثرهم مثـ ... وتلك هى حقيقته على حد فهمى له ومعرفتى بـه .

نعمان عاشـور

صلاح عبد الصبور

من الزقازيق إلى أوربا على جناح الوهم

كان لكل من محبى الشعر الصغار من زملائنا كراستان ، واحدة يثبت فيها ما تفيض به قريحته من شعر ، وأخرى ينسخ فيها ما يروقه مما يقرأه فى الصحف والدواوين ، وكانت كراستى الاولى تتسع وتضيق يوما بيوم ، فقد كنت لا أكاد أرضى عما اكتبه من شعر إلا بعد أيام من كتابته ، ثم ماالبث أن اكتشف مافيه من نقص أو خطأ أو تقليد مكشوف ، فأمزق عندئذ أوراقه من الكراسة ، حتى لم يبق من بعض هذه الكراريس إلا جلدتها .

أما كراسة المختارات ، فليتنى احتفظت بها ، وأضفت إليها ، إذ أن كتب المختارات فى رأيى نوع من التأليف ، تفتقده مكتبتنا الشعرية ، بل أن هذه الكتب هى ما ينطبق عليه بحق صفة (التأليف) ، إذ يؤلف كاتبها أو جامعها بين أذواق وحساسيات مختلفة ، مستهديا بذوقه وحساسيته ، وقديما قالوا : إن اختيار المرء جزء من عقله ..

وإنى لأتمنى حينا لو كانت المكتبة الشعرية قد عمرت بمختارات طه حسين والعقاد وشوقى وغيرهم كما عمرت حينا بمختارات البارودى ، واقدر لأخينا ادونيس صنعه فى جمع مختاراته من الشعر العربى .

ولكن .. هبنى احتفظت بكراساتى المنسوخة الأولى ، اترانى كنت ارضى الآن عن اختياراتى وتأليفى ، لقد كان جزء كبير منها منسوخا من دواوين على محمود طه التى كانت تصدر عندئذ فى أنق طباعة ، وتباع ببضعة قروش لا تطيقها جيوبنا الفارغة فكنا نستعين على ظمئنا اليها باستنساخ نسخة مكتبة البلدية ، وانى لأعرف الآن سر افتتانى بعلى محمود طه فى ذلك الزمان ، فلقد كان يجسد لنا ما تصبو إليه اجسامنا الفائرة وعقولنا الغضة .. كان ضربا من احلام اليقظة ، فلقد كان على محمود طه فى ذلك الزمان قد فرغ فى ديوانه الأول (الملاح التائه)من تصوير نفسه شاعرا رومانتيكيا أسيان حزين النفس منكسر الخاطر

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل
ومازلت غارقا فى شجونك
مسلما راسك الحزين إلى
الفكر وللسهد ذابلات جفونك
ويد تمسك اليراع ، وأخرى
فى ارتعاش تمر فوق جبينك
وفم ناضب به حر أنفاسك
يطغى على ضعيف انينك

ألم تكن هذه هى الصورة التى تداعب خيال صبى ريفى مثلى ، حين يرى نفسه منقطعا عن العالم ، عاكفا على كتاب أو ديوان شعر ، يتخذ من الكآبة سمتا لأن الكآبة هى اليق ما يكون بالانسان الحساس ... ألسنا نحن الذين نفترق عن زملائنا بقدرتنا على سبك القريض ونظمه ومن ثم بولوعنا بالتفكير فى أمر الكون وتدبره إذ أن قلب الشاعر كما قال لنا المنفلوطى فى أول صباه فى تعريبه لرواية « سيرانو دى برجراك » « هو مرآة تتراءى فيه صور الكائنات يزداد وعيا بأن الحياة ألم متصل وشقاء مقيم »

لقد جسد لنا على محمود طه فى ديوانه الأول هذه الرؤية ، التى ما لبثت أن نسختها رؤية ثانية فى ديوانه اللاحق « ليالى الملاح التائه » .

كانت قد اتيحت لعلى محمود طه بعد صدور ديوانه الأول فرصة السياحة فى أوربا ورأى ما فيها من جمال وسحر ، واستوقفه فيها جمال المرأة ، وسحر حديثها ، وهاهو يطالعنا فى أول قصائد « ليالى الملاح التائه » بقصيدته عن « الجندول » .. لقد طار بى فى الخيال من بيتنا الصغير فى شارعنا المترب فى مدينة الزقازيق إلى فينيسيا عاصمة الادرياتيك كما يقول على محمود طه فى مقدمته النثرية لهذه القصيدة ، وركبته معه ، أنا الذى لم أركب القطار حتى ذلك الحين إلا مرات معدودة ، وكان ركوب القطار فيها قطعة من العذاب ، حيث تتهاوى عليك حوائج مواطنيك من الفلاحين والفلاحات ولفائفهم ، وركبت مع على طه فى جندول مزدان بالمصابيح الملونة وضفائر الورد ومررت معه فى قنوات المدينة بين قصورها التاريخية وجسورها الرائعة ، وأنا أمرح وأغنى ، وقد لبست زيا تنكريا بهيجا .

بل لقد جرى حوار جميل بينى وبين إحدى الفاتنات .

وتبين لى بعد أن توثقت عرى الألفة بين هذه الجميلة أنها من فارسوفيا ببولندا ، وهكذا جمعت بين الحسنيين ، سحر ايطاليا ، وفتنة بولندا ، وطرت الى هذه البلاد على جناحى على طه ، وكنت فى ضيافته .

كان على محمود طه فى ذلك الزمان البعيد لنا حلم يقظة نتمناه ، ونظن الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر الى تلك الشطوط البعيدة . لكننا فيما بعد قنعنا بواقعنا وزهدنا فى هذا الحلم البهيج !

● كان على محمود طه في ذلك الزمان قد فرغ في ديوانه الأول من تصوير نفسه شاعرًا رومانتيكيًا

● الصورة التي داعبت خيال صبي ريفي حين رأى نفسه منقطعًا عن العالم عاكفًا على كتاب

● عندما كبت مع الشاعر في جندول مزدان بالمصابيح الملونة وضفائر الورد

وفى سياحة خيالية تالية يأخذنى على طه الى بحيرة كومو ، ولم يفته أن يقول لنا فى المقدمة النثرية لهذه القصيدة . إنه كان فى صحبة أديبة امريكية وأن بحيرة كومو أجمل البحيرات الثلاث التى ينفرد بهااللمبارديا الايطالى . ولم يفته فى القصيدة أن يقول لهذه الأمريكية على لساننا نحن ابناء العالم القديم الغرقى فى فقرنا وبؤسنا وتقاليدنا الموروثـــة :

يا ابنة العالم الجديد صلى عالما غبر
فى دمى من تراثه نفحة البدو والحضر
وأغان لمن شدا ومعان لمن فخـــر
ماتسرين ..افصحى إن فى عينيك الخبر
الغريبان هاهنـــا ليس يجديهما الحذر
نحن روحان عاصفان وجسمان من سقر

ويظل فتانا وممثلنا فى غزو العالم بالشعر ، يناجى الأمريكية الاديبة ، وينال ودها الجميل .

وفى سياحة ثالثة ينقلنا على محمود طه ، أو ينقلنى على الأصح من ضيقى بشاطىء ترعتنا المترب الى شاطىء بحيرة زيورخ بسويسرا ، حيث تبتسم لى جارتى فى المقهى الصاخب ، ثم ما تلبث بعد أن اعطتنى ابتسامتها أن تعطينى أعطافها :

أأنا الغريب هنا ، وملء يدى
أعطاف هذا الأغيد المرح
خفقت على وجهى غدائرها
فجذبتها بـذراع مجتـــرح

وفى سياحة رابعة ينقلنا الى برن على نهر الرين ، ولم يكن شاعرنا وحده فى هذه السياحة ، بل كان على عادته مع صديقة سويسرية هذه المرة ، وفى المرة التالية كان فى زيارة بيت الموسيقى الألمانى ريتشارد فاجنر فى صحبة صديقة اسكندنافية ، ثم



على محمود طه



المنفلوطى



البندقية



برن عاصمة سويسرا

● لقد أفقت من عالم على طه وجندوله وبحيراته على شاعر آخر هو ابراهيم ناجى

● لا أظننى رأيت إنسانا تنطبق عليه صفة إنسان مثل شاعرنا الأطلال

ابراهيم ناجى



فاجنر





الفيتورى

كان مسك الختام ان هذه الصديقة الأوربية التى تصاحبه دائما قالت له ـ على حسب روايتـه :

قلت لى ، والحيـاء يصبـغ خديك انار تمشى بهـا أو دمـاء ملء عينيك يافتى المشرق احلام سكارى ، وصبـوة ، واشتهـاء وعلى ثغرك المشوق ابتسـام ضرجته الاشـواق والأهـواء او حقا دنيـاك زهـر وخمـر وغـوان فواتـن وغنـاء

لقد انكشف السر اذن ، وعرفنا لم كان شاعرنا موفقا كل هذا التوفيق مع النساء ، له فى كل مدينة حـب ، وفى كل منعطف طريق عاشقة منتظرة ، فهو فتى المشرق .. انه شرقى مثلنا ، فيه سمرتنا ، وإن كان له ثغر مشوق تضرجه الاشواق والأهواء ولكننا عندئذ نرى شبابنا فيه ، فهو عندنا مثل نجم السينما الذى يحب ويعشق ويهجر ويسترضى وينتقل من قلب الى قلب ، بالنيابة عنا .

لست أدرى هل كان عالم على محمود طه هذا حقيقيا صادقا أم كان من وهم الخيال ، ولقد زرت أوربا مثله مرات عديدة ، ولكنى لم اوفق الى هذا القدر من الصحبة الجميلة المرحة ، رغم إنى «فتى المشرق» مثله ، بل ربمـا كنت أكثر شرقيـة منه ، فأنا أميل الى الدكنة ، ولا تخطىء العين حين ترانى أن تعرف اننى من هذه البلاد ، وقد حاولت أكثر من مرة أن اهـرج فمى (ولا أقول ثغرى) بابتسام تتضح فيه الاشواق والأهواء . ولكن حظى كان فى معظم الأحيان خائبا . ولكن على محمود طـه فى ذلك الزمان البعيد كان يمثل لنا حلم يقظة نتمناه ، ونظن الطريق إليه سهلا متى حملتنا البواخر الى تلك الشطوط البعيدة . وحين نضجنا وعرفنا أن الحياة ليست بهذا اليسر اليسير وهذه السهولة السهلة ، قنعنا بواقعنا وقدرنا ، وزهدنا فى هذا الحلم البهيـج .

وأخشى أن أقول اننى زهدت أيضا فى عالم على طـه وجندوله وبحيراته ونسائه ، كما تزهد فى عالم الصور السياحية الملونة حين ترى الطبيعة فى عريـها الصادق .

ولقد افقت من عالم على محمود طـه فى وقت مبكر ، فلا صبواته عندى جديرة بأن تسمى حبا ، ولا نساؤه عندى يشبهن النساء . وزاحم على محمود طه فى قلبى شاعرا آخر من جيله وصحبته هو ابراهيم ناجى .

كان ابراهيم ناجى شاعرا قليل الحظ من رضاء النقاد ، منذ استقبل طـه حسين ديوانه بمقال قاسى اللهجة ، ختمه بقوله : «إن ناجى ليس على شىء وكان كثير من شعراء زمانه يحسبونه على الطب الذى كان مهنته ، لا على الأدب الذى كان فى حياته».

ولقد عرفت ناجى كإنسان ، ولا اظننى رأيت انسانا تنطبق عليه هذه الصفة الكريمة مثل ناجى ، وأغلب الظن اننى لن أرى فيما استقبل من أيام . كنا كشعراء ناشئين نتزاحم فى ندوة فى جمعية الشبان المسيحيين ، يشرف عليها شاعر ذهب ذكره مع الريح ، وفى هذه الندوة قرأ ما يقرب من عشرين شاعرا ناشئا قصائدهم ، ولم يستوقف ناجى الذى كان حاضرا ومشاركا بوصفه شاعرا علما من هؤلاء الشعراء كلهم إلا اثنان .. محمد الفيتورى .. وأنا . وشد ناجى على ايدينا مصافحا بعد الندوة ، وطلب أن نلقاه فى عيادته بشبرا بعد التاسعة مساء فى أى يوم نراه ، أو يراه احدنا .

وذهبت ذات مساء الى ناجى بشبرا ، وأعلنت للممرض اسمى ، فأدخلنى فى غرفته حتى ينتهى من رؤية مرضاه . وكانت الغرفة غرفة كاتب لا غرفة طبيب ، فالكتب تشغل حوائطها كلها ، وجو الغرفة حميم معزول عن ضجة الطريق ، وجاء ناجى بعد حوالى نصف ساعة ، وسلم علي مرحبا ، ووجدتنى وانا ابن التاسعة عشرة أو أقل (فبراير عام ١٩٥٠) أجلس إلى ناجى يسمعنى شعره الذى لم ينشره بعد ، ثم ينتقل الى ترجمته لبعض سونيتات شكسبير أو قصائد بودلير ، فيفيض كريما بالحديث والضحك والشعر والثرثرة . وبعد حين يرق الجو ويصفو ، حتى تتصور أنك فى صحبة ملاك مجنح أو طائر رقيق .

وتمتد صحبتى لناجى حتى وفاته فى أوائل عام ١٩٥٣ ، واحفظ منها أرق الذكريات التى يبهج نفسى أن تستعيدها .

صلاح عبد الصبور

إشراف: خديجة الصدر

حياتنا في مرآة المستقبل

● الطائرات ستدخل في مجال النقل الداخلي في المدن .. وأما السفر إلى الفضاء القريب فسوف يكون ميسوراً حتى قبل حلول القرن القادم!

أصبح علم المستقبل (فيوتشرولوجى) من العلوم الراسخة فى عالمنا المعاصر بعد أن توطدت دعائمه بعد طول تنظير وتجريب بالدرجة التى حدت بكبريات المؤسسات الصناعية إنشاء أقسام خاصة مهمتها تقصى الحقائق ورسم الخطط المستقبلية على ضوئها والتكهن بما ستؤول إليه صناعة بعينها بازاء المتغيرات فى عالم التصنيع والتكنولوجيا مع ربط تلك الوقائع باتجاهات الاستهلاك ودواعى الحياة .

وفى الولايات المتحدة مثلا هنالك اكثر من خمس هيئات ومؤسسات تنحصر مهمتها فى تقديم الدراسات والتوصيات التى قد تفيد فى توجيه مسار الصناعة ليس فقط الى نهاية هذا القرن بل استشرافا للقرن الحادى والعشرين ويتوقع علماء دراسة المستقبل أن تتغير الخارطة الصناعية والاستهلاكية بحلول عام ٢٠٣٠ بالدرجة التى سيصعب معها إجراء مقارنة مع كل المنجزات التقنية للأعوام السالفة

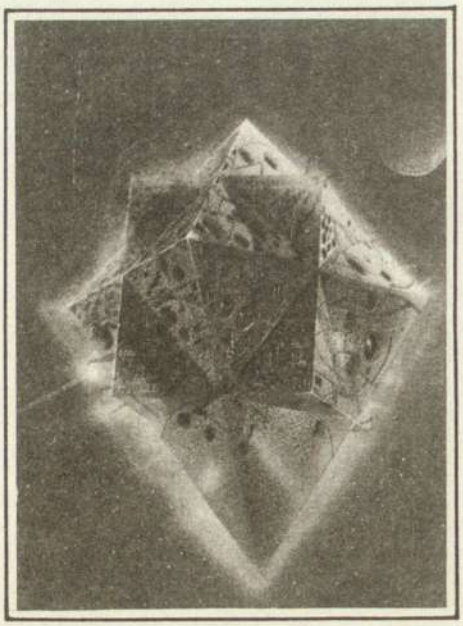
• ازدهار وانقراض

وبالرغم من أن بعض الشركات قد تحافظ على اسمها حتى الربع الأول من القرن القادم إلا أن البعض الآخر وبخاصة تلك الشركات التى تعمل فى مجالات انتاج الادوات المنزلية سيتقلص عملها إن لم يختف نهائيا بعد خمسين سنة كما وان صناعة الصلب والالمنيوم ستتعرض الى بعض الانكماش لتقوم بديلا لها صناعات ضخمة تسيطر عليها شركات متعددة الجنسية تتولى انتاج بدائل للفولاذ والالمنيوم من خامات جديدة مستحدثة أو اللدائن الصناعية المتطورة بما يلبى احتياجات السوق العالمية .

وستظل الصناعات المرتبطة بالخدمات على أهميتها بل ويتوقع العلماء الامريكيون أن يشكل قطاع الخدمات ٥٠٪ من اجمالى الدخل القومى الامريكى بنهاية الربع الأول من القرن الحادى والعشرين علما بانه لا يتعدى نسبة ٢٤٪ فى الوقت الراهن ولا يستوعب إلا عشرين فى المائة من القوى العاملة المتاحة فى حين أن خبراء معهد سبيرى يونيفاك الامريكى يتوقعون انخراط ما يتراوح بين ٨٠٪ الى ٩٠٪ من قوة العمل فى نشاطات تنحصر فى تجميع المعلومات وفرزها وتمحيصها .

نحو الاصغر

ومن هنا فان علم ابحاث المستقبل يرى فى عصرنا الراهن مرحلة انتقالية تشهد نهايتها أقوال المجتمعات الصناعية على هيئتها الحالية من حيث هيمنة الشركات العملاقة على مجالات الانتاج والتسويق على مستوى جميع دول العالم



إذ اتجاهات التطوير والتحديث سترغمها على التعامل مع وحدات تصنيع صغيرة ومتعددة ذات امكانيات محدودة الامر الذى قد يؤدى إلى ابطاء فى الكشوف التقنية وتطبيقها .

على أن بعض الصناعات الاستراتيجية ستتمكن من توسيع حجم اعمالها وعملياتها بحيث تصبح قادرة على احتكار اسواق باكملها مما سيؤدى فى النهاية الى تدخل الحكومات لتنظيم الانتاج وحماية المستهلك ووضع ضوابط لاستغلال المواد الخام وتوزيعها بحيث لا تضار الصناعات البسيطة .

وسائل الاتصال

اما أكثر الصناعات قابلية للتطور والتنامى فهى المتعلقة بوسائل الاتصال ومن المنتظر أن يشهد العقد الأول من القرن القادم شيوع استعمال الهاتف المرئى الملون وثورة كبرى فى خدمات الا تصال تتيح كافة المعلومات لرجال الاعمال والمستهلكين كما وان الانسان الآلى سيتولى تسيير معظم الصناعات التى يكتب لها البقاء بل وان تشخيص ومعالجة المسائل الصناعية والانتاجية والصحية سيتم بواسطة الالكترونات عن طريق اجهزة التحكم من على بعد وستختفى ايضا الأذاعات ومحطات الارسال المعروفة اليوم لتحل محلها وسائل للبث أكثر رقيا تتيح للمستمع أو المشاهد العادى تجميع ما يريده من برامج بواسطة شبكات سلكية أو رقمية

وحتى فى عالمنا المعاصر فان الحد الفاصل بين ادوات الاتصال ومعالجة المعلومات قد كاد أن يذوب بفضل تطور العقول والذاكرات الاليكترونية صغيرة الحجم والتى اصبحت فى متناول الجميع لعدم ارتفاع اثمانها وستتمكن الصناعات المرتبطة بالمواصلات من ابتلاع نظيراتها فى مجالات الخدمات وفرز ومعالجة المعلومات .


Mait

التطور الزراعى

وسيكون للزراعة نصيب وافر من التطوير والتحديث فى عالم الغد بوصفها صناعة استراتيجية لا غنى عنها بل وان الطلب عليها يتكاثر بالتقادم مع ارتفاع معدلات النمو السكانى ففى عالم اليوم نجد أن دولة تملك امكانات هائلة مثل الولايات المتحدة لا تقدر إلا على استثمار من مجموع مساحة الاراضى المتوفرة لديها ، لذا يتوقع علماء المستقبل أن تتضاعف المساحة المزروعة فى كل دول العالم لتلبية حاجيات الناس الغذائية وستتطور تبعا لذلك الوسائل والآليات المستعملة فى الزراعة خاصة وان الكثير من الشركات العاملة فى مجال العقاقير الطبية والمواد الغذائية والمواد الكيمائية وشركات الزيت ستوجه اهتماما متزايداً نحو الزراعة بغية الربح فى هذا المجال الحيوى وقد يصبح التحكم فى بعض عناصر المناخ ميسوراً بما يتيح انتاج الاطعمة الطازجة بالقرب من التجمعات السكانية الكبرى كما وان الثروات البحرية ستحظى باهتمام أكبر إذ أن هنالك بعض المؤسسات الكبرى التى شرعت فى اعداد (مزارع) سمكية بحيث يتسنى تربية الكائنات البحرية و(حصادها) حسب الحاجة كما وان هنالك ابحاثا ترمى الى استنباط الاغذية من بعض الاعشاب النهرية والبحرية .

وتجرى حاليا بعض التجارب على بعض الحبوب الزيتية بغية رفع معدلات مخزوناتها من الزيت كما وان انواعا اخرى من الحبوب قد اخضعت للمعالجة بغرض استخراج الكحول منها وهنالك اتجاه للاستفادة من المخلفات الزراعية لتصنيع بعض المنتجات التى تعتمد حاليا على مشتقات البترول ولا شك فى أن التقدم المذهل فى مجال هندسة الجينات سيقود حتما الى تحسين الانتاج الزراعى والحيوانى الذى سيخضع بكامله للميكنة بحيث تدار كافة المناشط الزراعية آليا بدءاً بفحص التربة وانتهاء بالحصاد والدرس ، اما التثوير الحقيقى فى هذا المجال فسيكون باستخدام الكبسولة الزراعية التى تحوى البذور المراد زرعها بالاضافة الى المبيدات العشبية والحشرية والعوامل المانعة للتعفن وبالتالي فان وفرة الانتاج وارتفاع الطلب على المحاصيل الزراعية سيعجلان باذابة الصناعات الغذائية المستقلة وتفتيتها على الوحدات الزراعية بحيث يتم التعليب والتغليف فى موقع الحصاد على المزرعة

صناعة الطاقة

وينتظر ايضاً أن تشهد صناعة الطاقة طفرات



واسعة وذلك لأن الدول المنتجة للنفط ستوظف رساميلها الضخمة للهيمنة على كافة مجالات استخراج الطاقة بعض نضوب مصادرها النفطية وستوجه اهتمامها للتنقيب عن اليورانيوم والفحم وتوليد الطاقة الذرية واخيراً الاستفادة من الطاقة الشمسية وستحول صناعة الطيران والصناعات الفضائية عملياتها الى مجالات انتاج الطاقة إذ انها أقدر من غيرها على اطلاق الاقمار الصناعية لتجميع الطاقة من الشمس وتحويلها الى كهرباء تستخدم فى اغراض التدفئة والتبريد بل وتيسير المركبات وقد تؤدى هذه الخطوة الى دمج الشركات العاملة فى مجال تكنولوجيا الفضاء والمرافق المنتجة للطاقة الكهربائيـــة .

الصناعات الخفيفة

وبالرغم من أن الحديد والصلب سيحافظ على اهميته كمادة انشائية اساسية إلا ان اقتصاديات دول العالم المختلفة ستعتمد على المواد المصنعة المستخلصة من عناصر البناء المتاحة فى الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والنتروجين ولن يكون هذا المجال حكراً للشركات العاملة فى الكيمائيات لأن شركات الزيت ستحول اهتمامها لهذه الميادين الانتاجية بوصفها امتداداً لصناعة اللدائن وستجد بدورها منافسة من قبل مصانع الورق والزجاج والمعادن التى لابد لها وأن تستمد حماية لأسواقها ولتامين مصادر المواد الخام ذلك لأن علماء ابحاث المستقبل يتنباون بتطور تصنيع مشتقات البلاستيك لتشمل العديد من حاجيات عالم الغد الاستهلاكية .

الطب المتطور

وبما أن الطب الحديث يستهدف إطالة الاعمار نسبياً مع تخفيض معدل الوفيات فان التطور فى مجالات الطب الوقائى والعلاجى يستوجب تطوراً مماثلا على صعيد الخدمات الطبية بحيث يصبح التشخيص والمعالجة سوقا تتنافس عليه الشركات فيتعين عليها مواكبة الطلب بادارة مرافق العناية الطبية والحاقها بمصانع لانتاج العقاقير والمعدات الطبية وبالتالى فان المنافسة ستكون محصورة بين الشركات ذات الرساميل العالية فقط مما سيؤدى الى اختفاء مصانع الادوية الصغيرة ودمج بعض المصانع الكبرى لتحقيق مثل ذلك التكامل .

النقـــل

فى مجالات النقل فان ادوات المواصلات الارضية ستسير فى معظمها بقوة الدفع المغناطيسى وستظل السيارات الخاصة على اهميتها إلا أن الغلبة ستكون للمركبات المسيرة ذاتيا وستدخل الطائرات فى مجال النقل الداخلى فى المدن ومن المحتمل أن يشهد النقل الجوى طفرة كبرى بعد تشغيل المركبات الفضائية المدارية لسفريات عبر البحار وعموماً فان السفر فى الفضاء القريب سيكون أمراً ميسوراً حتى قبل حلول القرن القادم وذلك بفضل التطور السريع فى مجال تكنولوجيا الفضاء ويجرى حاليا تطويع الأجهزة الفضائية لتفى باغراض الاتصالات ورصد التغيرات المناخية وتجميع وتوزير الطاقة الشمسية والتحكم فى تحركات الجيوش .

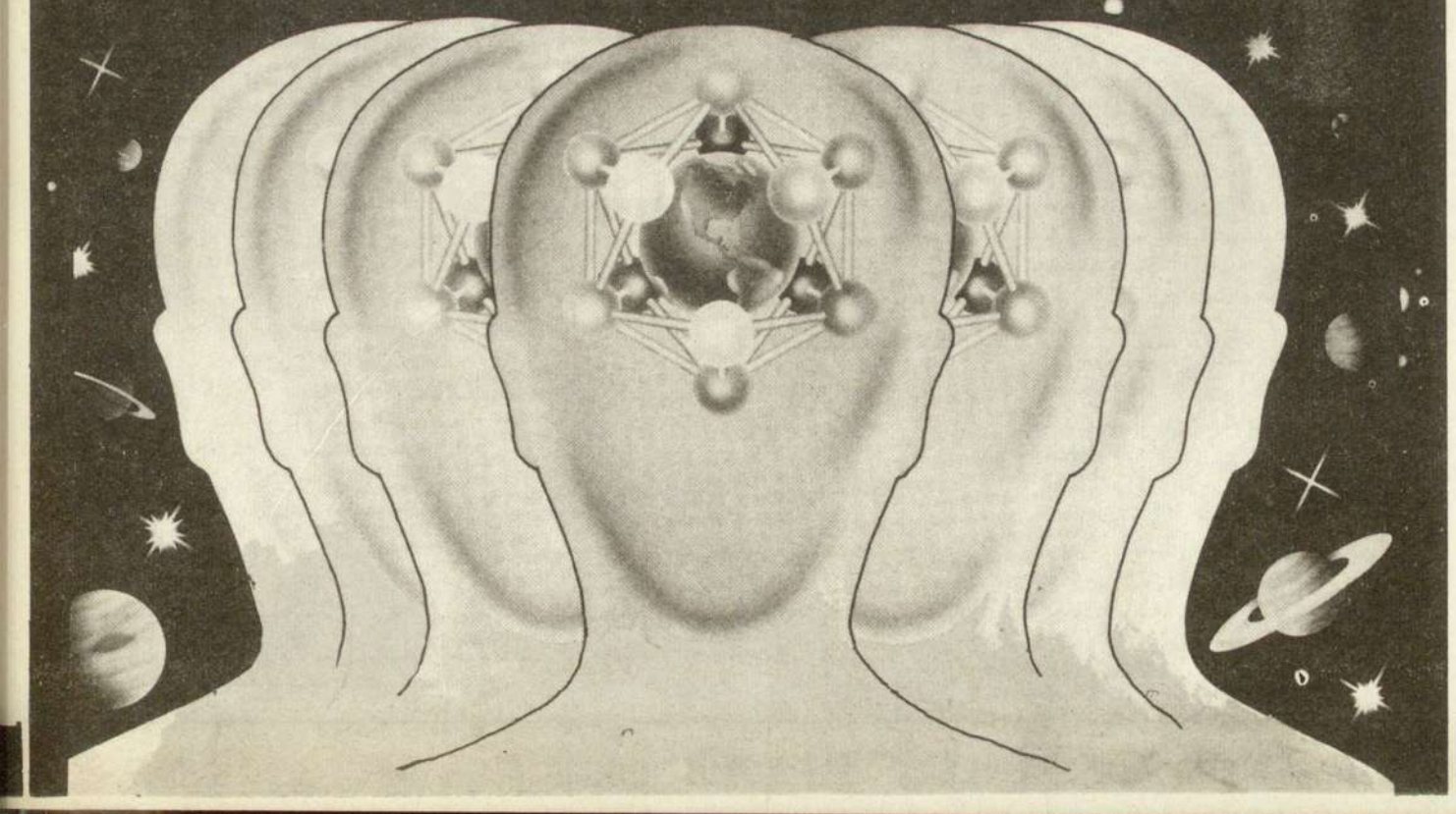
ازدهار العالم الثالث

وسيشهد سوق السلع الاستهلاكية تحولا كبيرا إذ ينتظر أن ينتقل مركز الثقل الصناعى الى الدولهالنامية وفى الوقت الراهن فان دولا مثل البرازيل وكوريا الجنوبية وهونج كونج بدأت تنافس كبريات الدول الصناعية التقليدية بجودة منتجاتها واعتدال اسعارها نظراً لأن تلك الدول لم تستنزف ثرواتها الطبيعية بل هى على اعتاب عصر التصنيع مستفيدة من الارث الفنى الهائل الذى اصبح متاحاً للجميع وهكذا فان صناعة الاقمشة وبناء السفن والمنتجات المعدنية ستنتقل الى الدول المالكة للمواد الخام مع وفرة العمالة الرخيصة .

وعلى كل فان القرن الحادى والعشرين ليس بالبعيد إذا قسنا الحقب بعمر الشهور ومن يدرى فقد يتسبب اختراع عفوى فى قلب كافة الموازين المتعارف عليها فى المجالات الفنية والصناعية وبالمقابل قد ينتهى كل ما حققه الجنس البشرى عبر القرون الى رماد بفعل الحرب النووية فيروح الانسان ضحية ذكائه .



الأفلاك..
هل تتحكم فى حياتك؟





الأمر الذى لا شك فيه أن الميل الغريزى لمعرفة ما يخبئه القدر متاصل فى طبيعة الانسان منذ اقدم العصور بغض النظر عن اختلاف موقعه الجغرافى وعرقه ومدى تقدمه الحضارى ومعتقده . فالانجذاب نحو المجهول والادراك الذى يفصل بين الانسان والحيوان بالحياة فى اطار زمن معين بماض يعيش فى الذاكرة وحاضر معاش ومستقبل يريد أن يتحقق الانسان فيه من مواقع قدميه ويخطط له هى مشاعر انسانية .

ومنذ ان وقف احد اجدادنا الأوائل أمام فوهة كوخه الحجرى يفكر فيما يمكن أن يحدث له وما يجب أن يفعل بعد ذلك بدأت الرغبة فى استكناه المستقبل . ومنذ ان ظهر أول انسان يحاول ان يجيب عن هذا السؤال مستخدماً حدسه ونظره مشدود الى السماء وكواكبها وافلاكها بدأت صناعة التنجيم وتخمين المستقبل .

والتاريخ القديم الممعن فى القدم يحدثنا عن الفراعنة والسلاطين والملوك والحكام من اقصى الأرض الى اقصاها فى الصين وبابل ومصر واليونان . يقربون المنجمين . ولا يقدمون على أمر ولا يبرمون شيئا إلا باستشارتهم ولا يشرعون فى حرب أو سلم أو زواج أو امر من أمور الدولة إلا بعد المعرفة لأشارات الكواكب وحركات الافلاك . وحتى الفلاسفة فى قمة التطور الفلسفى فى اليونان انجذبت ابصارهم الى الكواكب وحركة الافلاك يمنحونها قوة فاعلة ومؤثرة على العقل الانسانى ومصيره . ولا شك أن ظاهرة استطلاع النجوم بمعرفة المستقبل تزداد وتقوى حين يضعف الايمان الدينى فى القلوب ويجد الانسان نفسه محاطا بقوى لا قبل له بها ولا يدرك كنهها . ولهذا ليس غريبا ان يتسم العصر الحديث برغم التطور العلمى والتقدم التكنولوجى المذهل بميل جماهيرى لا مثيل له الى التنجيم ومتابعة الابراج ومعرفة الخطوط والطوالع الأمر الذى جعل منه صناعة ومهنة تدر الملايين على اصحابها ، يستخدم بعضهم ذكاءه وبعضهم مكره ، وبعضهم شيئا من علم ، وبعضهم غريزة وحدسا غير طبيعى .. فلا تكاد تخلو صحيفة يومية او مجلة اسبوعية أو شهرية أو دورية من صفحات الطالع بعضها يحرره محرر داخلى فى الصحيفة لا صلة له بالأفلاك أو الكواكب او التنجيم ، وبعضها ينقل من كتب سنوية ، وبعضها يكتبه من يدعى أنه فلكى شهير الى آخر قائمة المنتفعين بهذا الميل الجماهيرى . وهنالك كثير من القراء فى بقاع الأرض المختلفة يقرأون اولما يقرأون فى الصحيفة طالعهم قبل ان يبدأوا يومهم . ومن هنا استغلت بعض الصحف الخيرة ذلك لملء الطالع بالحديث المتفائل الذى يحث على العمل والخير .. وبعضها يلقى الكلام بلا مسئولية فينصح بعدم السفر وعدم الاقدام على ابرام عقد تجارى ، وعدم الثقة فى صديق قادم فيؤدى الى إرباك القارىء وافساد يومه .

ولا يقتصر الأمر على الصحف السيارة بل يتعداه الى دور النشر وشركات التليفزيون والاذاعات المختلفة التى تخصص برامج متعددة فى اليوم الواحد تستخدم فيها عددا من القائمين على هذه الصناعة المربحة يقدمون للمستمعين برامج مسلية على الهواء ويجيبون عن اسئلتهم على الهواء مباشرة ويكشفون طوالع ضيوف برامجهم .. وكذلك تخرج دور النشر مئات الكتب والكتيبات فى الشهر يتكالب عليها الناس وتباع بالملايين وفى كل اللغات .

واسكشاف الطالع عن طريق الابراج (استرولوجيا) علم قديم ممعن فى القدم ويستند اساساً على أن الشمس هى مصدر التأثير الاكبر فى الكون وهى التى تتحكم فى تصرف الافلاك والانسان وتحدد طبيعة تجاوبه ومزاجه فى أى ظرف أو موقف معين .. ويتحدد مصير أى مخلوق من خلال التكوين الذى يحدث فى موقع الافلاك ومسيرها من الشمس لحظة الولادة وعن طريق معرفة هذا الموقع بالضبط يمكن أن يتوصل الانسان الى معرفة الخطوط الرئيسية التى تتحكم فى مزاجه ومصيره . وتقول هذه الفكرة أن أى إنسان يمكنه عن طريق معادلات حسابية دقيقة معرفة هذا الموقع لحظة مولده إذا ما كان واثقاً من اللحظة التى ولد فيها . وهناك مئات الكتب التى تشرح كيف يمكن لأى إنسان أن يحدد مصيره ويكشف طالعه بنفسه

الاديان ترفض

ومن البديهى أن ترفض الاديان السماوية هذا المفهوم من اساسه لانها تقوم على أن مصائر الكون ومخلوقاته ومعرفة الغيب والمستقبل هى بيد الخالق جلت قدرته هو وحده عالم الغيب والشهادة وبرغم أن أغلب الصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات التى تصدر فى البلدان العربية والاسلامية تساير هذا التقليد الطاغى وتحمل صفحاتها هذه التنبؤات الفلكية إلا أن النصوص الاسلامية صريحة فى رفضها لادعاءات المنجمين الكاذبين وإن صدقوا ، ورفضها لعادات التطير والتشاؤم والتى تسود عادة فى اطار الاوضاع الجاهلية القديمة والحديثة .

وبالرغم من طغيان هذه الظاهرة الجماهيرية فى عصر العلم والتكنولوجيا فان التنجيم من الناحية العلمية لا يقف على ارضية صلبة وما من وسيلة يمكن أن يثبت بها العلم أن تكون لهذه الكواكب البعيدة فى هذا الكون الفسيح الذى لا يحيط به العلم الانسانى تاثير على مصير هذا المخلوق الضئيل حين تتفتح عينه على الكون لأول مرة من كوكبه الأرضى الصغير . بل إن الأسس التى يقوم عليه التنجيم تعتبر مرفوضة علمياً . فالتنبؤ الفلكى يقوم على فكرة عفى عليها الزمن وثبت بطلانها والذى يجعل الارض محور الكون ويثبت للأفلاك مواقع ثبت عدم دقتها وصحتها وحتى المنجمين انفسهم لا يدعون لنظرياتهم اساساً علمياً بل يؤكدون أن تقسيماتهم رمزية فقط ، ولا دخل لها بمواقع الكواكب الفعلية .

ولما كان رسم بيان فلكى شخصى وفردى أمراً شديد التعقيد فقد قسم الفلكيون والمنجمون الابراج التى تتحكم فى مصير الانسان الى اثنى عشر برجاً لكل برج مزاج خاص وخصائص معينة يشترك فيها الى حد كبير كل المولودين فيه ، كما يتعرضون لمصائر



متشابهة وبالرغم من اننا نعرف علميا أن الأرض هى التى تدور حول الشمس دورة كاملة كل ٣٦٥ يوما فان الناظر إليها تبدو له كما لو كانت الشمس هى التى تدور حول الأرض وهى فى دورتها هذه تدخل فى ابراج بحسب موقع الافلاك الأخرى منها والذين يولدون اثناء وجود الشمس فى برج معين يصطبغون بخصائص ذلك البرج وتتحكم فى مصيرهم مؤثراته وخصائصه .... وبمعرفة لحظة الولادة يمكن التفرقة فى المصائر بين مواليد البرج الواحد .

ولتبسيط الأمر قسمت كل الخصائص فى ثلاث مجموعات أولاها الخصائص الرئيسية او الاساسية وتسمى ايضاً المسيطرة أو النشطة وتختص بها الابراج التى تاتى فى بداية كل فصل من الفصول الأربعة . والثانية الخصائص الثابتة او الخاضعة المتلقية ، والثالثة الخصائص المتقلبة ويقصد بها الخصائص التى ليست فى ذاتها نشطة أو متلقية إنما هى مجرد خصائص مساعدة تتقلب بين الصفتين . ولكل برج الى جانب انتمائه الى إحدى هذه المجموعات الثلاث مزاجه النابع من واحد من العناصر الاربعة المكونة للكون حسب الفكرة القديمة وهى النار والارض والهواء والماء .

الابراج وخصائصها

ويمكن بصورة عامة تلخيص خصائص الابراج وتقسيماتها وفق تخريجات المنجمين والعاملين فى حقل التنبؤات الفلكية كما يلى :

● برج الحمل (المواليد ٢١ مارس – ٢٠ ابريل) ويقصد به الكبش الوحشى لا الحمل الوديع وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية المسيطرة بحكم انه يجىء فى بداية الربيع والذى يعتبر بداية العام الحقيقية . وعنصره النار – وبالتالى فانه يتميز بالخصال النشطة والطاقة الملتهبة والقوة العدوانية الوحشية ، والمغامرة والضجر والاندفاع والطيش والعنف والمبادرة والابداع ، وهو البرج الذى يولد فى كنفه الفنانون والمكتشفون والرواد فى ميادين الحياة المختلفة والمحاربون والقادة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير بسمارك رجل الدولة الشهير موحد ألمانيا ، والممثل مارلون براندو وشارلى شابلن والكاتب هنرى جيمس والرئيس الأمريكى توماس جيفرسون والرئيس السوفيتى نيكيتا خروتشوف والكاتب الروائى البوليسى الفرنسى الشهير سيمون سينوريه والموسيقار توسكانينى والممثل والكاتب والمخرج النابغة بيتر يوستينوف والرسام فنسنت فان جوخ والكاتب المسرحى تنسى وليامز .

● برج الثور (المواليد ٢١ ابريل – ٢١ مايو) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتلقية وعنصره الأرض وهو بالتالى أميل الى التمهل والحذر والواقعية وتقدير الأمور . وهو يختلف فى ذلك تماماً عن برج الحمل . ويتميز ايضا بالقوة وحب المتعة وامكان الاعتماد عليه والتعامل معه .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الفرنسى بلزاك والموسيقار الألمانى براهمز وحاكمة روسيا كاثرين العظمى والراقص فريد ستير والممثل جارى كوبر والقائد ورئيس الحكومة البريطانية أوليفر كرومويل والمغنى بنج كروسبى والرسام سلفادور دالى وملكة بريطانيا اليزابيث الثانية والممثل هنرى فوندا وراقصة الباليه الشهيرة مارجوت فونتين والمفكر العالم سيجموند فرويد والممثلة اودرى هيبورن والناشر وليام هيرست وهتلر ومؤلف لوليتا فلادمير نابوكوف والفيلسوف برتراند راسل والروائى والشاعر وليام شكسبير والرئيس الامريكى هارى ترومان والممثل اورسون ويلز .

● برج الجوزاء – التوأمان – (المواليد ٢٢ مايو – ٢١ يونيو) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الهواء . وهو بالتالى ذو مزاج هوائى متقلب حتى ليوشك ان يكون متناقضاً . ومن خصائصه قوة الفكر وسرعة البديهة والقدرة على التعبير والاهتمام بالاسلوب والالفاظ أكثر من المشاعر وإن كان خفيف الظل . وبعكس برج الثور لا يعتمد عليه كثيرا وهو معرض لاحتمالات انفصام الشخصية ويعرف بكثرة الادعاء والتفاخر .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الروائى آرثر كونان دويل والمغنى بوب ديلان ودوق ادنبره ومؤلف روايات جيمس بوند إيان فليمنج والممثل ايرول فلين والروائى الشاعر توماس هاردى والممثل الفكاهى بوب هوب والرئيس الامريكى جون كندى والممثلة مارلين مونرو والروائية الفرنسية فرانسوا ساجان .

● برج السرطان (المواليد ٢٢ يونيو – ٢٢ يوليو) وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية (الثانى بعد الحمل) بحكم انه ياتى فى بداية الصيف وعنصره الماء وهو قوى الحدس مهتم بالجانب العاطفى من الأمور حساس محب ولكنه متقلب المزاج لا يشعر بالاطمئنان وهو شديد التشبث والاصرار وخصائصه أنثوية الطابع ترتبط بالأمومة وفق الفكرة التقليدية التى تجعل الحساسية وقوة الحدث صفات انثوية .

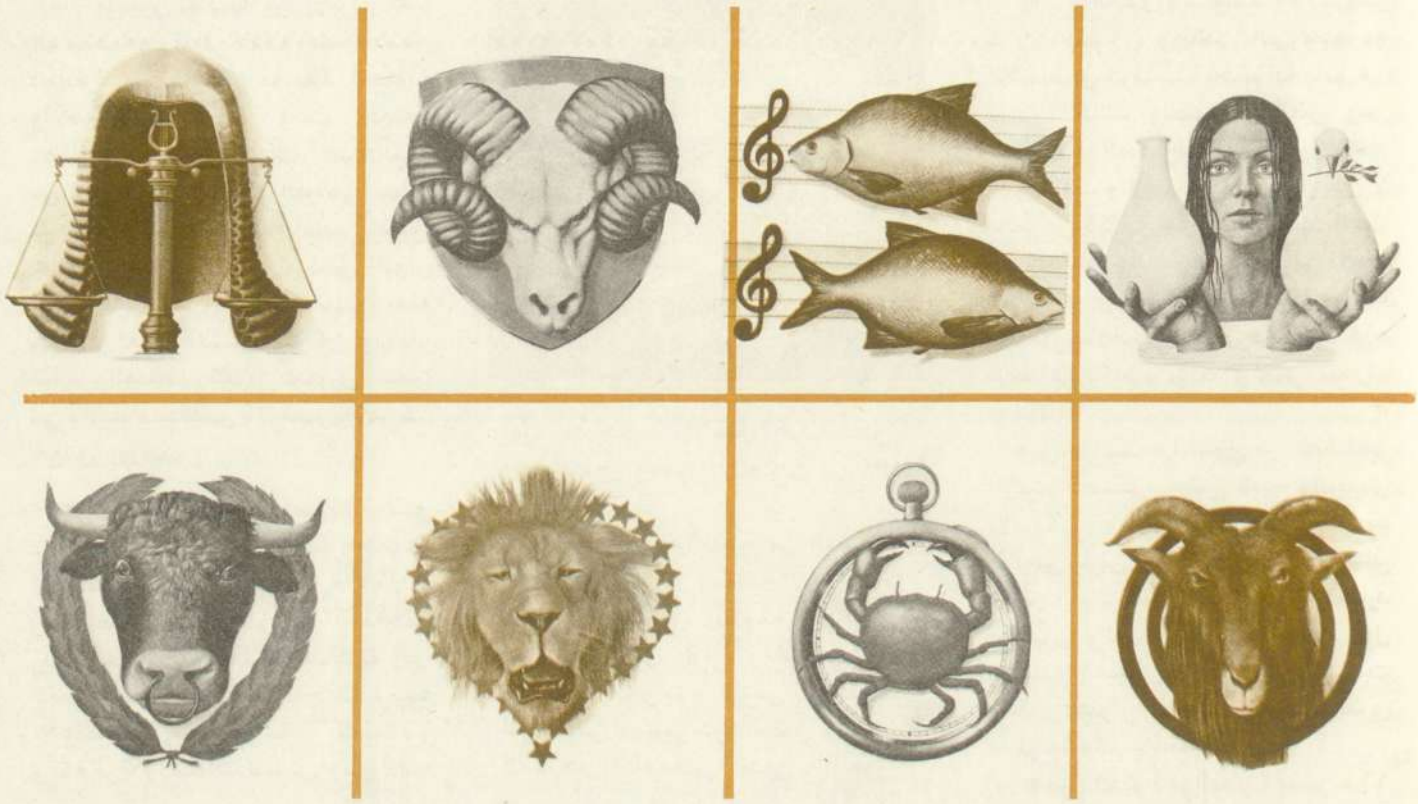
ومن مواليد هذا البرج من المشاهير عازف الجاز لوى ارمسترونج والمخرج



تكوين الابراج

كل برج ينتمى إلى خصائص مسيطرة أو متلقية أو متقلبة .. ولكل برج مزاجه النابع من العناصر المكونة للكون !





السويدى انجمار برجمان ويوليوس قيصر والممثل جيمس كاقنى والكاتب الفرنسى جان كوكتو والروائى الأمريكى ايرنست هيمنجواى والنابغة الضريرة هيلين كيلر والممثل شارلز لوتون والممثلة الايطالية جينا لولو بريجيدا والكاتب الفرنسى مارسين بروست والفنان رامبرانت والثريان جون ونلسون روكفلر .

● برج الأسد (المواليد ٢٣ يوليو ـ ٢٣ أغسطس) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتلقية وعنصره النار ، ومن خصاله حب السيطرة والسعى للنفوذ وهى خصال رجولية وبرغم انتمائه لعنصر النار ، كبرج الحمل إلا أنه ليس انفعاليا مندفعاً وهو البرج الذى يولد فى كنفه الملوك والرؤساء والحكام وغيرهم من اصحاب الطموح والنفوذ .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير القائد الفرنسى نابليون بونابرت والشاعر الاسكتلندى روبرت بيرنز والرئيس الكوبى فيدل كاسترو والمخرج سيسل دى ميل والروائى البريطانى جون جولزويرذى والمخرج الفريد هتشكوك والكاتب المفكر الدوس هكسلى وجاكلين كندى، موسولينى والروائى جورج برنارد شو والشاعر الرومانسى شللى .

● برج العذراء (المواليد ٢٣ اغسطس ـ ٢٣ سبتمبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الارض . وهو ارضى . بمعنى انه واقعى . قدمه على الارض لا يسبح فى الوهم والخيال ومن خصاله انه منظم ، منضبط انيق ، متماسك وذكى وهو البرج الذى يولد فى كنفه العلماء والباحثون والفنيون لا المكتشفون الرواد .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الملكة اليزابيث الأولى والثرى هنرى فورد الثانى والفيلسوف الالمانى جوته والمفكر جون جنتـــر والرئيـــس الامريكى الراحل ليندون جونسون والممثلات انجريد برجمان وجريتا جاربو وصوفيا لورين والمنتج ايليا كازان والكاتب د. هـ . لورانس والممثل الفكاهى بيتر سيلرز .

● برج الميزان (المواليد ٢٤ سبتمبر ـ ٢٣ اكتوبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص الاساسية بحكم انه ياتى فى بداية الخريف وعنصره الهواء . ومن أهم خصائصه التوازن والصبر والروح الاجتماعية وحب الثقافة والنزعة الانسانية والقدرة على التعامل مع الآخرين وحب السلام وهو يمثل النقيض تماماً لبرج الحمل . ويولد فى كنفه الدبلوماسيون الذين تقوم اعمالهم على حسن الاتصال والتعامل مع الآخرين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الأمريكى ايزنهاور والشاعر ت.س. ايليوت والمهاتما غاندى والروائيان وليام فولكنر وجراهام جرين والمعلق السياسى وولتر لبمان والفيلسوف الألمانى نتشه وأوسكار وايلد والممثلة بريجيت باردو .

● برج العقرب (المواليد ٢٣ اكتوبر ـ ٢٢ نوفمبر) وينتمى الى مجموعة

الخصائص الثابتة والمتلقية وعنصره الماء ويعتبر تقليديا من الابراج غير المستحبة ومرتبط بالظلام وبالخصائص الخطرة ولكنه يمتاز بالطاقة الحيوية والاصرار والانتظام وحب المتعة وصلابة الفكر ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الرئيس الفرنسى شارل ديجول ورئيسة وزراء الهند انديرا غاندى وجواهر لال نهرو ورئيس تايوان شيانج كاى شيك والعالمة الشهيرة مدام كورى والممثل رتشارد بيرتون والأمير شارلز والممثلتان كاترين هيبورن وفيفان لي والرسام بيكاسو والرئيس الامريكى ثيودور روزفلت .

● برج القوس (المواليد ٢٣ نوفمبر ـ ٢٢ ديسمبر) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره النار . ولهذا فهو يتعرض الى صراع داخلى وتناقضات ويمتاز بالطاقة المكثفة ومن خصاله ميله الى الحياة الخارجية الاجتماعية والممارسة الرياضية والمغامرة والنشاط البدنى وفى كنفه



يولد رجال الاعمال الناجحون والرياضيون ومحبو الانجازات فى كافة الميادين .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الموسيقار بيتهوفن ومغنية الاوبرا ماريا كالاس وونستون تشرشل والكاتب المسرحى نويل كاوارد ومنتج الرسوم المتحركة وولت ديزنى والشاعر البريطانى الضرير جون ملتون والكاتب المسرحى المعاصر جون اسبورن والروائى الأمريكى مارك توين .

● برج الجدى (المواليد ٢٢ ديسمبر ـ ٢٠ يناير) وينتمى الى مجموعة الخصائص الرئيسية بحكم انه يأتى فى بداية الشتاء وعنصره الأرض ومن خصائصه الميل الى العزلة والانكفاء على الذات والاكتفاء الذاتى وإن كان لا يخلو من ذكاء وطموح وهو شديد الميل الى التشاؤم والنظرة القاتمة الى الأمور والانغلاق والاحساس بالعزلة وربما الشعور بالاضطهاد يقلل من حدة هذه المشاعر ذكاء وادراكا وحسن تصرف ومحافظة .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الزعيم الصينى ماوتسى تونج والرئيس الأمريكى وودرو ويلسون والزعيم الزنجى مارتن لوثر كنج والعالم اسحاق نيوتن والرئيس الامريكى رتشارد نيكسون والمغنى الزنجى ناتكن كول والممثلان همفرى بوجارد وكارى جرانت والثرى هيوارد هيوز والروائى هنرى ميللر والعالم باستير .

● برج الدلو (مواليد ٢١ يناير ـ ١٦ فبراير) وينتمى الى مجموعة الخصائص الثابتة المتقلبة وعنصره الهواء . ويتميز خصاله بالانجاز الفكرى والابداع والاصالة ورفض التقليد والخروج على المتعارف ويتسم بالنزعة الانسانية والسعى الى تحقيق السلام والخير بين الناس ويولد فى كنفه الفنانون والعلماء المبدعون وحاملو راية التغيير .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب الفيلسوف فرنسيس بيكون وشارلز داروين وتوماس اديسون وجاليلو والروائيان البريطانيان شارلز ديكنز وسومرست موم والممثلات مايا فارو وكيم نوفاك و فينسيا رد جريف والممثلون كلارك جيبل وجاك ليمون وبول نيومان والرئيسان الأمريكيان فرانكلين روزفلت وابراهام لنكولن والمرشح للرئاسة الحالى رونالد ريجان والمرشح السابق ادلاى ستيفنسون .

● برج الحوت (المواليد ٢٠ فبراير ـ ٢٠ مارس) وينتمى الى مجموعة الخصائص المتقلبة وعنصره الماء . وينزع نحو الغموض وعدم الوضوح ومن

كذب المنجمون ولو صدقوا



ميشيل دى نوسترادامو س

عندما احتل الألمان فرنسا فى عام ١٩٤٠ امروا بمصادرة كتاب عنوانه « المذبحة الكبرى ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ » يتنبأ بالحرب العالمية الثانية والتحالف بين هتلر وموسلينى والتوسع الروسى فى المجر وتشيكوسلوفاكيا .

مؤلف الكتاب اميل روير تتبع اسلوب اشهر المنجمين فى الغرب ميشيل دى نوسترادامو س المولود فى عام ١٥٠٣ فى وضع تنبؤاته باسلوب سهل مبسط يفهمه جميع الناس بينما عمد نوسترادامو س لتغليف تنبؤاته باسلوب وتعبيرات شديدة الغموض وتحتمل عددا من التأويل . يقول فى احداها :

سيتغلب الأسد الأصغر على الاكبر
فى ميدان المعركة فى منازلة وحيدة
فى اطار مذهب ستقتلع عيناه
يظل فى ألم مبرح ويموت ميتة فظيعة .

وتقول الاسطورة ـ والله اعلم ـ انه قد حدث بعد ذلك بقليل وفى احتفال زفافه ان اخترق رمح احد المدعوين الكبار دون قصد المنظار المذهب الذى يلبسه ملك فرنسا هنرى الثانى ففقأ عينه وعاش فى ألم مبرح ثم مات بعد ذلك متاثرا بجراحه .

ولعل اكثر لعناته شهرة قولته الشهيرة :

« وفى الشهر السابع من العام ١٩٩٩ سينقض ملك الرعب على العالم .

وبما انه قد اخطا فى التنبؤ بتاريخ وفاته هو نفسه فليس هنالك ما يدعو للقلق .»

خصاله الحساسية المرهفة والمثالية والخيال والقدرة الايحائية وقلة الطموح وصلابة الفكر والممارسة والحياء والميل الى العزلة والسباحة فى عالم الاحلام والخيال مع قدر كبير من الحب والتفانى وقدرة ابداعية فنية تحتاج فقط إلى طاقة لتحريكها .

ومن مواليد هذا البرج من المشاهير الكاتب المسرحى المعاصر ادوارد آكبى والمغنى هارى بلفونتى والموسيقيون شوبان وهاندل وكورساكوف والعالم البرت اينشتاين والممثل ركس هاريسون والرسامان مايكل انجلو ورنوار والكاتبان فيكتور هوجو وجون اشتاينبك وادوارد كندى والممثلة اليزابث تلور .

المنجمون .. نجوما !

وبسبب تفشى ظاهرة الاهتمام بالطالع الذى افسحت له أجهزة الاتصال الحديثة المتقدمة مجالا واسعاً لم يتح لها من قبل مما جعل عدداً من الفلكيين فى الغرب ينهضون على ظهر هذه الموجة ويصبحون فى عداد النجوم الشهيرة . فقد نشرت مجلة « ناو » (الحاضر) الصادرة فى أول مارس ١٩٨٠ استطلاعا تناولت فيه حياة ستة من كبار الفلكيين المنجمين الذين تستعين بهم وسائل الاعلام فى أمريكا وبريطانيا للوصول الى جمهور واسع ، تناولت فيه اسلوب عملهم والوسائل التى يستعينون بها للتنبؤ وأسلوب حياتهم الخاصة وإمكان الاستفادة من التنبؤات الفلكية لتفادى المآسى والأخطاء .

وقد ادعت المنجمة جوان باين التى تحرر صفحة الابراج فى صحيفة الديلى ميرور ومجلة كومبانى النسائية وتذيع تنبؤاتها من ١٣ محطة اذاعة محلية فى مقابلتها لمجلة الحاضر أنها تنبأت بوفاة زوجها ولكنها أكدت بأن معرفة التنجيم وكشف الطالع لا يمكن أن يؤدى الى تفادى المآسى والكوارث إذ أن إرادة الله لابد وان تتحقق . وكل الذى يفعله التنجيم هو أن يطلعك على ما سيحدث . ولأن وفاة زوجها كانت قدراً محتوماً فقد نسيت أن تكشف الطالع كما كانت تفعل كلما اقدم زوجها على سفر .

وقالت المنجمة الشهيرة أيضاً بيتيو لنجرو وهى غجرية من اصل رومانى بدأت حياتها بقراءة الكف فى مصيف برايتون بأن كبريات الشركات والمؤسسات العالمية تستعين بها لمعرفة شخصيات المرشحين للوظائف ومن بين الشركات والمؤسسات التى ذكرتها شركة هوايتبريد للخبز وشركة دولز العملاقة لصناعة الاطعمة والشركة العالمية للصناعات الكيماوية . ولدى اتصال المجلة بالمسؤولين فى هذه الشركات والمؤسسات انكروا أن يكون هنالك أى اتصال بين الشركة والمنجمين كما أكدوا أن التعيين والترقى يتم وفق اسس علمية موضوعية وليس عن طريق استشارة الافلاك . وبالاضافة الى هذه المؤسسات ادعت أيضا أن من بين عملائها كبار الشخصيات كالخنافس وبيتر سلرز الممثل الكوميدى وفلورا روبنسون ودوقة أرجيل . وعندما سئلت الأخيرة عن صحة ذلك قالت : انها لم ترها ايضا طول حياتها واظهرت ضجرها من هؤلاء الفلكيات وقارئات البخت اللاتى يدعين كذب اتصالهن بالشخصيات الشهيرة لترويج بضاعتهن وقد كشفت ايضا عن ظاهرة أخرى تتصل بكشف طالع النجوم وهو الخوف الذى ينتاب كثيراً من الناس ويمنعهم من محاولة معرفة ما يخبئه لهم القدر إذ قالت إنها هى نفسها لا تحاول معرفة مستقبلها لأن ذلك يفزعها . فهى سعيدة كما تقول ولا تريد أن تعرف ان هذه السعادة لن تدوم .

ومن المنجمات اللاتى اتصلت بهن مجلة « الحاضر » كيم ترايسى وهى امرأة واهمة غريبة الأطوار شديدة الايمان والتعلق بالخرافات الغريبة فهى تؤمن بأنها عاشت قبل ذلك اربع مرات وتؤمن بمخلوقات غريبة تعيش فى الكواكب وتقول إنها ستموت للمرة الخامسة فى حادث سيارة .. وهى تدعى انها كانت كاهنة مصرية قبل مئات السنين وانها دفنت حية ثم احرقت اثناء الثورة



المنجمة جوان باين

الفرضية ، ثم اعدمت بعد ذلك بأربعين سنة فى اسبانيا . وقد بدأت حياتها عاملة فى مصنع ثم مغنية فاشلة ثم بائعة عطور وهى تقيم جلسات لمعرفة الطالع فى منزلها وتتقاضى بين ٦ جنيهات و ٣٠ جنيها ويتبع لها عدد من الموظفين هم مدير اعمال وضابط صحافة ، ومساعد خاص ، ومحاسب ومسئول شؤون موظفين وسائق ومدبرة منزل بالاضافة الى زوجها السابق ومفكرتها مليئة بالمواعيد والبرامج التليفزيونية والاذاعية التى تقدمها على الهواء مباشرة لأولئك الذين يتصلون بها عن طريق الهاتف .

ومنهم ايضا كان « ريفنك » .. وقد اشتهر من خلال برنامجه الفلكى الذى يذاع مرتين فى اليوم من اذاعة لوكسمبرج ـ وهو يختلف عن المنجمين

الأبراج وخصائصها



● الحمل
٢١ مارس ـ ٢٠ ابريل

المريخ :

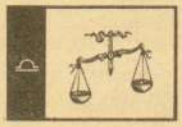
نشط ، مغامز ، قلق ، لايستقر على حال ، متوقد ، منفتح ، صاحب فعل لا قول ، ذو اصالة وقدرة على التمييز ، مندفع العاطفة .



● السرطان
٢٢ يونيو ـ ٢٢ يوليو

القمر

منطو على نفسه ، عاطفى ، حساس ، ذو حالات مزاجية متقلبة وينزع الى ان يكون حالما ، لكنه محب وصبور ومخلص ، وربما خلاق ولكن من وراء صدفته الواقية .



● الميزان
٢٤سبتمبر ـ ٢٣أكتوبر

الزهرة

يهتم كلية بالتوازن ، اجتماعى ، متزن ، محب للسلام ، مهذب ، ودبلوماسى الى ابعد الحدود فى الغالب .



● الجدى
٢٢ ديسمبر ـ ٢٠ يناير

زحل

مستقل ومكتف ذاتيا ، هادىء ، منضبط ، وربما كان مبالغا فى الحذر والكابة ، لكنه طموح وربما ذكى وموهوب .



● الثور
٢١ ابريل ـ ٢١ مايو

الزهرة

صلب ، يعتمد عليه ، واقعى ، محب للسلام واللذة ، ربما كان بطيئا لكنه ليس خاملا او غبيا ، حسى ، والمراة منهم تهتم بانوثتها .



● الأسد
٢٣يوليو ـ ٢٣اغسطس

الشمس

قوى ، غير منطو ، طموح ، مهيمن نشط ، رجولى فى الاساس ، ولكنه اكثر سيطرة على نفسه من (الحمل) وذو توجه وقصد فى افعاله .



● العقرب
٢٣أكتوبر ـ ٢٢ نوفمبر

المريخ (بلاطون)

مظلم وخطر ، قوى العاطفة ، وعدوانى فى الغالب ، لكنه قادر ايضا على تحويل طاقته المظلمة الى اهداف تخدم اغراض حياته الشخصية .



● الدلو
٢١ يناير ـ ١٩ فبراير

زحل (السيار)

مبدع وخلاق فنيا او علميا ، روحى ، خفيف طروب ، ومتفان لقضايا كالسلام والاخاء والمساواة بين الناس .



● الجوزاء
٢٢ مايو ـ ٢١ يونيو

عطارد

سريع البديهة ، عقلانى التفكير ، نشط ، يحب الاتصال والافصاح ، مفكر لكنه خفيف طروب ، متقلب فى كثير من الاحيان ، ومهدد بالنزاع الداخلى .



● العذراء
١٢٣اغسطس ـ ٢٣سبتمبر

عطارد

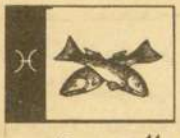
ذكى ، منضبط ، هادىء وعاقل ، مترتب الذهن ، دقيق ، يعمل بهمة ومهارة فى الغالب ، ذو ضمير متيقظ ومتفان .



● القوس
٢٣نوفمبر ـ ٢١ديسمبر

المشترى

منطلق ، نشط ، متطلع الى الامام يحب مخالطة الناس ، محب للنشاط الخارجى والرياضة ، مندفع احيانا ، واحيانا واسع فى نشاطه .



● الحوت
٢٠ فبراير ـ ٢٠ مارس

المشترى (نبتون)

مثالى ، روحى ، او عصابى ، منطو على نفسه ، مفرط فى الحساسية ، غير صريح ، حالم (ذو قدرة على الرؤيا غالبا) واحيانا ذو قدرة فنية .

فى انه لا يدعى لنفسه قوة حدس خارقة ، ويصر على ان التنجيم والتنبؤات الفلكية علم مجرد من الادعاءات التى الصقت به وانه تنبأ بثورة الطلاب فى فرنسا عام ١٩٦٨ وبموت الرئيس الفرنسى بومبيدو . ويقول عن نفسه :

« إننى منجم كبير وعملائى من علية القوم ولدى جمهور غفير من المستحقين أكبر مما اتيح لأى انسان آخر فانا لا احتاج الى الشهرة .»

ومن هؤلاء المنجمين فردريك ديفز وهو يعمل فى جانبى الاطلنطى وقد كون ثروة هائلة من التنجيم وله معهد للتنجيم فى كل من واشنطن ورالى وكارولينا الشمالية ويعتقد أن التنجيم علم يمكن ان يتلقاه الانسان كالبيانو والجيتار تماماً وقد اشتهر بانه تنبأ بأسوأ حادث جوى فوق سماء شيكاغو لطائرة دى سى ١٠ ، ولكن ادعاءه لمجلة (الحاضر) بأن احد الأساقفة قد استشاره ذات مرة قد قوبل بالسخرية والتكذيب من قبل الاسقف نفسه .

أما المنجم باتريك ووكر فهو يقول إنه يرفض أن يقرأ طالع الأفراد لأنه على حد قوله لا يريد للأفراد أن يعتمدوا عليه فى تحديد مسيرة حياتهم . فهو يقول : إن حياة الانسان هى أشبه بلوحة متشابكة الخطوط وان على كل انسان ان يقوم بتلوينها بأسلوبه الخاص وإرادته .

القمر والمزاج

والقول بتأثير الكواكب والافلاك على شخصية الانسان لا يقتصر ـ كما يقول المنجمون ـ فقط على المدار الشمسى والأبراج فقد سادت فى اوساط كثيرة الفكرة القائلة بتأثير القمر على أمزجة الناس وتصرفاتهم وقد افسحت مجلة الريدرز دايجست مجالا للحديث عن الافكار المطروحة حول هذا الموضوع فى عددها الصادر فى ابريل (نيسان) ١٩٨٠ ... وعرضت لفكرتين أولهما ما يسود عند بعض العشاق وصائدى الأسماك والمعلمين والأدباء أن للقمر عندما يكتمل تأثيرا يجعل الأشياء تحدث وتؤثر على المزاج وهو ما قال به كتاب صدر مؤخراً ، والرأى العلمى السائد بأن احوالنا وتغير امزجتنا وتقلبها لا صلة له بنجوم سعد أو نحس وانما هى مؤثرات نفسية أو فسيولوجية تنبع من داخلنا .... ومثل كل المواضيع التى تتضمن بعض الأسرار الغامضة التى يعجز الانسان عن تفسيرها وليس له من دينه ما يعصمه من التخبط فيها تكثر النظريات الاجتهادية .. بعضها يعتمد اساليب العلم وبعضها يغوص فى بحر السحر والوهم والدجل .

ولعل أكثر تلك النظريات اقترابا من التفسير العلمى تلك التى تضمنها كتاب حديث يرى أن جينات الوراثة فينا هى المسئولة فى المقام الاول عن احوالنا العقلية .



إيفا بتيولنجرو



كيم تريسى

الانسان والمحيطات

قبل عدة سنوات كتب العالم فيرقوس وود وهو احد العاملين بمعهد المحيطات القومى بالولايات المتحدة تقريرا عن حدوث موجتين من المد والجزر العالى للغاية احداهما بعد الأخرى فى ٨ يناير و ٧ فبراير سنة ١٩٧٤ وكان من رأيه أن الأرض والشمس والقمر فى كلتا الموجتين ستكون جميعا فى خط مستقيم تقريبا وان القمر سيكون قريباً من الأرض فى الثامن من يناير . هذا اللقاء بين الاحداث الفلكية يجعل مياه المحيطات ترتفع بشكل يفوق مستوياتها العادية .

وكان بين من قرأ ما تنبأ به العالم وود فى شىء من الاهتمام الدكتور أرنولد ليبر ، وهو طبيب نفسانى من ميامى بالولايات المتحدة . وقد توصل الى نتيجة مؤداها أن هناك علاقة قوية بين العدوانية فى الانسان والدورة القمرية ، وخاصة بين مدمنى الكحول والمخدرات وأولئك الذين يكثرون من الحوادث أو يميلون الى الجريمة ،واولئك المضطربون عقليا .

ويقول د. ليبر : «ان جسم الانسان مثله فى ذلك مثل سطح الأرض مكون من ٨٠٪ ماء و ٢٠٪ مواد صلبة . وفى اعتقادى أن قوة جاذبية القمر تؤثر فى الماء الذى بجسم الانسان ـ جسمى وجسمك ـ مثلما تؤثر فى المحيطات . وللحياة مدها وجزرها اللذان يتحكم فيهما القمر ، ويصلان قمة ارتفاعهما وهبوطهما عندما يولد القمر وعندما يكتمل . ويكون تأثير القمر على سلوكنا أشد ما يكون فى هذين الوقتين».

ولأنه عايش ما ظهر من نتائج عندما وقع القمر والارض والشمس فى خط مستقيم فى عام ١٩٧٠ ، وتم له ان يلحظ ارتفاعاً حاداً فى معدل الجريمة المحلية ، قرر الدكتور ليبر أن يحذر الشرطة بميامى والصحف والعاملين فى قسم الطوارىء فى قسم الأمراض النفسية بمستشفى ميامى التذكارى بانه يتنبأ بحدوث اضطراب عام فى سلوك الناس خلال فترة هذا اللقاء الكونى . وحذر من

العنف الذى يخشى ان يصاحب المد والجزر المتوقعين .

فماذا حدث ؟

« لقد انطلقت الشياطين من عقالها » كما يقول الدكتور ليبر . وكان ضحايا جرائم القتل فى الاسابيع الثلاثة الاولى من العام الجديد ضعف ما حدث فى شهر يناير باكمله فى عام ١٩٧٣ ، كما تكررت حوادث الجريمة بلا دافع ولاسباب غريبة .

ومن تلك الاحداث وتجارب مماثلة ، استخلص الدكتور ليبر ان للقمر والافلاك الخارجية تاثيرا مباشرا فى بعض الناس ، ولها تاثير محتمل وكامن فى اغلب الناس . وقد جمع قدرا كبيرا من الادلة لتاييد نظرته ، منها :

١ـ تزداد المكالمات الهاتفية ، التى تبلغ مطافئ مدينة فينيق باريزونا بمعدل ٢٥ الى ٣٠ مكالمة فى ليالى اكتمال البدر .

٢ـ تقارير بعض العاملين فى عنابر الصحة العقلية ، بالمستشفيات تفيد بان المرضى يظهرون ارتفاعا فى اضطراب سلوكهم وحدته .

٣ـ الدورة الشهرية للمراة هى فى العادة ٢٩ يوما ونصف ، وذلك هو طول الشهر القمرى ، كما أن مدة الحمل فى النساء هى تسعة اشهر قمرية .

جينات الوراثة

وفى مقابل النظرية السابقة هناك كتاب جديد متداول الفه البروفسير رولاند فيف ، بعنوان « تارجح الحالات النفسية » . والبروفسير فيف استاذ للطب النفسى العلاجى فى المركز الطبى بكولومبيا بنيويورك . وفى رايه ان جينات الوراثة ذات تاثير اكبر من اية قوة خارجية فى تحديد حالاتنا النفسية . وينصب اهتمام الدكتور فيف بشكل خاص على المرضى بالانقباض النفسى الحاد الذين تتارجح حالاتهم النفسية بين النشوة الغامرة الى الانقباض الحاد .

وقد توصل الى رايه الاساسى بعد دراسة تاريخ ٦٠٠٠ حالة مرضية ، استخلص منها أن القدر الاكبر من تارجح حالاتنا النفسية هو نتيجة لتغييرات فى كيمياء الجسم تتفجر بفعل الجينات والضغوط الكبرى فى حياتنا . وهو لا يستبعد احتمال تاثير القمر على ساعاتنا البيولوجية ، ويعترف بالملاحظات التاريخية حول الجنون والتى ينظر إليها احيانا كدورات للانقباض الجنونى ، كل دورة منها ثلاثون يوما .

ولكن الدكتور فيف لا يقر بان التاثيرات الفلكية هى التى تدفع حالاتنا العقلية الداخلية الى الحركة ، بالضرورة . ويورد كامثلة حياة ثلاثة رجال عظماء ليؤيد حجته .. احدهم ونستون تشرشل الذى امتزج فيه الانقباض العميق والنشوة المشعة وذلك بشكل مكنه من ان يعمل على مدار ساعات اليوم . وقد نتج عن تارجح حالاته النفسية انعدام للحذر والقدرة على التقدير ازعج العاملين معه : «وليس من شك أن المزاج المتقلب كان جزءا مما ورثه تشرشل » كما يرى د. فيف ويقرر أن « شحنة جينية (وراثية) عالية كانت فعالة فى سلالة اسرته ، وان تقلب احوال تشرشل كان اساسا بسبب جينات الوراثة فيه اكثر مما هو بسبب البيئة .»

وكان الرئيس الامريكى تيودور روزفلت مثالا لحالات ارتفاع الروح المعنوية والابتهاج حتى غدا البيت الابيض الى نوع من السيرك . كان روزفلت يتكلم اثناء الغداء بلا انقطاع الى الزوار الذين يزدحمون حول مائدته ، ثم يخرج مسرعا الى مكتبه حيث يقابل الشيوخ واعضاء الحكومة ورجال الكونجرس وسيلا من عامة المواطنين . وفيما بعد يخرج الى ركوب الخيل أو السباحة أو التمشى ، واحيانا يقوم بكل ذلك فى نفس الوقت . كل ذلك قبل العشاء ، والذى متى جلس إليه انطلق فى الحديث والصياح دون أن يتوقف لحظة . وكانت حالاته النفسية مبتهجة فى الأغلب . وعلى نقيض ذلك عرف ابراهام لنكولن بحالات الانقباض الشديد ، التى يصفها فيف بانها كانت متكررة ونابعة منه ، مما يشير الى اضطراب كيمائى.

ولعل اشهر حالات انقباضه كانت تلك التى صادفت فسخ خطوبته لمارى توود فى يناير ١٨٤١ . فقد ظل لأكثر من اسبوع غير قادر على حمل نفسه لحضور جلسات الهيئة التشريعية بولاية الينوى . وخشى زملاؤه أن يكون قد اصيب بنزعة انتحارية .



جان ريفنك



فردريك ديفز

هل تتحكم جينات الوراثة فى المرضى المصابين بالانقباض النفسى الحاد ؟

ويرى الدكتور فيف أن حالات انقباض لنكولن ربما كانت فى بعض الاحيان بسبب الضغوط الخارجية ، ولكنها فى معظمها مستقلة عن حالات الفقد أوالنكبات ، مثلها فى ذلك مثل كل حالات الانقباض الناتج عن اسباب كيمائية أو تحولات فى طبيعة الجسم حين تتجدد فيه أجزاء وتندثر اخرى .

إن النظرية التى يقدمها الدكتور ليبر فى كتابه «الأثر القمرى» تنظر فى تاثير الاجرام السماوية على التوازنات المعقدة للهرمونات والسوائل والموصلات الكهربائية العصبية فى اجسامنا . ويرى ليبر ان جلد الانسان بتركيبه يسمح بحركة قوى كهرومغنطيسية فى كلا الاتجاهين ، الأمر الذى يسمح بتوازن ديناميكى . فكل رسالة عصبية تولد مجالها الصغير من الطاقة ، ولكل خلية حقلها الكهرومغنطيسى الخافت ، مثل نظام شمسى دقيق للغاية . ويرى الدكتور ليبر أن القوى الكهرومغنطيسية الكبرى الصادرة من الاجرام السماوية تستطيع التاثير على توازن عالم الخلايا تحت المجهرية هذه .

ويقول الدكتور ليبر فى كتابه : «عندما يكون هناك اتفاق بين الدورات الفلكية مثل ذلك الذى يحدث مدا وجزرا حادين كما فى عام ١٩٧٤ فان جهاز الجسم الآدمى يتقاذفه اضطراب مفاجىء فى الجاذبية والحقل الكهرومغنطيسى المحيط به .. مما يغير وبشكل درامى التوازن القائم بين عوالمنا الداخلية والخارجية . وبذا يصبح الجهاز العصبى مضطرباً ، متوترا ، وتتغير فيه طرائق ارسال الرسائل العصبية ، ويتكون بذلك ارتفاع او انخفاض فى الماء فى اجزاء مختلفة من الجسم . »

ويضيف الدكتور ليبر ان من بين مرضاه عددا كبيرا من صرعى الانقباض الجنونى الذين تتم تهدئتهم بعقار الليثيوم . « وفى بعض الاحيان يتصل بى كثير منهم فى نفس الوقت ليخبرونى عن حدوث نفس الاعراض لهم ـ القلق ، الانقباض ، فقدان الذاكرة ، وسرعة نبضات القلب . واننى لواثق أن السبب الوحيد وراء هذه الظاهرة الشاذة هو أن كل هؤلاء المرضى يتجاوبون بشكل جماعى مع اضطراب جوى .. والاحتمال الاكبر انه اضطراب ذو صلة بالقمر . »

وعلى اية حال ، فان الملاحظات القصيرة التى سجلها ليال واطسون فى كتابه « مد الحياة وجزرها » توحى بشىء من وحدة المخلوقات فهو يقول :

« إن كل واحد منا لهو بمثابة متحف متحرك والسائل الموجود فى اجسامنا هو صورة طبق الاصل للبحر القديم إذ أن تركيز الصوديوم والبوتاسيوم والكلورايد فى دمنا ، والكوبالت والماغنيزيا والزنك فى انسجتنا ـ كلها بنفس النسبة التى كانت ذات يوم موجودة فى المحيط القديم .

« ومازلنا نحمل ذلك المحيط فى دواخلنا . وقد اطبقنا عليه مثل أثر قديم متحجر ، ولكنه ما زال ينبض بالحياة .»

• وفى كل بحر داخلى دقيق ، مازالت نفس الصراعات القديمة مستمرة مثلما كانت قبل ثلاثة بلايين سنة خلت .

« ويمكنك أن تجمع اكبر عدد من عينات مياه البحر ، ولكن واحدة منها لن تحتوى على أى شىء عن المد والجزر ، وان كانت تخبر عنهما . فالحياة نسيج منظم ، وحركة ، إنها شىء تم صنعه فى نقطة مضادة لايقاع ما هو عارض ؛ انها شىء نادر ورائع فى لا معقولية . »

وبعد :

قد تصادف احيانا تخريجات الفلكيين وتخمينات المنجمين ولكن يظل معرفة الغيب رهنا بيد خالق الكون جلت قدرته وما هذه الموجة العارمة التى تحولت الى تجارة وتخريات ونظريات وتضارب تغذيها اجهزة الاعلام المتطورةفى عالم يفتخر بامتلاكه قوى التكنولوجيا الجبارة ، إلا دليل يقدم جديداً على عجز الانسان وفقدانه للأطمئنان حين يفتقد طمانينة الايمان وسلاحه .



بتريك ويكر



هذه الموجة التى تحولت إلى تجارة ماهى إلا دليل على عجز الإنسان وفقدانه للاطمئنان

البديل للعظام الآدمية



أطباء العظام أحجموا فى السنوات الأخيرة عن إجراء أية عملية لاستبدال المفصل الأعلى فى عظمة الورك.. لماذا ؟

الدكتور بونفيلد توصل إلى نوع من العظم المفصلى البديل غير القابل للكسر والتشقق

تزداد الحاجة فى عالم اليوم الى عمليات تغيير المفصل الاعلى فى عظمة الورك ، وخاصة عند الشباب ، وذلك نسبة للاصابات التى تنتج عن حوادث الحركة أو سباق السيارات أو الانزلاق اثناء التمارين الرياضية العنيفة ، واحيانا بسبب عاهة مستديمة .

ولكن أطباء جراحة العظام قد احجموا فى السنوات الأخيرة عن اجراء اية عملية لاستبدال هذا الجزء من العظم وذلك لأن مفاصل الورك الصناعية والبديلة قد برهنت على أنها لا تدوم أكثر من خمس سنوات ، لأن المفاصل المصنعة غير مرنة ، إذ تحتوى على جزء مصنوع من الصلب الذى لا يصدأ .

وهذا الجزء ملصق الى عظم الورك بواسطة مشبك معدنى

وقد اتضح أن هذا المشبك والجزء الكروى لا يتحركان مع الجسم اثناء مشى الانسان وحركته . ويتولد من ذلك ضغط يزداد بشدة على المفصل ويؤدى ذلك الى ضعف المفصل الصناعى وكسره .

لكل هذه الاسباب مجتمعة ، اخذ اطباء العظام يبحثون عن البديل ، ففى السويد أجريت عمليات مفاصل عظم الورك استخدمت فيها مادة التيتانيم لصانعة المفاصل . ولكن اتضح أن المفاصل المصنوعة من الصلب أفضل منها .

وفى المانيا استخدمت مفاصل مصنوعة من مواد فخارية ، ولكن ذلك لم ينجح نسبة لأن مادة الفخار هشة وقابلة للكسر السريع .

كل ذلك أجبر اطباء العظام على البحث عن البديل .

وفى عام ١٩٧٩ أجرى البروفسير وليام بونفليد المحاضر بكلية الملكة مارى (جامعة لندن) دراسات مقارنة وجادة فى تكوين المفصل العظمى الحقيقى للورك الموجود عند الانسان المعافى لكى يجد له مثيلا إصطناعيا . وأول نتيجة توصل إليها البروفسير بونفليد أن المادة المكونة للعظم البشرى عامة لا يمكن صنعها فى أى معمل وذلك لأنها عملية معقدة جداً . ولكنه توصل مع زملائه الآخرين الى نتائج أخرى اهمها :

أن جوف العظم البشرى الطبيعى يتكوم من انابيب دقيقة عرض كل منها عدة مايكرومترات أى عدة أجزاء من ألف جزء من المليمتر

وهذه الانابيب تحتوى وتنقل مواد سائلة هى التى تصنع العظم الطبيعى ، وتكون هذه الانابيب الدقيقة فى داخل تجويف العظم فى وضع مواز للعظم نفسه . وتحيط بها من الخارج طبقات كثيفة من مادة الكالسيوم والكولاجين ، وهو مادة بروتينية .

ومادة الكالسيوم هذه تشبه فى وضعها وفى وظيفتها المادة الملصقة أو الملزقة الاصطناعية . أما مادة البروتين الكولاجينية الطبيعية فهى تشبه إحدى المواد الكيمائية المركبة المضاعفة الاصل « بولمر » التى يمكن تصنيعها معملياً بعد هذه الايضاحات التى توصل اليها الدكتور بونفليد ، تمكن هو وفريقه المساعد من صنع مفصل عظمى من مادة فخارية ـ لم يكشف عن اسمها ونوعها بعد ـ ومادة اخرى لدنة (بلاستيك) وكان هدفهم الرئيسى أن يشبه هذا المفصل العظمى المصنع المفصل العظمى الطبيعى بقدر المستطاع .

هذا وقد قام الدكتور بونفليد بعد ذلك باختبار الخواص الطبيعية للعظام البشرية بواسطة جهاز صوتى سريع الالتقاط . وقد استفاد الدكتور بونفليد من الذبذبات الصوتية الدقيقة التى ارسلتها العظام الآدمية بتفادى حدوث الكسور والشقوق المتوقعة فى عظمته المصنعة

هذا وقد اوضح الدكتور بونفليد أن ثمن العظم المفصلى الذى أشرف على صنعه وتكوينه سيكون أغلى من المفصل العظمى المصنع من الصلب . والجدير بالذكر أن تكاليف اجراء تغيير مثل هذا العظم فى انجلترا الآن مكلفة للغاية .

وللمادة المستخدمة فى المفصل الذى أشرف الدكتور بونفليد على تصنيعه مزايا أخرى ، فهى مادة مسامية ، وهذا يجعلها تتداخل مع العظمة الطبيعية المجاورة لها وبذلك تقل فرص التكسير والتشقق ، كما أنه يمكن الاستفادة من هذه التركيبة فى صنع جزء من العظام التالفة لأسباب سرطانية .

وقد برهنت التجارب والعمليات الاولية أن المفصل المصنع بواسطة الدكتور بونفليد وفريقه يعمر ويعيش طويلا .

وسيبدأ اجراء العمليات على المرضى والمصابين الانجليز واستخدام هذا البديل الجديد للعظم الادمى فى هذا الشهر (يونيو حزيران ١٩٨٠) .

تجربة جزائرية تعطى العالم أول قرية نموذجية تستخدم الطاقة الشمسية



الفكرة طورها النابغة المعمارى المصرى: حسن فتحى

الإكتفاء الذاتى من الطاقة

بدأ أساس أول قرية فى العالم تستخدم الطاقة الشمسية بشكل متكامل يظهر للعيان على وجه سهل منبسط فى (عين هنا ش) فى محافظة (مسيلة) فى الصحراء الشمالية بالجزائر .

وقد شرع فى البناء من لا شىء . فاذا سار كل شىء وفقا للخطة الموضوعة ، فان القرية ستستمد كل احتياجاتها من الطاقة ومن انواع أخرى من مصادر الطاقة المتجددة . وإذا نجح ذلك ، فان عين هنا ش ستكون النموذج الذى يمكن لدول أخرى غارقة فى لهب الشمس أن تحتذيه

وتقوم بالتخطيط والبناء المنظمة الوطنية الجزائرية للبحث العلمى ، وجامعة الامم المتحدة ــ وهى شبكة عالمية من العلماء والمؤسسات . وباكتمال القرية فى نهاية عام ١٩٨٢ على الأرجح ، فانها ستاوى ١٥٠٠ شخصا .

وقصد أن تكون عين هناش أول قرية من اصل الف قرية تخطط لها الحكومة الجزائرية للتخلص من المدن القديمة وزيادة عدد المدن بها .

والفكرة الاساسية الكامنة وراء المشروع هى توظيف المعمار التقليدى والاساليب الحديثة لاستغلال الطاقة الشمسية . وهى قائمة على الافكار والأسس التى طورها المهندس المعمارى المصرى النابغة حسن فتحى .

والمعمار الجزائرى كالمكسيكى ومعمار شمال افريقيا كان دائماً يستخدم الحرارة الشمسية بشكل سلبى . فالبيوت التقليدية مبنية بجدران سميكة تشكل حاجزا للتخزين ، يجعل المنزل يحتفظ ببرودته من داخل عندما يكون الجو خارجه حارا ، ويبقيه دافئا عندما تهبط الحرارة فى الخارج . وللمبانى الجزائرية نوافذ صغيرة عديدة لتمرير الهواء البارد كما بها نوافير داخلها لتخفيف الحرارة .

ولكن القرية الجديدة «عين هناش» تستخدم الطاقة الشمسية بشكل ايجابى . فالبيوت ستكون مجهزة منذ انشائها باجهزة الطاقة الشمسية كالواح تجميع الطاقة ، والمحولات الكهروضوئية ، كما فى المبانى العامة وسيكون لكل بيت جامع للطاقة الشمسية يعين على استخدام الشمس فى الطهى والتدفئة . كما أن التصميم نفسه يستفيد من تمرير الهواء لأغراض التبريد .

وسيتم استخدام مجموعة أخرى من أجهزة تجميع الحرارة لأغراض الصناعة والزراعة وستزود بعض المجمعات السكنية بانظمة تعمل بالطاقة الشمسية لانتاج الغاز والوقود المستخرج من الكحول وغذاء الحيوان . وبذلك فان انظمة تجميع الطاقة الشمسية ستتكامل بمقاييس مطلوبة مع الانشطة الأخرى كالانتاج الغذائى . وكل نشاط منها كما يقول واضعو الخطة ، مقصود به أن يساهم فى سلسلة من النشاطات التى لا تكلف كثيرا ، وتتجدد من تلقاء نفسها .

وقد وزعت المسئوليات بالنسبة لفريق واضعى الخطط والمصممين فى عين هناش بشكل يسمح بتغطية جميع جوانب الحياة فى القرية . فهناك مجموعة مسئولة عن المسائل الجغرافية والجيولوجية والهيدرولوجية والفلكية والموارد الاقتصادية وتخطيط البنى الاساسية للموقع .

اما المجموعة المسئولة عن الطاقة فهى المناط بها دراسة المناخ والطقس فى الموقع ، وانتاج الطاقة وتوصيلها وتحديد دورتها ، وتصميم وتركيب الاجهزة .

وهناك مجموعة ثالثة مسؤولة عن الخدمات المعمارية الزراعية ، والجوانب الثقافية والاجتماعية والديمغرافية والتوظيفية فى مجتمع القرية .

وعلماء الطاقة الشمسية فى المجموعة المسئولة عن الطاقة مقتنعون بأن احتياجات قرية عين هناش من الطاقة كما تم تصورها الآن ستوفرها مصادر للطاقة بيئية سليمة وعملية ومتجددة . ويجرى تطوير عدد من الانظمة فى الموقع لتعين اهل القرية على تخزين الطاقة الشمسية كمصدر للتدفئة فى الفترات التى يرتفع فيها احتياجهم لها .

ومنذ البداية تمت استشارة اولئك الذين ابدوا رغبة فى الحياة فى هذه القرية الجديدة ، وفى مرحلة التخطيط ، لأخذ ارائهم حول الطريقة التى ينبغى ان تصمم بها المساكن . وقد اجرى اثنان من المهندسين المعماريين الجزائريين مسحا بين من سيقطنون فى القرية مستقبلا حول احتياجاتهم من الطاقة وعاداتهم . وتتضمن مرحلة تالية من المشروع تدريب أهل القرية على الاستفادة القصوى من التكنولوجيات الجديدة ، كما يعتزم واضعو الخطة ايضا تشجيع اهل القرية على تطوير اساليبهم الخاصة فى تجديد الطاقة .

وقرية عين هناش هى تجربة .. بعد كل . فان نجحت الخطط كما يأمل واضعو التصميمات الجزائريون ، فان دولا نامية أخرى يمكن أن تستفيد من هذه الفكرة ، إذ أن هذه القرية تشكل تقدما كبيرا فى مستوى المعيشة دون أى مطالب كبيرة من ناحية المصادر ، متى تم بناؤها .

وليس هناك سوى قرية شمسية اخرى تحت التخطيط بالقرب من شيراز بايران ، ولكنها تختلف عن تجربة القرية الجزائرية إذ انه لم يخطط لها ان تقوم على بناء قرية جديدة ، وانما على تركيب اجهزة الطاقة المتجددة فى المنازل والمبانى العامة القائمة سلفا .

ان أكبر عقبة تواجه مثل هذا النوع من التنمية هى ان الدول النامية عاجزة عن مقابلة التكاليف الانشائية . ولكن فوائدها متعددة الجوانب . فهى لا تحرر الناس من الاعتماد على النفط او اى انظمة مركزية للطاقة فحسب وانما توفر لهم فرصة افضل لدفع الانتاج الغذائى ، وذلك لأنه يصبح تحت سيطرتهم هم انفسهم بشكل أكبر . وبازالة ضغط الحاجة الى الاحتطاب من أجل اغراض الوقود ، تتم المحافظة على النباتات وتركيب التربة وخصوبة الأراضى المحيطة بالقرية ، وتتحسن كلها بمرور الايام

ونسبة لأن اسعار النفط فى ارتفاع مستمر فان احتمال الاقتراب من تحقيق الاكتفاء الذاتى من الطاقة والذى تتيحه مثل هذه التجربة ينبغى ان يشجع كل الدول على التمعن فى تجربة قرية عين هناش المعتمدة على الطاقة الشمسية .

ترقبوا..

الأمة

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر من قطر

النور عثمان أبكر

مدخل لعملية الخلق الروائى

إسقاط الحاضر والاتجاه للتغيير باتجاه المستقبل

ربما كانت اهم خمس روايات سودانية شكلا ومضمونا كتبت بعد الاستقلال هي روايات الطيب صالح الثلاث وروايتا ابراهيم اسحق ابراهيم · تتمتع كل هذه الروايات بالعمق والاصالة والشمول والنضج الفني ـ ان عالجنا اغراب اللهجة المحلية عند ابراهيم اسحق كما ينبغي · كما يتمتع الكاتبان ليس بالموهبة فحسب ، بل بالتزود المضطرد بالعالم الذي عنه يكتبان ، وبالثقافة العميقة المتنوعة المستزيدة من التجربة والحلم والاطلاع الدائم وكلاهما يربط نفسه بحلم ان يعرف العالم الانسان الذي عنه يكتب ، والعالم الروائي الذي يقيم · واغترافهما من ينبوع المصدر الأول والتجربة الأولى ـ الجذور ـ الاقليم المحلي بالسودان وتاريخيته وشروطها المادية ، ينبع من الوعي الكامل بضرورة استكشاف الحياة من جذورها ·

كثيرة هي الدراسات التي كتبت عن ادب الطيب صالح ، وطويلة · ولذا يضحى من الصعوبة بمكان ان يتجنب المرء الانسياق ـ لا شعوريا ـ وراء خطوط دراسة او اخرى ، وهو يتحدث عن ادب الطيب صالح · وقليلة ونادرة الدراسات الجادة في أدب ابراهيم اسحق ابراهيم ، ولذا يخشى المرء ان يحمله حبه وتقديره الشخصي للكاتب وعالمه الروائي الى اضفاء ما يلون موضوعية البحث والتقييم · ولذا اكتفي بتحديد سمات اساسية لعملية خلق الرواية عندهما ·

·· استرجاع عالم مفقود

كلاهما ينزع الى استرجاع عالم فقده ، وتحريك شخوص على مسرح ذلك العالم المفقود في دراما عناصرها حدث فريد يهم الجميع ، فيسلكون ، ويفصحون عن اعماقهم للحد الأقصى، فيتبلور في النهاية رمز انساني تاريخي يحتمل شتى التفسيرات ·

فالقرية في «عرس الزين » ليست قرية حقيقية ، ولكن القوى التي تتحرك وتفعل وتفصح عن نفسها فيها هي قوى لها وجود موضوعي · وليس « الزين » حقيقة ، ولكنه

الطيب الصالح



رمز لقوى مختلفة تستقطب اهل القرية وتتحدد بها هوياتهم وهم يتعاملون معها · لكنه بحدث عرسه يصبح رمز الوئام للجميع ·

والقرية هي مسرح « حدث في القرية » لابراهيم اسحق ، والحادث هو تدفق الماء العظيم في موسمه ، وموت صبي به بضربة مجهول يحمله الماء ـ الخير الدمار ـ ان الماء هو المجهول المعطي ـ التغير والاستمرار ـ ينتظره الجميع هناك · وهاهو قادم ، « واهب » ، ومدمر ·· يتدبرون امرهم حتى يلجموا قوى التدمير في دواخلهم ليفيدوا من قوى التعمير في الماء ـ التغير · وفي غمرة ذلك كله يفصحون عن هوياتهم وتنافرها وعودتها الى نوع من الوئام ·· اخيرا ·

·· رصد آثار عامل التغير

في « موسم الهجرة الى الشمال » ينزل القادم الغريب ، فيحدث تغيرا في القرية كما كان قد احدث تغيرا في المدينة والذات، وينزع قشرة الحياة ، فيتم افحش فعل يمكن لانسان ان يفعله : القتل · ويدفن الموتى على مضض ودون بكاء ، وينصرف اهل القرية للنظر في ما حدث لهم من تغير في حياتهم ، عن الخطأ في الماضي والحاضر القريب ·

وفي « اعمال الليل والبلدة » لابراهيم اسحق ، ينزل الغريب ، فيستقبله عنصر معد بالمولد والمزاج والتربية لاستقباله ، وتستقبله حاجتهم اليه ·· وتتم جريمة ·· وتفقد القرية (الجواد) ، عذريتها ، تاريخها ، امجادها ، وتصحو على واقعها الجديد بعد ان نزعت قشرة الحياء ، خداع الذات ، عدم النظر في الذات ·

في « بندر شاه » يكبر اهل « ود حامد » ، اهل « موسم الهجرة الى الشمال » ، يفقدون ونام «عرس الزين » ، ويدركون مدى التغير الذي حدث بعد « موسم الهجرة ·· » ويبكون ، الموتى والاحياء يبكون فجرا ، وينقبون في دواخلهم ·· جاءهم ضوء ، به ابصروا ، ووجدوا ·· ثم مضى ·

نرى من ثمة اهتمام الكاتبين برصد ما يحدث لمجموعة انسانية في زمن ومكان وشروط مادية محددة من تغير بفضل قدوم شيء جديد ، مسار لتاريخ ، عنصر جديد من عناصر التعامل مع الزمن والعالم : ثمة ما يفقد دائما عوض ما يجيء · وهذه مشكلة التغير الذي يعانيه السودان ، العالم الثالث ·· مشكلة التقدم ·

تختلف الرواية عند الطيب صالح وابراهيم اسحق ابراهيم عنها عند غيرهم من روائيينا من حيث الفنية و الزمن واللغة · كان الطيب صالح في « عرس الزين » يكتب عن مجتمع ينعم بالوئام ، يحلم به ، يتمناه ، جسده في عمله كواقع معاش ، وذلل في عمله كل تقابلات وتعارضات الحلم والواقع ليخرجه كعالم له ارضية في حياة الناس · ولذا استخدم السرد لايهام القارىء بأن عالم « عرس الزين » حقيقة ماضية لا تستدعي من القارىء سوى التصديق والقبول · اكيد ان للزين جذورا في الواقع .

كما ان عالم المصالح المتضاربة ـ رعوية ، زراعية ، تجارية ، دينية ، قبلية ـ التي اجتمعت للفرح بعرس هذا « الغريب » لها جذور في الواقع · لكن الوئام الحميم الكامن في الرواية ليس حقيقة · سمة حياتنا واقعا هي التنافر في هذا الوطن الشاسع ، التنافر بين كل تلك القوى التي اجتمعت للاندماج في عرس الزين ·

لم يستخدم المؤلف اي راوية لما يعرف انه حلم يزيف الواقع ليجلوه بصورة افضل ·

٠٠ استخدام الراوية

اما في « موسم الهجرة الى الشمال » فقد رأى الروائي ان يعرض عالما ، ان يقدم شهادة من اكثر من موقع ، لذا استخدم الراوية ٠٠ الراوية الذي يعرف نفسه ، ويشكل الوجه الآخر لعملية التغرب والعودة التي قدمتهما تجربة وحياة مصطفى سعيد ، وبذا يتم للقارىء الذي يقصد الحكم اخيرا ان يختبر الراوي ليبلغ موقف التصديق والتقبل لروايته فنيا ٠ ونجد الراوية يستند الى مخلفات مصطفى سعيد ليعمق ثقتنا في نزاهة وحيدة شهادته بما حدث ، كما نجده يقدم اشخاصا يهمهم ما حدث لبعضهم من ذلك الغريب ، سلبا وايجابا ٠

ان تبادل الثقة بين الراوية والبطل ، وبين القارىء والراوية والمنكوبين بالاحداث في القرية كل ذلك يمنح القارىء فرصة بناء عالم الرواية متكاملا ليخلص الى حكم او يعلق الحكم ـ لو كان ذكيا ـ لأن الروائي قصد في الاساس ان يقدم عالما علينا ان نتعرف عليه عمليا ٠

٠٠ تعاملهما مع القرية

تبدو القرية لأبناء المدينة مستودعا من القيم الروحية والاجتماعية المتناسقة البريئة ٠ بها جذورنا سالمة عن أذى التغير والمدنية ، لا

يخدش براءتها وعدوءها وجمالها غير العوز الذي يجتاحها احيانا بسبب قوى خارجة عن ارادة الانسان وفعل التاريخ ٠ لذا تغنى شعراؤنا بجمالها وقدسوها واهمين !

بعيون لا يعميها رمد الحنين الشوفيني او البلاهة في قراءة معطيات الوضع المادي الاجتماعي والسياسي التاريخي ، ينظر الطيب صالح وابراهيم اسحق في القرية وانسانها، ويقدمانه كعالم ليس هو البراءة ، ليس هو الوهم ، ولكنه مجال معاناة التغير والتحول ماديا ونفسيا وفكريا ٠

كلنا سينزل المعاش ـ كما نقول ـ ويعود الى ارضه ، داره ، اهله ، ليعيش فعاليته الانسانية الخالصة ، ويتوقع ان يجد الاشياء والناس كاول عهده بالحياة ٠ لكن المسألة ليست بهذه البساطة ٠ اننا نهرم بالتجربة والنفي، وتتجدد القرية بوافد التغير والاستلاب الذي يجد مستقبليه فيها ٠ قرانا هي عالمنا الاول في تبادل وتعامل مع العصر ٠ الذي شاخ فيها تمتحنه رياح التغير الوافدة وتفنيه ٠ الذي يشمخ فينا رسوخا معافى ٠٠ يبقى ٠

٠٠ القبض على التناقض الاساسي

هناك تقابلات وتناقضات ثانوية لا يحق لأديب أن يحتفل بها كقوى للصراع ٠ تعرض « عرس الزين » مثل هذه التناقضات الثانوية، تؤكدها المعسكرات التي يقدمها الكاتب ٠٠ الطائفة الدينية ـ القبائل ـ الفئة المتميزة ـ الجاه ـ الفقر ٠٠ وينفيها الكاتب بالفرح الاكبر الذي يصنعه الانسان لنفسه ، بالحلم ، بالفرح الموسمي الكبير ، بالعرس ٠

« حدث في القرية » تعرض التناقض الاساسي بين الانسان والطبيعة ، وتمدنا بقدر غير يسير من التناقضات الثانوية (بين انسان المدينة الوافد بالعلم ـ الناظر او المعرض او التاجر، او صاحب وسيلة المواصلات ـ وبين اهل القرية في جهلهم ٠٠) ، لكن الرواية تدير الأحداث لتبرز امامنا ضعف الانسان وقلة حيلته امام قوى الغير التي يمكن ان تستحيل الى قوة دمار ، خاصة اذا جهل الانسان كيفية استخدامها واوانه ٠ الماء للجميع ، ينتظره الحيوان والنبات والانسان ، القروي المقيم والراعي الجوالة ، المقيم والغريب الوافد ، لذا يتدبر الجميع أمر الجامه والجام مطامعهم الفردية وهم يقتربون منه ٠ يكون قهر ، يكون اختلاف ، تكون جريمة ٠٠ يموت الكثير ، لكن الارادة الجماعية ، بتدبيرها ٠ يمضي الشر ، ويبقى الانسان وقد عرف في محنة المعاناة قدرا من نفسه وامكانياته ، سلبا وايجابا ٠

٠٠ المعالجة ابتداء من حدث عادي

ان الروايتين (حدث في القرية وعرس الزين) قد اديرتا حول حدثين عاديين اكسبهما



الكاتبان قيمة غير عادية ٠ فالعرس أمر يومي ٠ لماذا يثير كل هذا الاضطراب والاصطراع وكشف امور الواقع والماضي ؟

وجريان الماء في موسمه أمر عادي ، والموت حقيقة يومية ٠ فلماذا كل هذا الاضطراب في حياة القرية واستكساف بالها القديم وتظلماتها الحاضرة وفضح ما كانت به تحيا ؟

لم يكن العرس عاديا ، لان شخصية الزين ليست عادية ٠ ولم يكن جريان الماء عاديا ٠ لأن ما حمله معه من شر ليس عاديا ٠ لقد اختار الكاتبان الحدث الذي به يتحول الواقع المادي القائم الى وعي ٠٠ ان الاحداث اليومية العادية هي التي تبني التاريخ ، وتحدد مساره وهي بذلك تبني الوعي ، ومن بينها حدث لحظة التحول التاريخي او النفسي أو المادي ٠ وقد احسن الكاتبان قبض لحظة تبلور التحول هذه ، لحظة اليقظة هذه ٠ وقد عالجها الطيب صالح ليؤكد امكانية الونام في مجال يعج بالتناقضات ، كما عالجها ابراهيم اسحق ـ بعد سخرية شاملة ـ ليبرز القدر الكامن في الانسان رغم عجزه وفقر حيلته وجهله امام المجهول والشر الممكن في الحياة ٠

لقد حرك الطيب صالح شخصيات الرواية لتبني الحدث وعالمه ٠٠ هي التي تتحاور ، وتروي وتعلن وتسر ٠ بعض اللحظات يملؤها وعي الكاتب ، لكنها لا تقدم الكاتب كحاجز مترفع عن هذا العالم يباعد بينها وبين حوار الصدام والونام في الرواية ٠

في « حدث في القرية » اختار الكاتب صبيا ليكون الراوية ٠ جعل عين الصبي ـ عثمان ـ براءته وصدقه وامتلاءه بقيم ومخاوف ووعي اهله ، هي التي تقدم لنا لوحات هذا الحدث ، وما يصطرع في بال الجميع تجاه الخطر المحدق بالجميع ٠ والصبي يعتمد عينيه واذنيه وذاكرته ومحفوظاته المحلية وتجربته في تقديم ذلك اليوم الطويل في حياة القرية ٠

حتى هذا الصبي يبقى دون تعريف من الكاتب وهو نفسه لا يكترث بتعريف نفسه ، يتركنا نتعرف عليه في العالم الذي يرويه ٠

الكاتب، اذن، خارج عمله وعالم روايته ٠ وهذه هي فنية الرواية الجديدة ٠

١ ـ ابتعاد الكاتب عن عالم الرواية ، وتشكيل الرواية بالأدوات التي تجعلها عالما مستقلا عن الكاتب ، لوحة ، قطعة موسيقية ، منضدة ٠٠ اضافة جديدة للعالم ، اعادة لفعل الخلق ٠

٢ ـ تقديم حدث اساسي يبلور لحظة التحول في وعي العالم الذي تشكله الرواية ٠

الجريمة في « اعمال الليل والبلدة »

يستمر ابراهيم اسحق في « اعمال الليل والبلدة » في استخدام الراوية واللغة والحوار المباشر في بناء عالم يعاني منعطفا حادا في حياته ، يكاشف نفسه مساءلة واحتجاجا عن شروط هذا التغيير وجدواه · لم يكن احد يتوقع ما حدث ، وان كان صوت التاريخ ـ مصطفى ـ يهجس شيئا مريرا شريرا سيحدث من بدايات وفدت ولم يؤبه لها كثيرا ·· ولذا يضطر القارىء على تجميع كل وعيه وشطارته ليقف على حقيقة ما حدث ·· موت رجلين ، وموت الجواد « فارس » ·

احد الرجلين (فلقة) وافد الى القرية ·· البلدة · جذوره لمكان آخر ، فاقد لاحترام اهل البلدة ، ولا مبال بهم وعالمهم · يرتبط في صداقة حميمة ومشبوهة بعنصر من اهل البلدة (حاجي) · هو تجسيد لفساد في صلب القرية ـ لا اب له يعرف ، ولم تحسن تربيته · على يدي هذين الرجلين يسرق الجواد ، ويقتل ·

والجواد (فارس) هو رمز لتاريخ ومجد في الايام الغابرة حين وقفت البلدة في وجه الغريب الوافد المعتدي ، بحق · ولكنها ايضا قتلت رجلا وافدا ـ الجلابي ـ بغير حق · ليس الوافد دائما على نية شر ، (مامون) يحترم امورهم ، ولذا يشاجر (فلقة) · (زيدان الجلابي) لم يقصد بهم شرا حين زرع واستثمر جزءا من المسايل ، لكن الزبير رحمة كان يقصد الشر ، فاوقفوه · و (فلقة) قصد الشر ، فاوقفته حياله الاقصى الشريرة ·

السلطة القديمة (العمدة) كانت عاجزة كما راينا في «حدث في القرية » ، لكنها ردت الحق ـ ابداء الراي ـ الى الاهالي · سلطة وكيل الأمباشي عاجزة عن اقتفاء الاثر ، واكتشاف الجريمة ، ولكنها ستبقى ، مفروضة، رغم تذمرات صوت التاريخ (مصطفى) وشكوى العمدة ·

لقد اختار ابراهيم اسحق الجريمة كحدث هنا في « اعمال الليل والبلدة » · وهي تقود الى تساؤلات اخلاقية مجتمعية ، سياسية ، وهي تعني السقوط · ان نصف العناصر المادية التي مكنت للجريمة من صنع اهل البلدة ، والآخر وافد !

·· وفي «موسم الهجرة ··»

كانت « ود حامد » حلما بالوئام والحب في « عرس الزين » ، لكنها في « موسم



الهجرة الى الشمال » تصحو على جريمة لا يقترفها الغريب ، بل تنبع من عنصر متاصل فيها ، تقادم وتمكن ، فلم يعد اقتلاعه ممكنا الا بالرفض الحاد ـ القتل (ود الريس ·· حسنة بت محمود) · الراوية ، ابن ود حامد الذي اكمل تعليمه بالسودان ، وتوجه لدراسة عليا باوروبا ، يعود ليشهد قوة التدمير الهائلة لطاقة الحب ـ ماء الحياة ـ حين توجه توجيها خاطئا ، او تنعدم · في حياة الغريب الوافد (مصطفى سعيد) الذي كان يفسق حتى الجريمة باوروبا ، في حياة مصطفى سعيد ملف كامل لما يفعله انعدام او سوء قصد هذه الطاقة للحب بانسان · لم يكن حبا ما جمعه ببنات الانجليز ، بل نزوع الى الانتحار والفناء، وربما انتحر هو نفسه وهو يقوم ـ موهما الجميع ـ بعملية الانقاذ ليلة الطوفان تلك · لم يكن حبا ما جمعه بحسنة بت محمود ، وهي لم تحتج بالحب او حفظ المودة للزوج الماضي حين تقدم الخطاب اليها ·

عندما التقت العوالم المختلفة في « عرس الزين» تم الوئام بطاقة الحب الفياضة المعطية ـ الزين · هنا في « موسم الهجرة الى الشمال » تلتقي العوالم ·· اسلب او تستلب · وتحتج باسم قيم نصفية ـ غزو اوروبا كما غزتنا (مصطفى سعيد) ـ وامر البنت بيد والدها (ود الريس) · هنا تنتفي الحرية ، تنتفي القيم التي مكن لها الزين ونعمه والحنين ـ كحلم الكاتب ان الافصاح عما حدث ، وجذوره في النفس ، وتقلبات الايام ، يحتاج الى استكشاف عميق للذات الحضارية والنفسية لبلدة واهالي « ود حامد » يحتاج لاكثر من راوية · وهذا ما يحدث في « بندر شاه » التي تقدم اهل « ود حامد » بعد مرور ٢٥ عاما على «عرس الزين » ، وتغوص في اعماق زمن لم يعرفه الزين لانه حدث قبل زمان عرسه بكثير ·

« ضو البيت »

قديم هو انسان النيل شمال الوادي ووسطه وعميق اثره فيصنع تاريخ هذا البلد الشاسع· ولذا اتاحت رحلة الاستكشاف في الذات الحضارية فرصة كبرى للطيب صالح في تقديم السمات الاساسية للانسان السوداني الذي طمحت حركة القومية الموحدة بالسودان منذ ايام سنار في ارسائها · ولذا يتم التعاطف بالسودان والعالم العربي مع كتابات الطيب صالح الذي اختار نموذجه ومكانه في « هذا الجزء من العالم » ، اكثر مما يتم لأي كاتب يختار اقليما آخر من بلاد السودان ·

من هو ضو البيت ؟

ما دام اهل عالم الرواية (بندر شاه) قد خصوا الأسماء بجزء من سمرهم العميق ،فاننا ناخذه باعتباره اسما على مسمى ، كما نقول ، ورمزا لوافد تعاطفت معه البيئة وافادت منه كثيرا ، وفقدته · ما هو هذا الفقد ؟ ان اثره واضح في التفاهم الصامت بين الجميع ـ اجيال الصراع المختلفة في الرواية ـ انه الرؤيا التي عرفها الجميع ، نافذة الفجر والضوء عند الفجر للجميع ، معرفة وتماسكا انسانيا وكرامة وعطاء بالحب كبير · لكنه فقد ·

هذا الماضي حاضر وطاغ في الحاضر ، لكن المستقبل يطالب بحقه فيالامكان والتغيير كاملا· من هنا صراع الأجيال ، الزمن ، حيث يتعاضد الجد والحفيد ـ الماضي والمستقبل ـ في وجه الحاضر ـ الأب ـ ان عملية استكشاف الذات في العالم النامي (الدول النامية) تسقط الحاضر من حساباتها ، وتتجه نحو احداث التغيير متتبعة سهم المستقبل ، ومحكومة بحبل السرة للماضي ، لأن الوجود ماض ، والحضور مستقبل ·

النور عثمان أبكر

محمد مندور
المعلم .. والأب



د. محمد مندور



بروميثيوس



راسين

في بداية هذه الكلمة اقول إننى لم اكتبها لاقدم أعمال الدكتور محمد مندور أو اكشف جانبا من جوانبه الفكرية الغزيرة .. بل اكتبها تنفيسا عن حزن لايزال يحتدم فى النفس على ذلك المعلم الأب .. أما التقويم والتحليل والمناقشة فنتركها للنقاد الذين سيجدون فى ذكراه ولاشك فرصة يقولون فيها مالديهم من آراء كثيرة يتفقون فيها مع الدكتور مندور ويختلفون كما كانوا يفعلون وهو ملء السمع والبصر ..

مر على غروب شمس حياته فى ١٩ مايو ١٩٦٥ خمس عشرة سنة ظهر خلالها على مسرح الفكر ودروب الأدب شخصيات و شخصيات .. لكنى حتى لو أوصلت العديد منهم بعضهم ببعض فلن أفوز بتغطية الهوة العميقة التى تخلفت فى النفس وعلى مسرح الفكر بفقده .. ذلك أن "مندور" كان من اكابر المفكرين وكان فى الوقت نفسه من الأدباء الحقيقيين مع انه لم يركب متن الخيال قط ، ومن النادر فى أيامنا هذه أن يجمع الرجل فى شخصه بين القابليات الأدبية والأهليات العلمية . وحتى لو كشف لى المجهر عن شخصية لها ثقافة مندور ونفاذ بصيرته فمن المستحيل أن تعثر على من يجمع بينهم وبين مشاعر الأبوة الخالصة . وفيض احاسيسه الحانية واستاذيته المطبوعة أيضا

إننى اشعر الآن وانا أكتب عنه انه كان « بابا مندور » وقبل كل شيء .. يوم فقدته فقدت كل أمل لى فى أن أكون ابنة للمرة الثانية . ولقد دخلت الى عالم الاضواء الفكرية والفنية من باب مندور .. كان خطوى من خطوة .. ونظرتى مستمدة من نظرته الناقدة حينا الحانية فى أغلب الاحوال ، ولقد أفضى بى هذا الباب الى طريقين أولها ترجمت من خلاله وامام عينى المفردات التى بلورت العظمة فى شخصه .. وثانيهما وهو أننى عندما وقعت عينى على اساطين الفكر والفن الذين كنت اقرأ عنهم وانبهر بهم .. لم ار الهالات المضيئة فوق رؤوسهم .. ذلك أن آراء مندور الكاشفة عن ماهيتهم قد بددت انبهارى المبهم بهم . فأخذت احجامهم حيزها الصحيح .. كان الواحد منهم يصافح "مندور" فأجده يكلمه بعتاب غامز .. والآخر يتصبب أسفا .. وعندما يتركنا خجلا التفت الى بابا أسأله : لماذا كلمته بهذا الفتور .. ولماذا كان الآخر يدارى خجله هكذا .. فيفضى إلى بأن هذا الشخص ضعف امام الموقف الفلانى سنة كذا .

لم تتغير أفكارى عن المفكرين فقط بفضل مندور .. بل تغيرت حياتى أيضا .. ذلك اننى منذ وعيت .. واختبرت قدراتى .. وخلال دراستى الثانوية وانا انتوى المضى فى طريق الفن التشكيلى والالتحاق بكلية الفنون الجميلة ، وفى يوم من عام ٥٦ قرأت فى جريدة الشعب نقدا بقلم الدكتور مندور لأحد الكتب التى كنت قد فرغت من قراءتها توا .. فبهرت بآرائه .. وقلت لنفسى : «لو ملكت هذه الثقافة الموسوعية وهذه القدرة الفذة على التعبير لكتبت نفس المقال وبترتيب الكلمات أيضا .

ومن يومها تتبعت مقالاته وكتبه هنا وهناك .. وبدأت احاديثه الاذاعية والتلفزيونية بجانب مقالاته تخلق لى عالما

عايدة الشريف

- جمع مندور بين القابليات الأدبية والأهليات العلمية ومشاعر الأبوة الخالصة
- ملكته الرغبة فى الإفضاء وإفادة الآخرين لأنه معلم مطبوع
- كان سريع البديهة .. سمحا .. وكتبه محاضرات كان يلقيها على تلامذته

جديدا .. وتعرفنى اشياء لم أكن قد سمعت بها من قبل . وفى احدى مقالاته وجدته يكتب بحنو وعطف عن رسائل تلامذته فى (معهد النقد) فعرفت أن هناك معهدا بهذا الاسم وشغلتنى فكرة الانشغال به .. وما إن حصلت على الثانوية العامة حتى ذهبت اسجل اسمى ، وكان للمعهد امتحان دخول .. وكان الممتحن هو الدكتور مندور ذاته مع بعض الاساتذة .. سألنى يومها : أيهما تشاهدين أكثر ، المسرح أم السينما ؟ .. قلت له السينما فاستفسر ولماذا ؟ قلت إننى استطيع الذهاب الى السينما صباحا مع الصديقات او مع أخى الأصغر .. أما المسرح (ليلا) فيقتضى اصطحاب أخى الكبير يوسف الشريف وهو مشغول دائما مع اصدقائه .. بالشؤون العربية فى مجلة روز اليوسف . فقال لى ببساطة : نعم إن الأخوة الكبار دائما «أولاد .... »ولاحظ أنه بتعاطفه معى قد سب ابى فاستدرك قائلا : إن ابنتى ايضا تشكو نفس الشكوى .

اكتشفت اسرتى أن معهد النقد ، هذا ليس إلا قسما ملحقا بمعهد الفنون المسرحية ويحوى قسم الديكور والتمثيل وهو شىء يفوق خيال أسرة ازهرية معمم أغلب افرادها . ولكى أرضيهم جمعت بينه وبين كلية الحقوق .. وأخذ على هذا الجمع أنه محاكاة «لبابا مندور» الذى كان يجمع بين كليتى الآداب والحقوق لظروف جد مختلفة .. ذلك أن "مندور" التحق بالجامعة أولا بغية تحقيق حلم طفولته فى أن يكون وكيل النيابة الذى انبهر بهيلمانه عندما شاهده وهو يحقق جريمة فى قريتهم الصغيرة .. ولما كانت السنة الأولى مشتركة مع الآداب وتعرف عليه الدكتور طه حسين اقنعه بأن يدخل كلية الآداب بجانب الحقوق .. ونجح فيها بتفوق بل كان ترتيبه الأول الممتاز فى الآداب فرشح من قبلها لبعثة لفرنسا لدراسة آداب اللغة الفرنسية واللاتينية وفقههما كما عرض عليه من قبل كلية الحقوق للعمل كوكيل نيابة .. فطلق حلمه القديم لينفتح على آفاق أكثر رحابة .. فقبل البعثة .

المعلم الموهوب

ومن يوم دخولى المعهد ورغم أن مندور لم يدرس لى فى السنة الأولى .. أصبحت شديدة الارتباط به داخل المعهد وخارجه فى الندوات والمحاضرات الأدبية التى كان يحضرها أو يلقيها . فى أبهاء المسارح وردهات الصحف التى كان يعمل بها .. وقد ساعد فى ذلك كثيرا جيرتى له فى السكن . ثم انه كان فى اخر ايامه لا يكتب ولا يقرأ إلا قليلا لضعف بصره بعد العملية التى أجريت له فى رأسه لاستئصال ورم فى المخ .. كانت فرصة لى أن اقترب منه لأقرأ له وأكتب ما يمليه هو علي وقد كشفت لى هذه الفرصة الأخيرة علامات وضوح الفكر وصفائه عند مندور .. ذلك أنه كان يملى علي المقال أو مقدمة كتاب دفعة واحدة لا يقطع املاءه تبديل إلا فى النادر القليل .. وكأنها قد نحتها وجسمها فى خياله قبل أن يبدأ فى إملائها . لذلك فكثير من كتبه التى يرجع اليها الباحث فيجد فيها مرجعا موثوقا به ، إنما هى محاضرات كان يلقيها على تلامذته فى المعهد العالى للفنون المسرحية أو معهد الدراسات العربية .



«إنك يا مندور لأحب تلاميذى إلى نفسى»

طه حسين

كان الدكتور مندور يلمس حاجة طلابه الى دراسة تاريخ النقد الادبى مثلا .. فيكون تقديره لهذه الحاجة إشارة أو لفتة لذهنه يبدأ بعدها العمل والاحتشاد ، لكنه لا يجلس الى مكتبه ومن حوله الكتب يخطط للموضوع كما يفعل معظم الاساتذة .. بل يتأهب للاقبال على الموضوع ثم يتدفق بعد ذلك بالكتاب مملى على الطلاب بتلقائية تتعجب لدقتها وكأنما قضى صاحبها فى التخطيط لها زمنا طويلا .. أما اختلاف طبعات كتبه الأولى مع الثانية والثالثة .. فمرده الى أن "مندور" كان إذا أملى على طلبة فرقه وجاء العام التالى أدخل بعض التغيير على ما كان أملاه ولكن الخطوط العريضة تبقى كما هى .. ذلك أنه كان كثيرا ما يضمن محاضراته خواطر تكون قد عرضت له من وحى اللحظة التاريخية أو الاجتماعية أو السياسية .. أو قبل وقت المحاضرة .. وهذه سمة المعلم الموهوب .

واتذكره مثلا يحلل لنا كلمة بروميثيوس اليونانى فيقول (بروم) تعنى النظر و (يثيوس) تعنى الامام .. أى انه كناية عن المشتق أو المنذر الذى ينظر بعيدا . ويحلل كلمة (برجوازى) فيقول (برج) تعنى مدينة .. كما تقرأها مثلا فى بترسبرج و(زى) تعنى انسان .. فبرجوازى هم سكان المدينة .. وهم الطبقة الثالثة من التجار والموظفين التى تكونت بعد عهود الاقطاع التى كان الناس فيها ينقسمون إلى سادة وعبيد .

يقول كل ذلك بأسلوبه البسيط .. الذى يخيل للسامع أنه لا يقتضيه جهدا أو أنه


العقاد


توفيق الحكيم


محمود شكوكو

التحق بالجامعة ليحقق حلم طفولته بأن يكون وكيلاً للنيابة

أقنعه طه حسين بدخول الآداب بجانب الحقوق

علامة على بساطة الأفكار التى يحملها عقله .. ولكن الأمر ليس كذلك ، فانها بساطة لا تتأتى إلا للقادرين على استيعاب أصعب المشاكل وأعمق الثقافات وهضمها وتحثلها حتى تستقر فى الوجدان ويجرى بها اللسان فى كلمات واضحة سلسة .

البديهة الحاضرة

إن كتابة مندور إهداءات كتبه إلى مريديه وعارفى فضله ومكانته من وحى اللحظة التى هم فيها .. لتدل ببلاغة على سرعة بديهة هذا الرجل وسماحته ودعابته الحانية .. اذكر أن الاستاذ صلاح عبد الصبور كان يوما عنده ، وأخذا يطالعان فى جريدة « الاخبار » المعركة الدائرة بين صلاح والاستاذ العقاد حول كتاب صلاح «ماذا يبقى منهم للتاريخ » الذى قدم فيه رأيه فيما سيبقى للتاريخ من العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ... الخ .. وكان العقاد يسمى صلاح فى هذه المعركة « سى عبده » وكان هناك كتاب جديد للدكتور مندور يريد أن يهديه الى صلاح .. فكتب الاهداء هكذا : « إلى سي عبده » ، وهم يومذاك ان يكتب إهداء لأحد كتبه الي ، فاتفق فى هذه اللحظة أن أبدت زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز إعجابها بأناقة ثيابى أو شىء من هذا القبيل فكان اهداؤه (الى ابنتى الرشيقة) ولكن السيدة ملك لفتت نظره الى أن كثيرا من الادباء الأصدقاء يستعيرون كتبه منى فاستدرك ولم يتراجع واكمل الاهداء (الى ابنتى الرشيقة أدبيا) .

وكما هو واضح فان الأبوة فى شخصية الدكتور مندور .. لم تكن سمة أحسها وحدى بل هى سمة من ابرز السمات التى تتبدى فى شخصيته والتى تفرض نفسها على من يعرفه وبخاصة الجيل الذى تتلمذ عليه ونهل من علمه الوفير ومن مشاعره الفياضة بكل ما هو خير وجميل . وكنت اظن أن هذه الصفة اكتسبها مندور من عمله الطويل فى الاستاذية والتعليم ، ولكن الدكتور لويس عوض يكشف لنا أن طبيعة مندور فى حياته كلها كانت طبيعة معلم وأنه جبل على التعليم وافادة الآخرين ، وذلك فى كتابة (مذكرات طالب بعثة) المكتوب بالعامية ، ثم فى مقالته لتأبين مندور .. وعنوانها (وداعا ايها الصديق) والتى نشرت فى الأهرام فى تاريخ ٦٥/٥/٢٥ . يقول الدكتور لويس : حين إلتقيت فى باريس بمحمد مندور سنة ١٩٣٧ كنت يومئذ فى طريقى الى مقر بعثتى فى انجلترا : لازمنى مندور يومين او ثلاثة ليطلعنى على معالم باريس ! فكان ينتقل بى من السوربون إلى البانثيون إلى الانفاليد إلى نوتردام وغير ذلك من الآثار الباقية ويشرح لى تاريخها ويحلل قيمتها . وتوطدت صداقتنا وكنت أزوره فى إجازتى واستطيع القول ان مندور هو الذى أيقظ فى نفسى حب العمارة والنحت والتصوير حين كان يطوف بى أبهاء متحف اللوفر أو يقف بى بين اعمدة كنيسة المادلين ليشرح لى الفرق بين العمود الكورنثى والعمود الايونى والعمود الدورى أو يجوس بى خلال نوتردام ودير الباندكين ليروى لى قصة القوس المكسور والزجاج المعشق بالرصاص فى العمارة القوطية أو يحدثنى عن اسس التكوين البيزنطى فى كاتدرائية (السكركير) أو يلهب خيالى بوصف ما رآه من آثار فى الاكروبول وفى سامو تراك.أثناء رحلته اليونانية (التى كانت فيما بعد سببا شكليا اتخذته الحكومة المصرية مبررا لقطع مرتبه من البعثة لمعارضته لاتفاقية صدقى بيفن) ! وبغير هذا ما كان يمكن لى أن أربط بين عماره (التوليدى) وفرساى ولوحات جنسيود ورينولدز وموسيقى فيفالدى وباخ وأدب راسين ، عصرا عصرا ومدرسة مدرسة .. لقد ترجمت لى مفردات شرح مندور كيف أن باريس تحس حقا بقلب أثينا وتفكر بعقل روما .. ويقول لويس عوض بعاميته الخفيفة : (ومن غير مندور كنت دخلت باريس حمار وخرجت حمار) .

يكتب عن شكوكو !

ومن ذلك نتبين طبيعة تلك السمة التى ميزت شخصية مندور : إنها الرغبة فى الافضاء وإفادة الآخرين والتى تفرق بين معلم مطبوع ومعلم موظف .. فقد كان (بابا مندور) يبدو عليه الارتياح والغبطة وهو يفيض في شرح مسألة من المسائل التى تعنى من يستمع إليه ويريد أم يستزيد من علمه فيها .. ويبدو أن استاذية مندور للويس عوض فى نفس لويس بعد ذلك ، فكان كلما تجادل مع مندور يقول له مندور : (والله إنـك ...) أذكر يوما من عام ٦٠ انطلقنا فيه من المعهد الى جريدة الجمهورية حيث كان مطلوبا من مندور أن يكتب افتتاحية عدد اليوم التالى (الاربعاء) وبعد أن أملاها علي وسلمناها دخل الدكتور لويس عوض ، فسأله مندور عما تم باجتماعهم مع صلاح سالم (الذى كان رئيس مجلس ادارة دار الجمهورية) حول اصدار مجلة (الكاتب) التى كان من المفروض أن يرأس تحريرها د. لويس عوض ، وعن المبالغ التى تمت الموافقة على رصدها لها . فقال له لويس عوض : لقد تم كل شىء على مايرام ورصدوا مبلغ مائة جنيه لاصدار المجلة . عندئذ نظر

له مندور بتعجب وقال (والله إنت ...) هل تكفى مائة جنيه لاصدار مجلة فأردف لويس عوض قائلا إن هذا المبلغ للكتاب الذين يكتبون من خارج الدار فقط . حيث تم الاجماع على أن تصدر المجلة (الكاتب) عن جريدة الجمهورية بحيث تطبع فى مطابعها ويحررها كتاب الجمهورية فأخذ مندور يسخر من ذلك ويستعرض للويس إمكانيات كتاب الجمهورية فى ذلك الوقت ، مبينا الخصائص الفكرية فى كل منهم ثم توقف عند كامل الشناوى رئيس التحرير وقال (ماذا سيكتب سى كامل فى مجلة الكاتب ؟ محفوظات ؟) ولا تعنى عبارة مندور عن كامل تقليلا من شأنه أو عدم احتفاء بشعره ولكنها ربما كانت إشارة الى ما بينهما من مشاكسات حيث كان كامل الشناوى باعتباره رئيسا للتحرير يقدم لمندور مقترحات فى شكل كتابة موضوعات جادة .. وهو يقصد منها المداعبة والتظرف .. بينما كان مندور يأخذ الأمر مأخذا جديا فينفذ المقترحات ويحيلها الى موضوع جدى يخرج منه بأشياء طريفة وأصيلة تفوق ما قصد منها فى البداية .

اذكر يوما كلفه فيه كامل الشناوى باجراء لقاءات ثلاثة فى مقال واحد مع زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز ومع توفيق الحكيم ثم مع المنولوجست شكوكو وهنا جانب الدعابة .. وقد أخذ مندور الأمر بجدية تامة .. وأجرى هذه اللقاءات الثلاثة .. فخرج بلقائه مع ملك بنظرية الشعر المهموس أما لقاؤه مع الحكيم فلم يتم فى الواقع بل فى الخيال حيث أن توفيق الحكيم كان كلما ضرب موعدا لمندور فى دار الكتب أو فى جريدة الاهرام وذهب مندور إليه لا يجده .. لذلك قال لنفسه أخيرا .. وماذا ننتظر من رجل صفاته إخلاف الوعد .. ثم ما هو الجديد الذى سيقوله توفيق الحكيم .. إن فكره قد توقف عند التعادلية وزمن الفهم ، وزمن الرواية . واللغة الثالثة ولعبة الازمان القديمة منذ عالجها فى سنة ٣٣ فى (اهل الكهف) وهى قضايا بعيدة عن الناس ..إننى استطيع توقع كل اجاباته على كل ما كنت سأوجهه له من اسئلةكنت سأسأله عن كذا فيجيب بكذا .. الخ .. وهكذا كتب اللقاء المتخيل مع الحكيم .. أما حواره مع رجل التلقائية والفن المحبوب شعبيا (شكوكو) فقد اجراه فعلا فى لقاء شخصى تم بينهما فى مسرح العرائس الذى كان شكوكو أول من أنشأه فى مصر فى ذلك الوقت خرج منه مندور بالسر الكامن وراء هذا الفنان المصرى الوحيد الذى كان له تمثال شعبى يشتريه الاطفال فى الاحياء الشعبية واكتشف مندور أن هذا السر يكمن فى أن شكوكو لم يغن للسلطة ابتداء من عصر الملكية وإمتدادا الى عصر الثورة وعهد الجمهورية .. بل كان على العكس يعبر عن روح الشعب المصرى فى السخرية لدرجة انه قد قلب الأغنية التى شاعت فى أيام الثورة الأولى (مخلاص اتعدلت والحالة اتبدلت) الى (مخلاص إتقندلت ، والحالة اتبهدلت) وكانت نتيجتها أن أوقف فترة عن الغناء .

وقد أعجب كامل الشناوى للغاية بهذه المعالجة الجيده للموضوع الذى قصد منه أن يكون مقلبا مدبرا لمندور فاذا به يحوله لهذا المقال الممتع المفيد . وربما كانت هذه هى بداية الصداقة التى ربطت بين كامل الشناوى ومندور حتى توفيا فى سنة واحدة .. وأذكر من ملامح هذه الصداقة الواقعة التالية التى تدل على تفكير مندور بعمق فى صديقه كامل الشناوى وتفهمه لطبيعته : فقد حدث حين مرض كامل الشناوى مرضه الأخير وأدخل مستشفى قصر العينى ، تحير مندور فيما يمكن أن يأخذه له كهدية . ولأنه يعرف أن أصدقاء كامل كثيرين لابد قد غطوا ردهات المستشفى بالزهور وملأوا الحجرة بالحلوى اختار أن تكون هديته لكامل زوج من عصافير الكناريا . لتؤنسه فى وحدته عندما ينفض منه الاصدقاء ويبقى بمفرده ليلا . يالها من فكرة شاعرية وإنسانية متفهمة لطبيعة كامل الشناوى الشاعر والانسان معا .. لقد كان كامل الشناوى .. كما ذكر عنه يوسف الشريف فى كتابه (سيرة حياة كامل الشناوى آخر ظرفاء العصر ..) لايحب أن يقضى الليل منفردا وكان هذا الزوج من الكناريا بالفعل هو ما تبقى لكامل فى لياليه الأخيره .. وهذا يذكرنا ببيغاء كزانزاكس الذى بقى مع شخصية فيفا توبدليو بطلة قصة زوربا اليونانى حتى آخر حياتها .

المتسامح بالحب

كان مندور صاحب صدر يتسع لكل المداعبات التى تصدر عن الكتاب تجاهه .. لانه هو نفسه كان يصدر المداعبات فى جلساته وكتاباته .. اذكر يوما نشر مندور مقالا ضمنه رسائل تأييد له عن مقال سابق .. فما كان من الكاتب الساخر محمود السعدنى إلا أن أفرد للدكتور مندور ملزمة فى مجلة صباح الخير .. لمداعبة مندور منطلقا من هذه المقاله .. قائلا لمندور إنك بنشر رسائل القراء .. وكأنك تقول (جامعة كفر البطيخ) فى دوله لوبيا تؤيد مندور على مقالته .. أو أن (كرسى الظابط) يهنىء مندور على مقالته القيمه .. عشرات من النكت المرسومة والمداعبات المنثورة .. جعلتنى على طرافتها أغضب على السعدنى بل أكاد أخاصمه .. وفى يوم كنا خارجين مع مندور من دار الاذاعة بعد تسجيل حديث .. فلمحت السعدنى من بعيد .. ولم أومىء برأسى لأحييه ولكن مندور لمحه فسألنى : أليس القادم من هناك هو محمود السعدنى .. فأجبته بنعم وبنيتى إعلان مخاصمتى ، ففوجئت بمندور ينادى السعدنى ضاحكا ليسأله (ولد يا محمود أما زال كرسى الظابط يؤيدنى) وتعجبت من ضيق صدرى ورحابة صدر مندور، تهلل محمود وجاء يصافح مندور وهو منشرح لعفوه عنه . فاحتضنه وقبله والتفت يصافحنى فقلت ليس قبل أن تقبل يد والدنا بابا مندور .. فوضع يده على يد مندور وصاح قائلا : يا ناس ياللى فى الاذاعات العربية والعالمية هاهو محمود السعدنى يقبل يد عمه العظيم محمد مندور .. ثم قبل يده .



مندور هو الذى أيقظ فى نفسى حب النحت والتصوير

د. لويس عوض


كامل الشناوى


صلاح عبد الصبور

جامعة كفر البطيخ في دولة لوبيا.. تؤيد مندور على مقالته


د. على الراعى


احمد عبد المعطى حجازى

ماذا سيكتب سيد كامل في مجلة الكاتب..؟ محفوظات؟!

لماذا صورت أبطالك بهذه الخفة والاستهانة بالقضية؟

يا يوسف.. لا تجعل الخلاف في الرأى يفسد للود قضيته

مندور

ولقد أعاد الى ذهنى هذا المشهد .. مشهداً آخر لمندور .. قبل هو فيه يد استاذه ولكن بوجل وجديه . كنت معه فى دار الأوبرا فشاهد أوبرا عايده حين سمعنا دقا على باب أكينوار ثم فتحه واطل علينا الأستاذ فريد شحاته سكرتير الدكتور طه حسين وأسر لمندور ان الدكتور طه هنا ويود لقاءك .. وطوال استمرار عرض الفصل الرابع والأخير وأنا أسترجع فى ذهنى ما بدر من الدكتور طه تجاه مندور عندما أعيد الى مصر من فرنسا بقرار شخصى من مكرم عبيد ولطفى السيد بسبب دفاعه فى باريس عن حق مصر فى إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٦ فغضب عليه الدكتور طه لأنه عاد دون الدكتوراه ، ولأنه لم يجعل دراسة الدكتوراه الأكاديمية هى هدفه الضيق .. وترك نفسه تتفتح على كل الثقافات والفنون التى فتنته.. كدراسة الفنون على اختلافها من عمارة ورسم وموسيقى ونحت .. الى الاقتصاد والتشريع المالى .. الى سياحات ثقافية الى اليونان وغيرها وبسبب ذلك رفض الدكتور طه أن يعينه فى جامعة فؤاد (القاهره) الآن .. فعانى (بابا مندور) فترة عصيبة من عمره الى أن اختاره أحمد أمين ليقوم بالتدريس بجامعة فاروق (الاسكندرية) الحديثة النشأه فى ذلك الوقت .. وقد سخر مندور من الجامعة سخرية مرة بطريقة علمية حيث قال لهم : أنتم تريدون هذه الورقة التى تسمونها شهادة الدكتوراه إذن إليكم إياها وخلال فترة تسعة شهور فقط عكف مندور على وضع رسالته العظيمة (النقد المنهجى عند العرب) باشراف الأستاذ أحمد أمين . حصل بها فى سنة ٤٣ على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ، فأثبت لجامعاتنا وللدكتور طه أن ورقة الدكتوراه لاتقتضى من مثله وقتا ولا عناء . ورغم ذلك فان الدكتور طه استمر يضيق عليه فرصة العمل فى جامعة القاهره إلا كمدرس للترجمة .. وهو عمل يقوم به الأجانب المعينون مدرسين فى المدارس الثانويه .

مر هذا الشريط أمام خاطرى ، وحسبت فى نفسى أن مندور سوف لا يأبه لدعوة الدكتور طه .. واننا سننطلق خارج الأوبرا ليشرح لى بابا مندور سبب عدم تلبية دعوة الدكتور طه وما أن أضيئت أنوار الصاله حتى وجدت مندور يستعجلنى كطفل ينبغى أن يهرع مع الأسرة لتحية الضيوف وتوجهنا للسلام على الدكتور طه .. ولم أعرف طبيعة ماستقرفى نفس مندور .. لقد حسبت أن آثار الأيام العصيبة التى عاناها من الدكتور طه جعلته يخشاه بحيث يصيبه هذا الوجل الطفلى .. ولكن ما أن وصلنا الى الاستراحه التى يجلس بها الدكتور طه حتى وجدت مندور ينكب على يده مقبلا .. والدكتور طه يمسح بيده على شعر مندور .. وهو يردد : إنك يا مندور لأحب تلاميذى الى قلبى ولازلت ومندور يتشرب كلامه ويعب منه عبا وكأنه طفل برىء يشرب من بحيرة الحب الصافيه .

إن هذا المشهد وإن اثبت لى سماحة مندور ودلنى على أن قلبه الكبير قادر على نسيان كل ماهو محزن ويحتفظ بكل ما هو مفرح .. فقد عرفنى لماذا كان مندور أستاذا كبيرا كما كان تلميذا عظيما .. إن مندور عاش مرحلة التلمذه بعمق ولذلك أصبح معلما بحق ..ويستطيع الثبات فى هذه الوضعية مهما بلغت حدته فى التوجيه .

أذكر يوما كنا ندخل جريدة الجمهورية .. فلمحت د. يوسف إدريس طالعا من المطبعة فعرفت أن يوسف إدريس ما زال عاتبا على بابا مندور ولا يريد أن يصافحه .. غضبا من هجوم مندور عليه حول مسرحيه المعروضة (اللحظة الحرجة) حيث عارض مندور بطل يوسف .. الذى جعل اللحظة الحرجة لاتستفزه للمجابهة .. بل تحبطه وتمنعه من الاقدام على المعركة بحجة انغلاق الباب الذى يفصله عن اسرته البورسعيدية التى تعرضت للعدوان اثناء العدوان الثلاثى عام ٥٦ وهو وراء الباب .. مع انه كان يعلم أنه مفتوح .

صعدنا نحن وأملانى (بابا) افتتاحية اليوم التالى .. وإذا بالدكتور يوسف ادريس يدخل علينا .. ينظر لمندور ويوجه الكلام لى

هل تعرفين لماذا عدت الى المطبعة قلت نعم لأنك مازلت غاضبا من نقد بابا لك ولذا فقد نزلت الى المطبعة لتتجنبنا .. فالتفت يوسف إدريس الى مندور وهو يقول : نعم كنت غاضبا حقا .. ولكنى ما نزلت الى المطبعة لاتجنبكما بل لأنى بمجرد أن رأيت مندور يهل على حتى تبخر كل غضبى عليه وعدت لاسحب مقال هجومى ـ كتبته ضده من بين فكى المطبعة . ثم تعانقا ومندور


يوسف السباعى


عبد الرحمن الشرقاوى


نجيب محفوظ

اتسع صدره لكل المداعبات الصادرة من الكتاب تجاهه .. لأنه هو نفسه كان يصدرها فى جلساته وكتاباته

كانت كلمة "يأس" غريبة على قاموس مندور

يقول له : ياولد يامجنون لا تجعل الخلاف فى الرأى يفسد للود قضية .

لأن مندور كان لا يدع للخلاف فى الرأى أن يفسد للود قضية .. فانه حتى لو غاب عنه أن يدفع بمن لا يأخذون بهذا المبدأ تجاهه .. فان غيره كان يقوم بهذا الدور عنه بحب وحميمية .. أذكر يوم صدرت رواية يوسف السباعى (طريق العودة) عام ١٩٥٨ وهى عن حرب السويس .. كتب مندور لها نقدا يسأل فيه يوسف السباعى لماذا صور ابطاله بهذه الخفة .. ولماذا جعلهم على كل هذا القدر من الاستهانة بالقضية .. وكيف يستطيع ضابط فى حرب كهذه كان لها آثار بعيدة على الصعيد الدولى .. يقسم وقته بين عشيقته وقضيته المقدسة . كتب يوسف السباعى ردا عنيفا على مندور .. تلاه نقد اكثر التهابا من الاستاذ الشاعر عبد الرحمن الشرقاوى .. إتهم فيه (مندور) بأنه اعمى يدعى الابصار .. وجاهل يدعى الثقافة ، دفاعا عن يوسف السباعى ، رئيس المجلس الاعلى للفنون والآداب .

ومهما كان شم النسيم .. وعيد الفصح .. وقد ازمعنا من قبل الذهاب الى أسرة مندور فى بنيا القمح .. دخلت صالة بيت مندور .. فوجته ساهما فسألته : هل عدلت عن السفر ..؟ فأعطانى المقال فقرأته وغضبت واثرت بضرورة الرد عليه .. فردد أسيانا .. بيتى ابن المعتز :

لى صاحب إن غبت يأكلنى
وإن رآنى فى الندى سجد
كم قد هممت بأن اعاقبه
فما وجد العقاب أحد

وفى يوم الاثنين التالى وعلى صفحات جريدة الشعب عام ٥٨ .. وفى نفس مكان المقال الذى سب مندور نشر الشاعر الشاب احمد عبد المعطى حجازى (ثلاثا وعشرين سنة) قصيدة بعنوان (دفاع عن الكلمة) موجه (إلى من ماتت كلماتهم ، لأن ضمائرهم قد ماتت) وبنفس وضعيته كشاعر مبتدىء .. استعمل فيها قاموس الشاعر الكبير الذى يهاجمه دفاعا عن مندور وفى ذلك اليوم أصر مندور على أن نقوم برحلتنا الى بلدته والا يقطع علينا نزهته التى تهيأنا لها فانطلقنا الى كفر مندور حيث أنسته مشاعر البنوة وتقبيل والده له ، وتقبيله هو ليد والدته (التى يشبهها كثيرا) انساه ذلك كل الآلام التى تلقاها صباحا .. ولكن عندما دفعت والدته بأحد أحفاده للسلام عليه وهى تدعو له بأن يكون عمه محمد دكتورا عظيما يسقط الوزارة ويقيمها بكلمته وبقلمه طافت به لمحة حزن وكأنه يقول لنفسه : (كان زمان) ولكن هنا الحزن زال بمجرد تقبيله لابن أخيه .

أخيرا الاحزان !

حزن كان ينتاب مندور عندما يجد انسانا ينشق عن كل مبادىء الانسانية فى سبيل هدف عابر .. أو مصلحة شخصية .. وقد مات مندور بسبب همه وكمده هذا . فعندما عهد إليه الدكتور حاتم وكان وزيرا للثقافة والاعلام عام ١٩٦٥ مهمة القيام باصلاح المسرح الكوميدى .. وعجز مندور عن ذلك .. لأنه كلما أحكم سيطرته على النص .. واقتدر على عدم خروج الممثلين عليه .. فان الممثل حينما يجد نفسه على خشبة المسرح ويتجاوب معه جمهور المشاهدين يجد نفسه يميل الى اصطناع الحركات المضحكة المسفة التى تخرج عن روح النص . ولذلك آثر مندور الانسحاب من هذه المهمة التى رأى انها لن تصل الى نتيجة مثمرة ، فنشر مقالا بهذا المعنى على صفحات جريدة الجمهورية .. واغضب هذا المقال المسؤولين فى وزارة الثقافة ورفضوا أن يسمعوا من مندور الاسباب التى دعته لهذا الحكم على المسرح الكوميدى مما أحكم دائرة الحزن حول مندور . الذى مرت بحياته الكثير من المشاكل الاكاديمية والسياسية وكان يظن أنه سيجد راحته فى مجال الفن فاذا يجده مليئا بالمشاكل ايضا . وكان حزن مندور على هذا الموقف هو الذى جعله هدفا للذبحة الصدرية اللعينة التى هدت كيانه والزمته بيته . ابتداء من يوم ٨ مايو ١٩٦٥ .

وكنت كلما جلست اليه فى هذه الايام وتطرق الحديث حول ردود فعل مرضه على اصدقائه وموقفهم كان يسألنى هل مازال لى نفع فى هذه الحياة ! وعندما كنت اغضب كان يشير على بأن نكمل ما كنا قد اجلناه من قراءات فى مراجعة كتاب (الكلمات) لسارتر ترجمة د . خليل صابات .. وكنت أريد أن اعتذر عن هذه المهمة لكى اريحه من عناء مرضه ولكنى ترددت فى الاعتذار لسببين أولهما أنى كنت قد تخرجت وعملت موظفة وخفت أن يفسر بابا مندور رفضى للقراءة والكتابة له لأننى لم اعد تلميذته الأثيرة كما كنت ولم يصبح له دلال علي . والسبب الثانى أن السيدة ملك عبد العزيز رفضت اعتذارى لأنها خشيت أن يفسره مندور بأن حالته المرضية خطيرة فيفزع على صحته .

جلست اقرأ له الترجمة العربية (للكلمات) وهو يمسك بالنص الفرنسى لمضاهاته بالترجمة .. وكانت حروف الكتابة



ملك عبد العزيز



د. محمد برادة

رغم الذبحة الصدرية راجع ترجمة "الكلمات" لسارتر

بالفرنسية دقيقة بحيث استدعت استعماله لعدسة مكبرة مع انه يلبس النظارة .. واستمرت هذه العملية أكثر من ساعة .. ووجدت أنها تتطلب جهدا ومشقة مما لا يتناسب مع الذبحة الصدرية اللعينة . التى اصابته . ولحسن الحظ دق جرس الباب ودخل الدكتور على الراعى ليعوده فتنفست الصعداء لأننا سنترك القراءة المرهقة لفترة .. وسأل مندور على الراعى : ماهى اخبارى عندكم ـ يقصد فى وزارة الثقافة ـ فقال الدكتور على الراعى بواقعيته المفرطة : اليوم صدرت توصية بألا تظهر صورتك فى التليفزيون أو صوتك فى الاذاعة . ثم غادر الدكتور على بعد فترة . ولكى انسيه التفكير فى هذه الافكار المزعجة اقترحت عليه إستراحة اقرأ له فيها صفحات الجرائد والمجلات واغفلت عن عمد مطالعة مجلة الاذاعة . فقد كان بها موضوع تحت عنوان (لا يادكتور مندور) لمحمد جلال .. فتصورت من هذا العنوان أن المقال يهاجم بابا مندور فى وقت هو احوج ما يكون فيه الى التأييد والرعاية ولكنه اصر على أ اقرأها وما ان بدأت فى قراءة هذا المقال حتى وجدت الكاتب يعاتب الدكتور مندور بأنه (يلّس) من اصلاح المسرح الكوميدى ويتعجب من أن كلمة (يأس) الغريبة على قاموس مندور قد وردت على لسانه وهو الذى خاض أشد المعارك واعنفها ضراوة .. ضد الامتيازات الاجنبية فى مصر .. وضد معاهدة صدقى ـ بيفن ومع الوفد تارة وضده تارة اخرى وفى كل المجالات الادبية والاقتصادية . ويدعوه محمد جلال فى آخر المقال للمضى فى طريق النضال ويناشده بالاصرار عليه .

الأيام الأخيرة !

تهلل مندور وابديت أنا موافقتى للكاتب على رأيه .. وذكرت بابا مندور بأقواله عن نفسه وانه دوما مثل الكرة كلما اشتد الضغط عليها زادت قفزتها واندفاعها الى اعلى . سألنى مندور يومها عن انتاج محمد جلال من القصص والروايات التى لم يقرأها ليكتب عنها (لأنه انسان لم تغره موجة الهجوم على التنكر لى). ورغم هذه العبارة المتفائلة إلا أنها كانت متناقضة مع ما يشعر به من دنو الاجل . وما كان يقوله من تلميحات عن موته . فطوال هذه السنة الأخيرة كنت عندما اعود معه الى منزله ونجد بالصدفة سرادقا يلتفت الى مداعبا : الا تلاحظين أن سرادق المتوفى يقترب من شهر الى شهر نحو منزلى ، الظاهر المأتم القادم سيكون لى .. كنت افزع من هذا الخاطر الذى ألم به واضرب الأرض بقدمى واجهش بالبكاء .. ويضحك هو مواصلا سخريته المرة .. فيغيظنى قائلا (إن ابو طوالة اسم مدافن عائلة مندور فى قرب منيا القمح) تناديني ياعايدة .

ولكى أجعله يكف عن هذه الفكاهة السوداء ، كنت أقول سأكتب موضوعا عن دراما حياة مندور التى بدأت بحلم الطفولة فى أن يكون وكيلا للنيابة ثم انتهت بالعمل بالسياسة .. ثم بالفن .. وسأنهيه بقولى : وهكذا بدأ مندور علمانيا وانتهى قدريا .. فيضحك لكلامى ويحاكيه بسخرية محببة .

وبعد أن قضيت معه جزءا من مساء هذه الليلة الأخيرة .. غافلته منفلتة حتى اتركه يستريح .. وما إن وصلت الى بيت صديقة تجاورنى فى السكن ابثها شجنى وأسأى على ما استشفه من خطورة حالة بابا مندور الا وأخى الصغير يلحق بى ليخبرنى بالكارثة التى وقعت بغروب شمس بابا مندور . لا أشعر كيف جريت فى شوارع الروضة حتى وصلت الى منزله ولا كيف انهرت على جثمانه باكية .. وكل من حولى يرشدنى لأن التعبيرعن الحزن بهذه الطريقة لا يجدى .. وأقامونى لأستند على جدار . ومازلت بجانب هذا الجدار الى يومنا هذا . لقد كان مندور وحده هو الذى يبدد احلك مشكلاتى ويجعلنى أرى النجوم . وتشرق فى نفسى الآمال .. كنت اهرع إليه وقد اظلمت الدنيا فى وجهى واحاطت بى مشكلات الحياة .. وأخال انها تخنقنى كأخطبوط وبعد لحظات مع مندور لا أكثر .. يكون هذا الهم قد انزاح عنى .

لقد كنت يوم حدثت هذه الفاجعة اعمل مع نجيب محفوظ فى لجنة قراءة مؤسسة السينما .. وكان يعرف شدة ارتباطى بمندور . نادانى ليسألنى عن ظروف وفاته وهو مازال فى سن السادسة والخمسين .. فحكيت له عن اصابته بالذبحة .. وماكان يفعله ويمارسه خلالها من نشاط . وما تصل اليه من أخبار صراعاته الادبية والرسمية .. فقال نجيب محفوظ متحسرا !! لقد عالجتم الذبحة كما لو كانت انفلونزا .

ومن العجيب ان تمر كل هذه السنوات الطوال على وفاة مندور ولا يتذكره بعد طول نسيان أحد من مفكرينا ودارسينا الاكاديميين فى مصر أو المشرق العربى بدراسة متوسعة .. ولكن الله يهيىء له شابا من خيرة مثقفى المغرب ليهب سنوات شبابه فى اعداد رسالته للدكتوراه عن مندور ويسجلها فى جامعة السوربون ويحصل عليها بتفوق . ذلك المثقف الشاب هو الدكتور محمد برادة وكانت رسالته بعنوان محمد مندور وتنظير النقد العربى .. وقد نشرتها مؤخرا دار الآداب البيروتية ..

عايدة الشريف

دعـــوة إلى التخلف بدعـــوى المحلية

محمـــود زكـــى

- ليس صحيحًا عالميًا أن الاستغراق فى المحلية يؤدى إلى العالمية
- العالمية تأتى من معالجة قضايا الإنسان بهمومه وعذاباته
- موليير وشكسبير لم يكتبا لشعبيهما فقط .. وإنما لكل الناس
- كاسك ياوطن . لا تنتمى للمسرح السياسى ولا المسرح التقليدى

صورة من مسرحية «كاسك ياوطن»



دريد لحام



بريخت



هالنى حقا ماسمعته من الفنان دريد لحام فى لقاء تليفزيونى قبل بث ما يسمى بمسرحية (كاسك ياوطن) . فقد وجهت مذيعة اللقاء سؤالا عن رأيه فى كيفية الوصول بالفن المسرحى الى العالمية ؟ فاذا به يجيب بان الاستغراق فى المحلية يؤدى بنا الى العالمية . ويضيف قائلا : إننا يجب الا نقدم اعمال شكسبير او موليير لان شكسبير كتب مسرحياته للانجليز ، وموليير كتب للفرنسيين .

واود هنا كرجل مسرح أن اقول إن الاغـــراق فى المحلية ـ بالنسبة للفن المسرحى ـ ينقسم الى شقين ، شق خاص بالشكل والثانى بالمضمون . فمن ناحية الشكل فان المحلية تعنى استخدام اللهجة العامية كاسلوب للتاليف المسرحى فى كل قطر عربى . والحقيقة المؤكدة اننا نحن ابناء الوطن العربى الواحد نجد صعوبة بالغة فى فهم اللهجات العامية لابناء الاقطار الشقيقة الاخرى .

إذن كيف نستطيع ان نصل الى العالمية باللهجة المحلية ؟ .

اما من ناحية المضمون فما يطلبه هذا الفنان معناه ان نستغرق فى معالجة قضايانا ومشاكلنا المحلية (ولا اقول القومية) وهى بلا جدال كثيرة ومتعددة ومتباينة على طول الوطن العربى . فما يعتبر مشكلة محلية فى بلد ربما يكون سببا من اسباب الرخاء فى بلد اخر

إذن كيف نستطيع ان نصل الى العالمية بمعالجة قضايانا المحلية ؟!!

إن العالمية لا تاتى إلا من خلال معالجة قضايا الانسان بهمومه وعذاباته فى اى زمان ومكان . وإذا كنا فعلا جادين فى الوصول الى العالمية فلنحاول ان نقتحم قضايا ومشاكل الانسان المعاصر وهى ـ بلا شك ـ عديدة فى هذا العصر المادى الذى يلهث فيه الانسان وراء لقمة العيش .

واختلف مع دريد فى مفهومه عن موليير وشكسبير فهما لم يكتبا لشعبيهما فقط بل كتب موليير فى النقد الاجتماعى والمظاهر الاجتماعية السيئة . فاين المحلية فى «البخيل» او « مدرسة الزوجات » او « المتحذلقات » . وشكسبير كتب للانسان وعن الانسان اينما وجد وهذا ما جعل شكسبير واحدا من اعظم كتاب المسرح فى التاريخ . فاين المحلية فى « هاملت » او « لبدى ماكبث » او « الملك لير » او « روميو وجولييت » يقول المخرج الفنان سعد اردش فى كتابه (المخرج فى المسرح المعاصر) :

« إن ماساة هاملت ليست ماساة موقوتة بزمانها او مكانها ، إنها تمسنا لانها ما تزال تعبر عن كثير من قضايانا المعاصرة ولهذا يجب ان نبحث عن الطريق الذى يجعل دراما هاملت معبرة عنا اى ننقلها من مناخها التاريخى الى المناخ المعاصر » .

ويؤكد الفنان دريد لحام ان مسرحه مسرح سياسى فلنحاول ان نتعرف فى سطور قليلة على مفهوم المسرح السياسى كما وضعه مؤسسا المسرح السياسى فى العصر الحديث وهما الالمانيان اروين بسكاتور ، وبرتولد بريخت . فهما يتفقان على ان المسرح السياسى يجب ان يستفز المتفرجين إلى المشاركة الايجابية فى اصلاح العالم وذلك بطرح الحقائق التاريخية والمعاصرة وتحليلها فعلى مستوى مضمون العرض المسرحى يجب الا يكتفى المسرح السياسى بعرض الاحداث الفردية بل يتخطى ذلك الى تحليل إنعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والى تقرير كافة الوقائع التاريخية المتصلة بها بشكل ينقل الصورة الدرامية الى الحدود والآفاق الملحمية .

فاذا طبقنا هذا المفهوم على ما قدمه دريد فى اخر اعماله المسرحية (كاسك ياوطن) فاننا لانجد اية لمحة تشير من قريب او من بعيد الى هذا المفهوم . إذن هذا العمل لا ينتمى الى عائلة المسرح السياسى . فالى اية عائلة مسرحية ينتمى ؟ فلنبحث فى انتمائه الى عائلة المسرح التقليدى (الدرامى) .

يقول بريخت عن المسرح التقليدى :

« إن المسرح التقليدى (الدرامى) يخاطب عواطف الجماهير ويستهلك طاقاتها الكفاحية عن طريق تحقيق عاطفتى الشفقة والتطهير . وبرغم ان مخاطبة عاطفة الجماهير واستهلاك طاقته الكفاحية هو اقصى ما ترمى إليه مسرحية كاسك يا وطن إلا انها لا تبلغ حتى ان تكون مسرحا تقليديا . لان المسرح التقليدى (الدرامى) يجب ان يتبع فى بنائه الدرامى القاعدة الارسطية (بداية ووسط ونهاية) هذا بالاضافة الى الوحدات الثلاث (الحدث والزمان والمكان) وهذا ما لا اثر له فيما يسمى بـ« كاسك يا وطن » فلا بداية ولا وسط ولا نهاية ولا اية من الوحدات الثلاث وذلك لسبب بسيط هو انه لا يوجد اصلا بناء درامى .

كاسك يا وطن تتكون من ١٠ لوحات منفصلة من الممكن جدا إلغاء عدد من هذه اللوحات ـ وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرضت « كاسك يا وطن » فى الدوحة فقد قدمت فى ٨ لوحات فقط ـ كما يمكن تغيير ترتيبها الزمنى دون ان يتاثر العمـــل .

إذن نخرج بنتيجة هامة هى ان هذا العمل لا ينتمى الى عائلة المسرح السياسى كما لا ينتمى الى عائلة المسرح التقليدى .

إن هذا العمل الذى قدمه دريد لحام لاينتمى الى اى عائلة مسرحية ذات حسب ونسب وانما يمكن اعتباره ابن غير شرعى لعائلة ما يسمى بالكباريه السياسى ـ ينتمى الى هذه العائلة ايضا مسرح تحية كاريوكا وفايز حلاوة فى مصر ـ وهذا النوع من المسرح لا يهدف إلا لهدف واحد هو تفريغ الشحنة التى تعتمل داخل صدر المتلقى بان يجعله يرى كل الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى صورة كاريكاتورية هزلية ساخرة تجعله يشعر إن الممثل قد تبنى اسباب ردود الافعال لديه فيخرج المتلقى من المسرح متوهما ان هناك من سيدافع عن قضيته فتفتر حماسته وهذا ما يعرف بالتطهير .

المشى على الصراط

رواية علميّة تأليف : د. يحيى الرخاوى

عرض وتحليل : أبو المعاطى أبو النجا

من الذى يمشى على الصراط ... البطل .. المؤلف أم القارئ؟

البطل .. هو شخص واحد أو عصابة من الملامح الخيّرة والشريرة

لم يعد له مكان بين أهله الأحياء والموتى

مقدمة :

من الذى يمشى على الصراط فى هذه الرواية؟ هل هم أبطالها ؟ «عبد السلام المشد» الذى يجعل منه المؤلف بطلا وحيدا فى الجزء الاول « الواقعة » ويجعل من أزمته (اعراضها واطوارها) الحدث المحورى فى هذا الجزء وكانه بذلك يختصر حديث الازمة (رغم ان الاعراض والاطوار قد تختلف من شخص لآخر) لدى بقية الابطال الذين لا يظهرون بكامل شخصياتهم إلا فى الجزء الثانى « مدرسة العراة » ليواجه معهم ومعه مرحلة العلاج بعد ان عشنا مع « عبد السلام المشد » وحده مرحلة الازمة بعمق اعراضها واطوارها ؟

ام هو المؤلف ، « الذى هو الطبيب فى الرواية » ، الذى يصطحب ابطاله فى رحلتهم الصعبة من واقع ازماتهم التى دفعتهم الى عيادته ليمشى معهم فوق الصراط الى فردوس (لا تجرى من تحته الانهار) ، يؤكد لهم انه :«هنا» ، و «الان » . وانه يفتش عنه معهم وبهم ، وانهم قد يكونون دليله لهذا الفردوس بقدر ما هو دليلهم له ؟ .

ام هو المؤلف ايضا ... لكن فى محاولته المستميتة بان يوائم بين العلم والفن فى رواية تقوم فى جوهرها على ماهو متاح من حقائق العلم ولكنه ينفخ من روحه فى هذه الحقائق حتى تتحرك وتنبض وكانها وقائع الحياة

ام هو القارىء الذى ربما قرا هذه الرواية بحسن نية كاملة ، وفى ظنه انها « رحلة فوق عش الوقواق » وانه سوف يتفرج باجر رمزى على عالم المجانين ودون ان يقع فى اذهانهم ، ودون ان يوصم بانه واحد منهم ، ودون ان يجتاز الاسلاك الشائكة التى تفصل بينه وبينهم ...!

ولكنه يفاجا بان الاسلاك الشائكة تطير فى الهواء حين تقع (الواقعة) وان البراكين تنفجر لكن فى داخله ، وانه والناس من حوله يعيشون طول الوقت فى عش الوقواق نفسه وان الاسلاك الشائكة الطائرة تعود وتتجمع لتصنع سورا اوسع من حولهم وان على الجميع (السجناء والسجانون) ان يحيلوا الاسلاك الى خطوط للهاتف والبرق ، ومناشر للملابس القذرة التى كانوا يرتدونها بعد ان تخلع وتغسل . يفعلون ذلك وهم عراة فى يوم مثل يوم القيامة .. لكن لماذا لا نبدا من البداية ؟

« الواقعة »

اسمه « عبد السلام المشد » ، وهو مثلى ومثلك يمكن ان ينسى بعض الاوراق اللازمة لعمله وهو فى طريقه للعمل ... او ينسى بعض ديونه ... او ينسى الذكريات الاليمة ... ولكنه فى ذلك اليوم حين وقف امام الشباك ليدفع اجر النور ، وسالته المحصلة عن اسمه لتبحث عن الايصال الذى يحمل الاسم وجد راسه خاليا تماما كصفحة بيضاء ... ولانه كان يقف فى مقدمة طابور طويل ... ولانها كانت تخاطب هذا الطابور ودون ان تنظر فى وجه من تتحدث إليه ... فلم يفعل شيئا سوى ان ينسحب من امامها فى صمت.

بهذه « الواقعة » المزلزلة التى لم يكد يشعر بها احد تبدا احداث هذه الرواية ... كلنا يحتمل بشكل او باخر عجزه عن السيطرة على احداث فى حياته .. وكلنا يحتمل بشكل او باخر عجزه عن السيطرة على جوانب نفسه ... لكن ان يصل هذا العجز بانسان إلى عجز عن تذكر اسمه .. فلابد ان القيامة قد قامت .. !

ولكن هل قامت القيامة عند كل الناس ام انه وحده « عبد السلام المشد » هو الذى بعث فى عالم جديد قديم لكن بلا اسم .. ؟

ربما كانت تلك هى بايجاز شديد قصة هذه الرواية فى جزئها الأول ..

إن الرواية التى بدات بنسيان « عبد السلام المشد » ... لم تنته بتذكره لهذا الاسم بعد لحظات قليلة .

« واقعة اخرى » تؤكد له انه لا يعجز فقط عن السيطرة على ذاكرته بل يعجز عن السيطرة على شعوره ...

هل هناك اثنان فى داخله ؟ من منهما عبد السلام المشد ؟ وماذا يكون اسم ذلك الشخص الآخر ؟ وهل يمكن ان يظل امره خافيا إلا عليه ؟

من الشخص الآخر ؟

بقدر ما يشعر عبد السلام المشد ان ذلك الشخص الآخر ليس غريبا عليه ... وانه هو نفسه عبد السلام ... إلا انه بدا يدرك بوضوح كم هو مختلف عنه ... بل ومتمرد على سلطانه .... فى نفس الوقت .. يكفى انه لا يعرف متى يجىء ومتى يذهب ، ولكنه يعرف مقدمه بذلك الشعور القوى الذى يتدفق فى حواسه ... وكان الدنيا تصبح فيلما ملونا ناطقا بعد ان كانت مجرد فيلم صامت اسود وابيض ، يعيده الى الوراء سنين طويلة ، يذكره بكل ما كان قد نسيه .

المصيبة ان الشخص الآخر لا يكتفى بتقليب دفاتر الماضى بل يكاد يعبث بالحاضر ويهز اركانه هزا ...

يفعل ذلك وفى يده ذلك السحر القوى الذى يتمثل فى عالم ملون وناطق وعابق بكل مشاعر الحياة والفرح ... يوجد بوجوده ، وفى يده الاخرى ذلك التهديد المفزع بانه إذا ذهب فلن يترك له إلا دنيا خامدة وراكدة وصامته يعجز فيها عن تذكر اسمه ...

الدهاء :

عند هذا الحد يكون المؤلف قد وضع ايدينا على ملمح من اهم ملامح هذه الشخصية « عبد السلام المشد » فى ازمته الراهنة ... فهذا الأمر

الذى يدعوه سره والذى يدعوه المؤلف ازمته ... يواصل النداء بصوت له سحره الخاص ، صوت كالذى نسمع عنه فى حكايات الجدات عن «النداهة» التى تنادى ضحاياها عند الفجر ، لتفتك بهم ، وتستعير « النداهة » صوت عزيز او حبيب لا يقاوم حتى تكتمل الخديعة ...

هذا الصوت يناديه لكى يحفظ السر ، عن زوجه ، عن الطبيب ، عن اصدقائه ، عن الدنيا كلها ، وكلما كبرت المصيبة حتى لينوء بحملها .. حتى ليجب ان يصرخ فى طلب النجدة كلما اكتشف الصوت حتى فى اقسى المصائب نوعا من الاغراء لا يقاوم ليبقى سرا ....

ليواصل عبد السلام المشد السير بعيدا عن كل الناس بحجة ان هذا هو الطريق الى الجنة .. لكن حتى إذا نجح فى ان يحفظ السر ، فى ان يغلق فمه إلا عن الهمس والنجوى .. فمن يضمن الشخص الآخر الذى يصر على ان يعلن عن وجوده بكل الطرق ..

وهنا نلمح وجها آخر للأزمة ... فالخضوع لطلبات الشخص الآخر بحجة الرغبة فى إخفاء أمره يمكن ان يصبح دون ان يدرى طريقا لفضح هذا الامر .

لكن الفضيحة المحتملة والمؤجلة اهون الف مرة من الفضيحة المؤكدة لو تطوع هو باعلان حقيقة الشخص الآخر الذى يسكن فى داخله .

الهروب فى طريق الآلام :

ايمكن ان يعقد معاهدة مع الشخص الآخر ... تكفل لكل واحد منهما نوعا من الوجود ... قدرا من السلطة وتحديد الاختصاصات .. ؟ أليس هذا ما تفعله الحكومات الائتلافية حين تواجه خطرا خارجيا .. ؟ او تمردا داخليا .. ؟

وتنجح الحكومة الائتلافية فى تأجيل الانهيار الذى كان واضحا ان « عبد السلام المشد » يسير نحوه فى خطى راسخة .

وتنجح اكثر فى الكشف عن طبيعة الازمة التى يمر بها « عبد السلام المشد » .

فهاهو الشخص الآخر الذى كشف بوجوده عن اعراض الازمة يكاد يكشف عن اعماقها وابعادها.

انه يدعوه لزيارة جاره الاستاذ غريب (الذى كان يراه مجرد اعزب مثقف ومتوحد ومسكين ومتعال بلا مناسبة . ويكاد يتجنبه كالوباء .) ليساله بحيرة حقيقية وصدق كامل

ـ لماذا نعيش يا استاذ غريب ؟

وحين يجد ان الجار يمضى وقته كله فى القراءة لا يزال يبحث عن إجابة لهذا السؤال ، ويرد عليه بحيرة مماثلة :

ـ لا ادرى يا استاذ عبد السلام .

يصرخ فيه : ولكنى احس انك تدرى يا غريب .

وينفجر غريب مدافعـــا :

ـ تجاورنى عشر سنين ، ثم تزورنى بلا استئذان لنتبادل حديثا كالاتهام ، فما الذى تريـــده ؟ .

ـ الى متى ستنتظر يا غريـــب ؟

ـ حياتى انتهت الى هذه الوقفة المتوازنة ... ابحث فى الكتب أملا فى ان اجد اجابة لمثل سؤالك ، اتعلم من تجربة الآخرين بدلا من ان احاول من جديد ...

ـ ليس المهم ما عرفوه ... بل كيف عرفـــوه ؟

وتفوق حيرة عبد السلام المشد من نفسه حيرة الاستاذ غريب منه ... انه لا يصدق انه هو الذى اجرى هذا الحوار مع غريب ... لعله الشخص الآخر الذى كان يسأل ... نعم بل لعله كان يوجه السؤال الى عبد السلام المشد .

تلك هى نهاية استسلامه لما يريده الشخص الآخر وسواء اكانت فى الواقع ام فى الوهم فان الشخص لن يرضى باقل من الاعلان عن وجوده أيمكن ان يكون شخصا واحدا هو الذى يطلب ذلك كله .. ؟ يسأل عن معنى الحياة عند جاره الاستاذ غريب ويعشق زوجة وزميلة ..! ويجرى وراء طفلة فى سن اولاده ، ويحاول تقبيل امها التى كانت تراه صديقا كريما يبذل العون لاسرة عاجزة .. ! وكان قد قاده قبل ايام قليلة من هذه الفضيحة إلى مسجد كان يمر به كل يوم ولا يكاد يراه لوجوده فى الطابق السفلى لاحد المنازل . وهناك صلى صلاة خاشعة عميقة شعر بانها تسمو بروحه الى السموات ؟ وكانه يوشك ام يتلقى إجابة على سؤاله للاستاذ غريب عن معنى الحياة ؟ .

اهو شخص واحد حقا ام انها عصابة من الملائكة والشياطين جميعا ؟ كيف تتجمع فى داخله مثل هذه العصابة ؟ والغريب ان ما يربط بينهما هو ان كل واحد منها سواء اكان ملاكا ام شيطانا يملك مفاتيح ذلك العالم الناطق الملون النابض بكل ما فى الوجود من حياة . وانها حين تهجره احيانا لا يبقى فى راسه سوى ذلك العقل الراكد المظلم ... الذى عجز يوما عن تذكر اسمه ... وتنطفى حتى نجوم السماء .. !



اهو وحده الذى يحدث له ذلك أم ان جميع هؤلاء الناس تسكنهم عصابات مماثلة ولكنهم يعقدون معها معاهدات احكم واسلم ....؟

وفى كل مرة يوشك فيها ان يقترب من احد ... صديقا او طبيبا ياتيه صوت « النداهة » ... بمنطق جديد ساحر طبعا هذا هو حال الجميع .! لكل واحد اكثر من حياة ..! الجميع يلعبون لعبة الاستخفاء ... الحياة الاجتماعية تمثيل فى تمثيل ..!

والمشاكل تتصاعد فى المنزل ، وفى العمل يصل الامر برئيسه الاستاذ نصحى عبد الصادق بان ينصحه فى لهجة بين التهديد وادعاء الحرص على مصلحته بان يعرض نفسه على طبيب ويزيد الامور تحديدا فيذكر له اسم طبيب ممتاز فى التحليل النفسى .

وحين يصل الامر الى اكتشاف ان ما كان يظنه سرا لم يعد سرا ، وان الامر قد يصل الى تهديد لقمة عيشه ، فانه يذهب صاغرا الى عيادة الطبيب الذى ذكره له رئيسه فى العمل .

ولأول مرة وهو فى الطريق الى عيادة الطبيب ، وهو فى انتظار موعده فى مقهى قريب ... يشعر بصفاء غريب فى عقله وكانه لم يعرف المرض قط ...

لأول مرة يتفق افراد الائتلاف الحاكم فى راسه يعملون معا فى تناسق عجيب كعقارب الساعة يؤكدون له ان المسالة كلها مجرد سوء تنسيق عارض فى توزيع السلطة ... ويقدمون الدليل على قدرتهم المذهلة على ان يعملوا معا بنجاح وهو فى حجرة الطبيب ، وهو متمدد على سرير الكشف ... عقل عاقل يرد على اسئلة الطبيب وعقل ساخر يعرف كيف يسخر فى صمت ... وعقل يناقش الجوانب الاقتصادية للمشكلة ، واخر يناقش الجوانب الاجتماعية ... ولكن عبد السلام المشد يلاحظ رغم ذلك النجاح الذى كان يظنه باهرا وكان الطبيب بدوره يملك عصابة اشد ذكاء من عصابته فقد قطع المناقشة قائلا :

ـ عندما تكون صادق الرغبة فى العلاج فانا فى انتظارك ومستعد للنظر بجد فى مشاكلك كلها ... حتى مشكلة اجر العلاج .

ولا يعود « عبد السلام المشد » مرة اخرى لعيادة الطبيب ، ولكن الاستاذ « نصحى عبد الصادق » لا يكف عن سؤاله عن احواله فى العلاج ... فيجتمع الائتلاف الحاكم ليتازر من جديد فى الانتقام من « نصحى عبد الصادق » نفسه ، ويكشف النقاب من خلال استدراج بوليسى عن ان نصحى افندى ليس سوى زبون قديم للمحلل النفسى ... ويمعن فى الانتقام بدفع عبد السلام المشد لقبول دعوة نصحى افندى لزيارته ليرى بعينه كيف تكون الحياة فى منزل عصرى للانسان السوى ؟ . ويلبى عبد السلام دعوة رئيسه ليرى صورة لحياة جميلة جمال الزهور الصناعية ، منظمة تنظيم الآلة ، خالية كما يبدو من المشكلات ولكنها وفى نفس الوقت خالية من النبض والحيوية .. الأب والأم والأولاد

كل يؤدى دورا فى مسرحية باهتة ، ويخرج من البيت وكانه كان فى زيارة لمقبرة عصرية ... وهنا يكشف المؤلف عن بعد جديد فى ازمة عبد السلام المشد ، انه يواصل الهرب من العلاج ولكنه يكشف من خلال ذلك عن تطلعه لمستوى ارقى من التكيف لا يعرف كيف يصل إليه ولكنه لا يرضى بما هو دونه تكيف ينجح فى الجمع بين الملائكة والشياطين فى عالم نابض وناطق وملىء بالحياة ... ولكنه لا يفعل سوى ما يباعد بينه وبين هذا العالم ، كانه يهرب مما يريده فى الوقت الذى كاد يتعرف عليه فيه .. مازق جديد ... وتناقض مروع يكاد يفتك به ، وهو يمضى معهما فى وحدته وحيرته واستسلامه لافراد العصابة التى تضم الملائكة والشياطين ، وتكشف عن وحدة مصدرهم ، بقدرتهم على إضاءة عالمه بالوان الطيف وموسيقى الوجود . ايمكن ان يكون صحيحا ان تنتمى الملائكة والشياطين لمصدر واحد ؟ وان يكون الوجود بلا ملائكة وشياطين يعملون معا وفى تناسق هو وجود راكد خامد لا يصلح الانسان فيه إلا لنسيان اسمه ؟

الزيـــارة

لم تكن هذه الزيارة من الشخص الاخر ، ولا من احد افراد عصابته ، كانت من ابن خالته «عبد ربه » الذى جاء من قريته فى اعماق الصعيد ليذكره بما يبدو انه نسيه بان له اما عجوزا يجب ان يسال عنها « لانها عضمة كبيرة والاعمار بيد اللـه .... »

ويذهب عبد السلام المشد كما تعود ان يذهب الى قريته منذ سنين ولكنها اول زيارة له بعد ان وقعت الواقعة ...

ان كل شىء يبدو على حاله ، انهم يسالونك عما يعرفون سلفا اجابتك عنه كانما ليطمئنوا اكثر الى ان شيئا لم يتغير ... لكل دور ، ولكل دور ميقات ، لا شىء وقد تغير ، هو وحده الذى قامت قيامته بعد ان ادركه الزلزال ، وانقسم الى اثنين ثم الى ما لا يدرى ...

القيامة هنا لا يمكن ان تقوم إلا مرة واحدة يموت فيها الناس جميعا ، ويبعثون معا . ماالذى يحمى هؤلاء الناس مما اصابه ؟ هل تحميهم كتلتهم وعنادهم وتسليمهم وقسوتهم وتسامحهم من الاسئلة والزلزلة ؟

هل اصابه ما اصابه لانه انفصل عن هذه الكتلة فانفردت به عصابة الملائكة والشياطين بقيادة الشخص الآخر ؟ .

وهل يجد سلامه وامنه فى العودة الى هذه الكتلة والفناء فيها ؟

هل جاء وحده حقا لزيارة امه ام تسلل معه الشخص الآخر ؟ كانه يرى كل شىء هذه المرة بعينيه ... فى المرات السابقة كان يؤدى دوره المرسوم بدون اسئلة كان يعرف طريقه وسط هذه الكتلة ... كيف يدخل فيها ويخرج منها ؟ محملا فى النهاية بزيارة من امه يفرح بها الاولاد ، فى هذه المرة يجد امه جالسة على السطح تنظر الى الشمس الغاربة تطارد طول الوقت حشرة صغيرة فى ثيابها ... ولا تتاكد من انه هو حتى يشرق وجهها بنور إلهى وتكف عن مطاردة الحشرة ... وتساله عن اولاده واحواله سؤالا عاتبا ... كان كل ما يهمها ان تطمئن هى عليه ... وها هى تطمئن بمجرد رؤيته ... وقبل ان تسمع اجابة على سؤالها

شىء واحد طلبته منه ... قبل ذهابها ... ان يذهب لزيارة ابيه !

دائما تذكر اباه كلما راته ... إنه جزء من هذا الاب الذى مات وتركها من سنين طويلة ثم بقيت هـى ..!

اى قوة تحفظ على هذه المراة حياتها ؟ هل تكمن هذه القوة لمجرد عنادها للبقاء على قيد الحياة بدون هدف مفهوم سوى صراع الموت لآخر لحظة .

ترى هل هذا هو الحل ... ان نبحث فى اشيائنا بمثل هذا الاهتمام الجاد بدلا من البحث فى عقولنا بلا جدوى !

ويمضى الى زيارة ابيه فى مقبرته ... ثم الى اهل قريته حيث يتجمعون امام احد الدكاكين ... ويتاكد له هذه المرة انه لم يجىء وحده ابدا . كان الشخـص الآخـر هناك فى داخلـه .. كـان هـو الذى دخـل فى حـوار الـيم مـع ابيه الذى مات من سنين .

وفى صفحات رائعة يكشف المؤلف عن جذور وابعاد الازمة الكيانية فى اعماق عبد السلام المشد الذى عاد ليسال اباه عن معنى حياته ومعنى موته بعد ان عرف الموت والحياة معا ..

عاد ليتاكد من ان طريق ابيه الى الله لم يعد طريقه وان مجرد الاذعان والتسليم لا يمنحان امنا ولا سلاما ولا فردوسا حقيقيا او وهميا ...

عاد ليتاكد من انه لم يعد له مكان بين اهل قريته الاحياء او الموتى ... عاد ليكتشف ان اهل قريته لا يرضيهم اقل من ان يصبح جزءا من كتلتهم متنازلا عن كل وجوده فى مقابل ان تمنحه امنها وسلامها بالغاء هذا الوجود ...

عاد ليكتشف انه حتى هذه الكتلة لها طريقتها الخاصة فى عقاب اولئك الذين يتمردون عليها.. إنها تنفيهم عنها ... دون ان تلقى بهم فى اعماق



المستشفيات النائية ... ودون ان تصمهم بالجنون او تلبسهم قميص الكتاف الابيض ... فهى تنفيهم نفيا هينا فى كون اللـه الرحيب .. تسميهم احباب الله .. يخرجون منها ويعودون إليها ، ابوابها وقبورها وقليل من طعامها مبذول لهم بلا حساب او عقاب ...

هل بقـى هنا مكان ؟

الحاضر يطرده الى الماضى . والماضى هذه المرة يطرده إلى المجهول فحين تتمزق الصلاة بين الماضى والحاضر يسقط المستقبل من تحت اقدام السائرين ولا يبقى سوى ظلام الياس ...

التمرد الأخـــير :

ماذا يعنى ذلك يا عبد السلام يا مشد ؟

لقد عرفت العجز عن التذكر ... ورايت فى داخلك شخصا اخر او عدة اشخاص ... تصالحتم حينا وتخاصمتم فى اغلب الاحيان ... ولعنت السماء وغصت فى الجحيم وانقسمت دنياك الى ليل تملكه الوحوش والافاعى ... ونهار اصبحت لا تكاد تملكه ... وحين رايت اجمل الاشياء فى الدنيا الصدق والحب ، رايتهما ممرغين فى الاوحال والعجز ، وحين سمعت موسيقى الحياة والوجود ورايت وجه الدنيا مثلما خلقها الله بالوانها وروائحها واصواتها لم يحدث ذلك إلا حين اسلمت امرك لعصبة من الملائكة والشياطين بقيادة من لا يريد اقل من السلطة الكاملة ؟ يفعل بها ما يصطدم بكل شىء وبكل احد

ايمكن ان تكون تلك هى البداية يا عبد السـلام ؟ بداية النهاية بداية استيلائه على السلطة الكاملة ؟ بداية عجزك الكامل ؟

كان من الممكن ان تخفى لبعض الوقت عن بعض الناس عجزك عن السيطرة على عقلك وشعورك اخفيت ذلك حتى عن زوجتك ... ولكن كيف تخفى عنها الان عجزك

كيف تفسر لها عجزك فى كل مرة ؟

كيف تعترف لها بان هذا العجز لا يحدث إلا حين تكون معها هى ؟ ...

وما معنى سكوتها حتى الآن عن هذا الامر ؟ والى متى يبقى هذا الصمت الذى يعذبك باكثر مما يعذبك عجزك . ولكنها لم تسكت طويلا يا عبد السلام ... ها هى تلمح بالمشكلة بل ها هى تصرح بالحـــل ...

نهاية المسيرة

بهذه الواقعة كان عبد السلام المشد يشعر بانه قد شارف النهاية ... لم يعد هناك مكان او شخص او فكرة يمكن ان يهرب اليها ...

عقله وجسده كلاهما لم يعد يعمل لحسابه فكيف تستقيم الحياة بهذا القدر من التمزق ... ؟ بهذا القدر من تنازع السلطة والولاء ؟ من انعدام الهدف واختفاء الطريق ؟

وفى توافق ملهم يمزج الكاتب بين الفوضى الضاربة فى نفس عبد السلام المشد ، وبين القلق العارم الذى كان يموج به الشارع المصرى

قبيل ٦ اكتوبر حيث يبدو الشارع المصرى وكانه صورة مكبرة لما يحدث فى نفس عبد السلام المشد ... ويتلاقى الحدثان فى لقطات سريعة مكثفة بين عبد السلام وبين مجموعات الشباب الثائر فى ميدان التحرير ..

ويبدو عبد السلام وكانه امام لحظة استبصار هائلة وان نفسه توشك ان تنفجر او تلتئم ... فها هى القيامة تقوم هذه المرة فى بلده كله ... وها هو يرى ان الازمة ليست ازمته وحده ... ولكن هل يستطيع وحده فى عمق ازمته ان يدرك الحبل السرى بين الفوضى الضاربة فى اعماقه ، والفوضى الكائنة حوله ... وإذا كان مجتمعه قد امكنه أن ينظم هذه الفوضى فى حدث كبير يوم ٦ اكتوبر فهل ينجح عبد السلام المشد ان يسيطر على فوضاه وينظمها فى سلوك يصل به الى التكيف الارقى الذى يتطلع إليه ولا يعرف طريقـــه ؟

ويذهب الى الطبيب النفسى الذى نصحه طبيب الامراض التناسلية بان يذهب إليه .

ولأول مرة يعترف له بكل شىء حدث له أو منه وكان يعتقد انه بذلك قد أدى مهمته وما على الطبيب إلا أن يعالجه من كل شىء ... وبطريقة تشبه السحر ..

ولكن الطبيب الذى بدا له لأول وهلة وكانه احد المرضى ... افهمه فى هدوء انه لا يملك سحرا ولا شيئا يشبهه ... وانه يقف معه على نفس البركان وانهما سوف يبحثان معا عن الحل وانه الطبيب ينتظر منه المساعدة . وتقع حرب ٦ اكتوبر ويصبح لعدة أيام جزءا من كل اكبر منه ثم تحدث الثغرة ... فيسقط عبد السلام المشد مع الجزء الذى سقط ...

يسقط هذه المرة فوق ارض لا يجد لنفسه فيها مكانا ولا انسانا يمكن ان يواصل هربه فيه أو إليه ...

لابد أن يهرب هذه المرة الى مكان بعيد ... بعيد جدا او سحيق جدا .. ودائما يتفق المختلفون فى داخل عبد السلام المشد حين يتصل الأمر بقرار الهروب ..

ولأول مرة ينجح عبد السلام فى اصدار قراره وتنفيذه فى نفس الوقت فيلقى بنفسه فى احضان مياه النيل التى تهب الحياة لكل الناس فى الوادى لتنتزع منه وحده الحياة .

ولحسن حظه أو لسوءه وجد هناك إنسانا سعى الى انقاذه بدون أن يستأذنه فى ذلك ...

فعاد إلى الحياة بعد أن رأى المشهد من هناك من عند حدودها القصوى ، فكيف عاد ؟

وكيف بدأ مسيرته فى مدرسة العراة ليولد من جديد مع اخوة له كادوا يشرفون على الغرق فى مياه اخرى ؟ ضحلة أو عميقة .

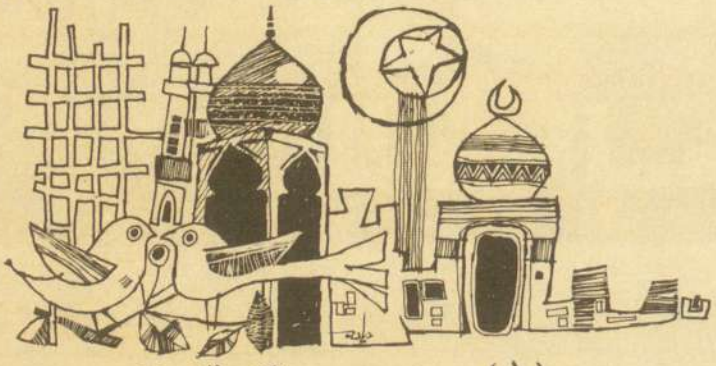
ذلك ما نتحدث عنه فى الجزء الثانى من رواية « المشى على الصراط » بعنـوان « مدرسة العـــراة » .

أبو المعاطى ابو النجـا

عذابات الفقر والمنفى

الى عبد الوهاب البياتي

للشـــاعـــرة : بشـــرى ناصـــر



(١)

ان اللغة سر بيننا ،
فلا تراوغ !
انت الآسر ..
وانت الأسير .
وانت المهاجر ..
في أهرام الكلمات ..
في الكلمة الهرمة
وفي شدو الدفاتر
فاين تمضي ..؟
ان الحرف يسكنك ..
والحرف قضبان ..
الحرف ريحان ..
والحرف عصا موسى وخاتم سليمان ..
تشق به البحر .
وتشيد المدائن ..
وتضيع بين الحرف والحلم
.. وانت ..

(٢)

بغداد مدينة العشق وانت بابها ..
بغداد يتيمة عام ٤٥
تستجدي رغيف
من الجندي المرابط عند الجسر ..
وانت تكتب الحزن ..
وتكتب الشعر ..
وتضيع بين لوركا وابن عربي .

(٣)

وفي عيون اليتامى ..
في التاريخ والخرافة ..
في شعوذة التعاويذ ..
وعري السبايا ..
تبصر الرؤية ..
تبصر المستقبل ..
فيصير للقصيدة طعم النار والشهادة

(٤)

وفي السجون ..
وعلى بوابات المدن الشمالية .
نشاهد بغداد نبوءة ..
تشاهد قمرا اخضر ..
نشاهد نهرا ثائر الخطى
او صديقا اودعته مرارة المنفى .

(٥)

وفي مقاهي الليل الباردة ..
تبكي في معطفك ..
حنينا الى حبيبة ..
كدت تنسى عينيها ..

(٦)

هل تعرف الراحة ابدا ؟

محمود الربيعي

نحو منهج في نقد الأدب العربي

من المؤسف أن النقد العربي الحديث لم يفلح بعد في أن يحدد لنفسه شخصية تميزه عن كل من نقد التراث ، والمدارس النقدية الاوربية . ويعج حاضر النقد العربي بمجموعة هائلة من الافكار المختلطة ، المتضاربة المتعارضة ، ويبلغ هذا حدا يصح معه أن نقول انه ليس لدينا ثراء أو ازدهار نقدي ، وانما لدينا ـ فوضى نقدية ـ ومادمنا لم نتفق بعد على المؤهلات الضرورية للناقد الادبي ، ومادامت المكونات الثقافية للنقاد العرب المحدثين مختلفة الى حد تتباين معه «الرؤية» فليس لنا أن نتوقع نهضة نقدية حقيقية . لقد كانت لدينا صحوة نقدية في الستينات ، ولكن تبين الآن انها كانت تعتمد على الكم اكثر مما تعتمد على الكيف

ولهذا كله لم تفلح تلك الصحوة في حفر طريق ترتاده الأجيال القادمة . إن كثيرا مما يكتب تحت اسم «النقد الادبي» الآن يبدو وكأنه يدور حول نفسه وكثيرا من الاسئلة التي تطرح ـ في الكتابات النقدية ، وفي مناقشات المتخصصين تتسم بقدر كبير من الغرابة ، فنحن مثلا لا نزال نسأل :هل الاجدى أن نهتم بالنظرية النقدية أم تحليل النصوص ؟ ولا يمكن أن نعدم ـ بالطبع ـ أن يخرج من جلد السؤال السابق حل « توفيقي » متعقل ينصحنا بأن نجمع بين النظر والتطبيق ونحن نسأل كذلك : أينبغي أن نسعى الى تعميق الافكار النقدية الاوربية في حاضرنا النقدي العربي فنعيد حديث المدارس ، والاتجاهات ، والمواقف التي بنيت عليها النهضة النقدية الاوربية ، ونحاول أن نجد لأدبنا العربي مكانا في هذه « الدراما » الحضارية الحية ، أو نصل هذا الادب بتراثنا القديم ونقوم بحركة احياء تناظر حركة الاحياء الغربية ـ ولكنها لا تقلدها وتستفيد من روحها ، ولكنها لا تستخدم ثمراتها المباشرة ؟ ومرة اخرى قد ينبعث الصوت التوفيقي المتعقل : وماالذي يمنع من الاستفادة من كلا التراثين القومي والانساني ؟ فنعمل على احياء التقاليد النقدية لأدبنا ، ونصل حاضرنا النقدي بها ، ونعمل ـ في ذات الوقت ـ على فهم ما يحكم آداب العالم ، فنستفيد الى حد ممكن من المدارس الأدبية ، والاتجاهات النقدية ، والمواقف الفلسفية التي يموج بها العالم من حولنا ؟ .

الموضوع من جديد

وعلى الرغم من كثرة الاسئلة ، وتنوع الاجابات يبقى النقد العربي المعاصر متخما وعاجزا عن الحركة ، وتبقى الحاجة ماسة وملحة الى فحص الموضوع من جديد وتتمثل المشكلة الواضحة ـ التي هي أم المشاكل ـ في عجز القارىء أمام النص وهو عجز ذو ابعاد متعددة .

ومن اهم هذه الابعاد أن معظم الطلاب الذين يعدون للتخصص في اللغة العربية يستطيعون أن يتحدثوا عن المدارس الادبية من كلاسيكية ، ورومانتيكية وواقعية ، ورمزية ، بل ووجودية وعبثية ، حديثا يوهم أنهم على شيء من «المعرفة» حتى إذا جاءوا الى قراءة النصوص الاصلية التي قامت عليها هذه المدارس في آدابها لم يستطيعوا أن يتقدموا فيها خطوة واحدة و ذلك لعدم معرفتهم بأي قدر يعتد به من لغة اجنبية ، والانكى من هذا أن هؤلاء الطلاب انفسهم يستطيعون أن يحدثوك عن أمرىء القيس ، وطرفة ، والنابغة ، حياتهم ، ومغامراتهم ، وشعرهم ، ويحدثونك عن الادب الجاهلي ، والاسلامي ، والأموي ، والعباسي ، والحديث وعن قضايا نقدية خطيرة مثل تقاليد القصيدة العربية ، وموسيقاها ، فاذا واجهتهم بنص يسير جدا من التراث العربي لم يستطيعوا أن يقرءوه قراءة صحيحة فضلا عن أن يحللوه تحليلا نقديا .

وهذا العجز يزحف الى الابحاث المتخصصة في شرح الادب وتقديره ـ أي في النقد الادبي ـ فكثير مما يسمى «قراءة النصوص» أو «شرح النصوص» أو «تحليل النصوص» لايعدو أن يكون نثرا للشعر ، أو تلخيصا لاحداث الروايات ، والمسرحيات والقصص . وهو نوع من التناول يرى في النص الادبي أقل بكثير مما ينبغي رؤيته . أو رؤية أمور فيه أقل بكثير مما ينبغي ، كأن نرى الشعر الجاهلي مثلا على أنه تصوير للبيئة الجاهلية ـ التي تخبر دائما بانها صحراء ، ورعي ، وكر ، وفر ، وتهلج ، وتفاخر ، ومدائح ... الخ

أو نرى الوقوف على الاطلال ـ وهو ظاهرة فنية ـ على أنه مجرد حديث عن ذكريات قريبة أو بعيدة ، بدأها شاعر أو آخر من الرواد ، ثم سار عليها بقية الشعراء في خط مستقيم . ورؤية شعر الاطلال على هذا النحو يوقعنا في حيرة فعلية ، ذلك لأننا لا نتحفظ عادة في خلع صفات الجودة ، والابداع ، بل والعبقرية على شعراء اجتمعوا على وصف

الصحوة النقدية فى الستينات اعتمدت على الكم أكثر مما اعتمدت على الكيف على الرغم من كثرة الأسئلة وتنوع الإجابات يبقى النقد العربى المعاصر عاجزاً عن الحركة النار التى نراها فى لوحة فنية جيدة تختلف عن النار الحقيقية فى أنها بارد وسلام قياس الحادثة القصصية على مثيلتها فى الواقع المادى مشكلة تسبب إرباكاً فى النقد العربى

الاطلال ، كالنابغة ، وامرىء القيس ، وطرفة ، ونستريح – فى الوقت ذاته – الى القول بان الشعراء يتبع خلفهم سلفهم فى وصف الاطلال . وعلينا إذا كنا منصفين ، ان نركز على السؤال التالى :

إذا كان كل واحد من هؤلاء شاعرا عظيماً فما الذى يميز «عظمة» وصف الاطلال عند هذا الشاعر عن «عظمة» وصفها عند ذلك ؟ .

الفروق الدقيقة

ويقتضى الكشف عن الفروق الدقيقة التى تميز وصف طرفة للاطلال ، مثلا عن وصف النابغة لها . وهذا الكشف يحتاج الى تحليل فنى للشعر يتجاوز الوقوف عند ما يمكن أن يرى من فروق سطحية – مثل المكونات الحسية للاطلال عند كل شاعر ، وترتيب وضع الاطلال فى القصيدة ، وما يتبع هذا الوصف من اغراض اخرى . وما إلى ذلك – إلى فحص دقيق لطبيعة الصور التى يشكلها كل شاعر فى وصف الموضوع نتيجة لرؤيته الخاصة له ، ومن ثم توجيه هذه الرؤية لخدمة رؤى اخرى فى القصيدة حتى تنتهى الى تصور مقنع للاسباب التى جعلت من وصف الاطلال موضوعا ملحا ، يراه شاعر عظيم متاخر على أنه أمر جدير بالعناية ، وواجب المعالجة .

ويدخل فى هذا الباب اننا نعالج شعر ابى النواس – مثلا – على أنه صورة لحياته المضطربة «المنحلة» ، وننظر إليه على أنه وصف قريب للخمر ، وحانات الشراب ، والحياة التى لا ترعى أى قدر من الالتزام الخلقى . ونحن بهذا نهمل كثيرا من الجوانب : نهمل مسألة لم تعد محل خلاف كبير فى النقد الادبى الحديث ، وهى أنه من الخطر الاستدلال بالشعر على سيرة صاحبه الذاتية لأن فى ذلك استهانة «بفنية» الشعر ، وجعله تعبيرا مباشرا عن واقع شخص مباشر . وحتى لو استخدمنا هذا المنطق فاننا نهمل مسألة تغيب عن الاذهان هى أنه لو كان ابو النواس قد استنفذ حياته اليومية عبداً للكاس والحانة ، والجرى وراء الشهوات الشاذة ، لما وجد فرصة للتامل ، وتثقيف النفس ، للذين هما قوام كل شعر جيد ، وشعر ابى النواس – فى نظر الجميع – جيد .

والخلاصة أن شعر ابى نواس محتاج



الى معايير فنية ، تستخرج منه بالتغلغل فيه ثم يقاس هو بها . وذلك لنعرف على وجه الدقة مدى التزام هذا الشعر (أى وفائه لتقاليد الفن) اكثر مما هو محتاج الى جعله وسيلة للوصول الى أن صاحبه كان ماجنا ، أو ظريفا .

ويمكن أن يقاس على ذلك العجز فى مواجهة نصوص شعر المدح ، وشعر السياسة فلا تزال المناهج المستخدمة فى درسهما ترى فى النصوص أقل بكثير مما ينبغى أن يرى ، فدارسو شعر المديح يقعون منذ البداية فى أسر فكرة ساذجة فى فهم الشعر ، تربط بين شعر المديح وبين التسول والتخلى عن الكرامة والتكسب بالفن ، وما إلى ذلك من النعوت العنيفة التى تسللت الى قاموس النقد الادبى – وهى ليست نقدية ولا أدبية – وأخذت ظلما مكان مصطلحات اخرى نقدية كان لابد أن تجدد وتستخدم وهى تلك المصطلحات المستقاة من العكوف على هذا الفن نفسه .

لكننا يجب ان نتنبه الى أن المدح معنى من المعانى ، وهذا المعنى إذا وضع فى اسلوب شعرى اصبح شيئا مختلفا عما كان عليه قبل أن يوضع فى هذا الاسلوب . والنار التى نراها فى لوحة فنية جيدة تختلف عن النار الحقيقية فى انها «برد وسلام» على النفوس التى تتلقى عطاء الفن بعد أن شكل مادته الاصلية تشكيلا جديدا ، وتعانى عن المعانى المختلفة باحاسيسنا المنطقية المعتادة التى تربط بين النار والاحراق .

وبالمثل فان دارسى الشعر السياسى لم ينجحوا فى الافلات من أسر « السياسة»، وهم يقفون عند الكشف عن كون هذا

الوقوع فى أسر الواقع يُسلِم إلى أوهام كثيرة فيما يتصل بفقه العمل الأدبى
الحادثة الواقعية شىء . والحادثة الأدبية شىء آخر .. وإن تشابهتا فى الظاهر

الشعر انحيازا لهذه الفئة او تلك ، وتحريضا على هذا التصرف او ذاك ، اى انهم يستشهدون به على الواقع المادى ، ولا يعنون بالكشف عن «الرؤية الشعرية» الكائنة فى الشعر الذى يتخذ السياسة موضوعا له .

فروق جوهرية

وقد لا يختلف على أن القصيدة التى تتناول موضوعا سياسيا تختلف عن التقرير السياسى الذى يتناول ذات الموضوع ، ولكن « وضع اليد » على الفروق الجوهرية التى تجعل من هذه القصيدة ، ومن هذا تقريرا سياسيا تبقى لدى كثير من دارسى الادب محصورة فى صفات لا تقنع ، ولا تضىء الطريق امام الاجيال المقبلة ، كالقول بان القصيدة تمتاز بانها كلام موسيقى تصويرى خيالى ، مبنى فى نسق خاص ، الخ . دون ان نكشف فى الدراسة عن « لب الموضوع » وهو أن الشعر شعر والسياسة سياسة اى دون أن نفصل منهج دراسة الشعر عن كل منهج سواه ، وأن ندرس الادب من حيث هو رؤية خاصة للواقع ، بأسلوب متميز ، محتاج الى الالحاح على عناصره والكشف عنها مرة بعد مرة ، حتى نصل الى مجموعة التقاليد التى تحكم التعبير الادبى ، وتميزه عما عداه من ضروب التعبير الاخرى .



وينسحب هذا نفسه على « الاجناس النثرية الموضوعية » كالقصة القصيرة والمسرحية والرواية التى ينبغى أن تشغل النقاد لا باعتبارها قصصا تحكى أو شخصيات تتحرك ، و انما باعتبارها قوالب ادبية ، ذات فلسفة خاصة فى تركيبها ، وذات تقاليد حية تخضع لها وذات اهداف تصويرية ، ومعنوية وروحية ، ترمى الى الوصول اليها بهذا التركيب .

إن الحادثة ـ او مجموعة الحوادث ـ لاتمثل من القصة القصيرة ، أو المسرحية او الرواية إلا ما قد يمثله الهيكل العظمى من الجسد الانسانى ، ويبقى ما اشرت اليه من عناصر اخرى يمثل الدم واللحم والاعصاب والعروق والخلايا ، بل والروح فالذين ينفقون الوقت فى ملء صفحات تتحدث عن الاحداث فى هذه الانواع الادبية ـ وهم يسمونها « المضامين » ويالها من كلمة غامضة ـ انما يفعلون شيئا يتجاوز فى اثره الضار مجرد تضييع الوقت انهم بذلك يصرفون نظر القراء عن اللب ويوجهونه الى القشرة الخارجية .

وثمة صفة معوقة اخرى فيما يتصل بنقد هذه الانواع الادبية المستحدثة لدينا ، وهى قياس الحادثة فى هذه الانواع على مثيلتها فى الواقع المادى ، وقياس الفن على الواقع المادى مشكلة عامة ، وهى تمتد ايضا الى الشعر وتسبب «ارباكا» فى النقد الأدبى كله ، وما ذكرته من أمر قراءة الشعر السياسى ليس ببعيد ، وكم من الاحداث التاريخية رؤيت من خلال الشعر الذى يتناولها ، وكم من تفاصيل وقائع سيف الدولة مع الروم استخلص من شعر المتنبى . غير أن هذه الصفة ترى أوضح ما تكون فى نقد الانواع الادبية الموضوعية ، وذلك لأن كثيرا من النقاد يقع منذ البداية فى وهم هو أن هذه الانواع تصور الواقع الاجتماعى بصفة اساسية ونتيجة لهذا الوسم يبقى الواقع الماثل ـ الذى يحيط به علمهم هم وحسهم هم بالطبع ـ ماثلا فى اذهانهم ولا يستطيعون الافلات من اسره

والوقوع فى اسر «الواقع» يسلم الى اوهام كثيرة فيما يتصل بفقه العمل الادبى وذلك لأن الواقع نسبى وجزئى ، وخاضع للتغير المستمر ، على حين أن العمل الادبى تجربة خاصة مع الواقع ، ورؤية خاصة لها ، تاخذ صفة الشمول والثبات وهو تشكيل لغوى يخضع لمنطق خاص به فى التوازن . ومعنى هذا أن الحادثة الواقعية لا تمثل منه إلا الخامة الأولى ، وهذه الخامة تتحول عن طريق التركيب تحولات اساسية ، تفقد فيها ـ بالقطع ـ صفاتها الاصلية ـ أو كثيرا منها ـ وذلك لكى «تتاقلم» مع السياق الجديد الذى توضع فيه مع بقية عناصر الكيان الادبى . ونتيجة ذلك كله أن الحادثة الواقعية شىء ، والحادثة الادبية التى تصورها شىء آخر ، وان أشبهتها فى الظاهر فهذه الاخيرة لا تاخذ معناها إلا من حيث هى جزء عامل من كل هو العمل الادبى . ومن هنا تتجلى خرافة المقياس الادبى الذى يلجأ إليه كثيرا فى النقد باسم «الواقعية» وذلك حين تدق الاجراس تحية لاعمال معينة لمجرد أن احداثها لاتجافى الواقع ، أو لأن شخصياتها تقوى لدينا الاحساس بالواقع .

وإذا كان عجزا أمام النص أن نرى فيه أقل ما ينبغى فان عجزا أمامه كذلك أن نرى فيه أكثر مما ينبغى . وإذا كان الوقوع فى اسر السياسة أو حياة المبدع الشخصية ، أو الواقع المادى ، يسلم الى فهم النص على نحو فج ، فان الوقوع فى اسر الثقافة الخاصة ، أو مناهج

كل قراءة جيدة للنص الأدبي إنما تعتمد بطبيعة الحال على ثقافة القارئ
حين تعقدت مناهج علم النفس سارعت الدراسات الأدبية لتتسلح بمصطلحاتها البراقة

العلوم الاخرى ، ينتهى بنا الى نفس النتيجة الضارة ، وهى عدم اضاءة النص اضاءة حقيقية بتقديمه الى الناس فى حجمه الطبيعى .

ثقافة القارىء

واود أن اسلم ابتداء بان كل قراءة جيدة للنص الادبى انما تعتمد ـ بطبيعة الحال ـ على ثقافة القارىء ، إذ لا يمكن لقارىء غير مثقف ان يقرا قراءة جيدة كما لا يمكن للقارىء المثقف أن يتجاهل نوع ثقافته ، ولكننى اريد أن أؤكد ـ فى الوقت ذاته ـ ان ثمة فرقا جوهريا بين الوفاء للنص ، وسبر اغواره واضاءته من داخله ، ارتكازا الى ثقافة واسعة عميقة عامة او نوعية ، وبين خلع هذه الثقافة على النص أو ـ ما هو أسوأ من ذلك ـ قسر النص على الاستجابة للون أو آخر من الوان الثقافة فنحن فى الحالة الاولى نواجه موقفا طبيعيا هو استخدام الخبرة الخاصة فى تحليل مادة جديدة وتفسيرها ، ولكننا فى الحالة الثانية نواجه امرا غير طبيعى على الاطلاق ، وهو سوء استخدام المعرفة ، او استعراضها ، أو الاصرار على رؤية امور لاوجود لها إلا فى ذهن صاحبها أولي اعناق الامور لتوافق ما نريد التوصل إليه ،

ولا يخامرنى شك فى أن الهروب من النص برؤية اشياء لا وجود لها فيه انما هو تعبير عن العجز امام هذا النص ، وعدم القدرة على تلقى معطياته الحقيقية . ولنأخذ من عناصر ما سميته الوقوع فى اسر الثقافة الخاصة عنصر الولوع بتفسير الادب تفسيرا رمزيا أو اسطوريا وصحيح أن الأدب رمز ، أى أن الاديب لا يوصل بأدبه رسالة على نحو محدد مباشر ، وإلا لفقد ادبه صفة الادب ذاته ، ولكننا حين نفحص طبيعة هذا الرمز لابد أن نعتصم باقصى قدر من التعلق بالنص ذاته ولا نفرض عليه



رموزا من خارجه .

وصحيح ايضا أن النص الادبى قد يتضمن عناصر اسطورية ، ولكن مفاهيم هذه العناصر ينبغى أن تحدد من خلال الوان السياق التى تقع فيها فى النص ذاته ، لا من خلال ما يخلعه القارىء من معان نشات فى ذهنه نتيجة لقراءته عن الاساطير فى آداب وثقافات أخرى .

ان الاشارات التى تواجه تفسير الرموز الادبية ينبغى أن تكون فى النص ذاته ، ووظيفه العنصر الاسطورى المستخدم فى الأدب ينبغى أن تحدده طبيعة تركيب هذا العمل ذاته . ومالم يوفر العمل الادبى ـ من واقع بنائه النص ـ المفاتيح التى تساعدنا على توجيه معنى الرمز ـ الاسطورة ـ وجهة بعينها ، فان الحديث عن معنى اى رمز أو اسطورة فيه يبقى ضربا من الفرض الذى لم تمتحن صحته ذلك لان كل عمل جيد انما كان كذلك لانه يحمل فى طبيعه تركيبه الاسلحة التى تساعد على فهمه فهما كاملا ، والوقوف على ادق الاسس التى تحكم مبناه ومعناه ، واى لبس فى هذا انما ياتى من عدم القدرة على الافلات من اسر ثقافتنا الخاصة ، فندخل على النص وهى حية فى اذهاننا ، مسيطرة علينا ، وتكون النتيجة اننا نرى فى النص أكثر مما ينبغى من واقع تلك الافكار التى دخلنا بها عليه ، والتى نجعل همنا فى البحث عنها ، ومحاولة تطبيقها ، متجاهلين فى احيان كثيرة منطق النص ذاته .

اما مسالة رؤية امور فى النص ليست فيه نتيجة لاستخدام مناهج بعض العلوم الاخرى فتعود ـ فى الاغلب الاعم ـ الى استخدام منهج فرويد فى التحليل النفسى. وفكرة يونج عن «العقل الجمعى» ، ومحاولة تفسير الأدب فى ضوئهما . ولمحاولة تطبيق علم النفس فى فهم الادب العربى قصة طويلة نسبية ـ وليس هنا مجال استيفاء الكلام عنها ـ نشات من الاعتقاد فى صحة الارتباط الوثيق بين العمل الادبى وشخصيه مبدعه وقد سبقت الاشارة الى الولوع بخلع حياة الشاعر على شعره ، وخلع شعره على احداث حياته ، وخطر هذا الولوع .

وحين تعقدت مناهج علم النفس ، ودوت فى الافق مصطلحات «الدوافع» والانفعالات» ، و «العقد» و «الوعى» ، و «اللاوعى» سارعت الدراسات الادبية لتتخذ من هذه المصطلحات البراقة اسلحة تلحقها بالعصر . والحق أن بدايات الكتابة فى هذا المجال حققت اضاءات مفيدة فى فهم الادب ، ولكن المسالة تحولت فيما بعد بالدراسة الأدبية الى ما يشبه المتاهات ففى بعض الاحوال يغادر المولوعون بهذا النهج عالم «ادبية الادب» جملة ويتخذون النص وسيلة لشرح مقولات نفسية ويحتل «الجنس» كما تحتل العقد الراقدة فى اللاوعى الفردى أو الجمعى ، الصدارة فى تقسيم النصوص ، ويهمل الادب بصفته تركيبا فنيا .

تلك هى بعض المشكلات التى تقف فى طريق ازدهار نقد الادب العربى ولا يمكن أن يزدهر هذا النقد مالم يتخذ لنفسه نهجاً مفيدا ومحددا فى تناول الادب ولا أقصد بالنهج المحدد حصر كل النقاد ـ أو طرق التناول ـ فى اطار

● علينا أن نواجه النصوص ونطيل صحبتها ونستخدم منهجا ملائما في الحكم عليها

حديدى ، فانا على وعى بأن مثل هذا الاطار سيكون من اعداء النقد ، ولكننى اقصد ضرورة أن يكون العمل فى هذا المجال مشروطا بمؤهلات معترف بقيمتها وان تتبع فيه طرائق يتفق على قيمتها فى فهم الادب باعتباره ادبا .

اتاحة الفرص للدارسين

وأول ما يلزم – عندى – فى هذا الطريق أن تكون نصوص الادب جميعا – قديمة وحديثة – متاحة للدارسين ، من اوسع الابواب ، وايسر السبل . ويقتضى هذا عكوف الدارسين – بتوجيه من المؤسسات العلمية وبامكانياتها على كشف مالم ير النور بعد من التراث الادبى القديم واعادة النظر فى المعروف منه ، بتحقيقه تحقيقا علميا قائما على أسس منهجية سليمة واعادة نشر ما حقق منه ولكنه لم يعد متاحا للناس . ويبدو أن المسألة فيما يتصل بالادب الحديث – ليست اقل الحاحا ، فالحدود الثقافية لا تزال قائمة بين ارجاء الوطن العربى ، وما يعرفه الدارسون فى كل اقليم منه عما يدور – ادبيا – فى الاقاليم الاخرى قليل جدا فالشكوى قائمة فى كل مكان من عدم تيسير الكتاب ، ومن أن قدرا كبيرا من الانتاج الادبى يحال بينه وبين رؤية النور وان اعمالا أدبية مكتوبة ولا تجد طريقها الى القارىء ، ومن البدهى أن قيمة هذه الاعمال لا يمكن أن تتحدد قبل ان ترى النور . وبدون ذلك تبقى صفة الادب العربى الحديث – كما يبقى الحكم عليه – ضربا من الظن . وليس معنى هذا أن نتوقف عن دراسة الادب حتى يصبح كله معروفا ومتاحا وانما معناه أن نكون على وعى – ونحن نعمل – بأن صورة الادب العربى ، ومن ثم تحقق منهج ملائم فى نقده ، لا يمكن أن تصبح حقيقة كاملة قبل بلوغ هذا الهدف .

والخطوة الثانية التى تمهد الطريق لتحقيق هذا المنهج أن نواجه النصوص مواجة مباشرة ، وأن يكون استخدامنا للنظرية فى حيطة شديدة ، وفى حدود ضيقة ، ولا أدعو بهذا أبدا الى اهمال الآراء النظرية القيمة للنقاد العرب القدامى ، وانما ادعو دعوة صريحة الى عدم النظر الى نصوص الادب العربى القديم باعين هؤلاء لنتفادى الوقوع فى اسر الامور التى اشرت اليها من قبل كالواقع المادى ، والثقافة الخاصة ، والسيرة الشخصية للمبدع ، ومناهج العلوم الأخرى .

ان النظر الى التراث الادبى القديم باعين النقاد العرب القدامى يجعل منه كيانا ثابتا غير قابل لمزيد من العطاء ، على حين أن مواجهة النصوص واطالة صحبتها ، واستخدام منهج ملائم فى وصفها ، وتفسيرها والحكم عليها ، تجعل منها ابنية فنية متجددة . وانا ادعو الى أن تكون بداية الطريق الاستماع الى صوت امرىء القيس لا الى صوت ابن سلام فيه ، والى صوت لبيد والاعشى وطرفة لا الى صوت ابن قتيبة فيهم ، والى صوت ابى تمام والبحترى لا الى صوت الامدى فيهما ، والى صوت المتنبى لا الى صوت انصاره وخصومه فيه . وقد يتفق نتيجة للاستماع الخاص لاصوات الشعراء هذا – مع بعض آراء النقاد القدامى فيهم ، ولا بأس فى ذلك ولا حرج ، ولكننى لا اعتقد أن ارائنا فى النهاية يمكن ان تتطابق مع آرائهم وإلا لكانت قراءتنا للتراث قراءة غير حسنة .

وكذلك ينبغى أن نسلم انفسنا – فيما يتصل بالادب الحديث – الى نصوص هذا الادب ذاتها ، لا الى ما قاله النقاد عنها أو النظر اليها من خلال نظريات النقد الاجنبى التى نشأت ونمت فى ظل بيئات اخرى ، وكانت حصيلة النظر فى نصوص أخرى . ان مصطلحات الكلاسيكية والرومانتيكية ، والواقعية ، والرمزية ، والتعبيرية – واخيرا وليس آخر كما يقولون – والبنيوية ، مصطلحات تخطف البصر ، ولكن الاسراف فى استخدامها الى الحد الذى يخضع النصوص العربية لها يحول بيننا وبين رؤية هذه النصوص على حقيقتها ، وآراء تين ، وبرونتيير ، وسانت بيف ، وسارتر ، وارنولد ، وباوند واليوت – التى صيغت من النظر فى آدابهم ، واثرت على العالم كله من بعدهم آراء تخطف البصر ، ولكن محاولة فهم الادب العربى فى ضوء هذه الآراء أمر خطر غاية الخطورة .

علينا – اذن – ان نواجه النصوص ، ونحاول وصفها ، وتشخيص سماتها ، ونتبين توازن بنيتهما ، مستخدمين فى ذلك اقصى قدر من الطاقة والامانة واعمق قدر من النشاط الذهنى ، والرهافة الشعورية ، واوسع مدى من الثقافة الانسانية ، التى لا تفرض نفسها على النص ، وانما تكون فى خدمته .

وإذا تعددت هذه المواجهة وتنوعت ، عملا ادبيا بعد عمل ادبى ، وأديبا مبدعا بعد أديب مبدع ، وجيلا ادبيا بعد جيل ادبى ، وإذا بشرنا بنوع من القراءة الفاحصة ونجحنا فى تحبيب الناس والشباب منهم – بصفة خاصة – الى تراثهم وحاضرهم الادبى تكون لنا مع مضى الزمن واحتشاد الدارسين ما يمكن أن يسمى « نهج فى قراءة النص الأدبى » وإذا تعمق هذا الاتجاه وتوالت نماذجه واتسعت ، واكتسب نوعا من الثبات والاستمرار ، ووصل الى أرجاء الوطن العربى تحقق كيان متماسك من الافكار المتعاونة المتكاملة التى يمكن ان تسميها عندئذ « نظرية الأدب العربى » .

وحين تولد هذه النظرية وتصبح معالمها واضحة لأعيننا يمكن أن تزداد خصوبة عن طريق إثرائها بآراء النقاد القدامى ، وبالمدارس الأدبية الحديثة ، وبآراء النقاد المحدثين وذلك لأن الحوار بين هذه النظرية وغيرها يصبح فى هذه الحالة حوار « الذوات » المستقلة . وفى هذا الحوار تستفيد نظرية الأدب العربى من غيرها استفادة مبنية على الثقة بالنفس ، والتفتح ، والايمان بأن الاحتكاك هو طريق الحياة ، وأن الانطواء هو طريق الموت .

د. محمود الربيعى

رءوف توفيق

السينما تطرق أبواب المنازل.. وتسأل عن الأطفال؟

● عندما يمتلئ العالم الخارجي بالجنون والوحشية.. يلوذ الإنسان بعالمه الصغير.. بيته



فيلم كرامر ضد كرامر

عندما تتعقد المسائل في العالم الخارجي ، ويصبح من الصعب محاولة الفهم والتفسير .. يدخل الانسان الى بيته ، ويغلق الباب وراءه ويحاول ان يلتقط انفاسه ، ويريح جسده المرهق .. ويبحث عن الحنان والفهم والأمان مع شريك حياته .

لأنه اذا كان العالم الخارجي الكبير، قد اصبح مليئا بالجنون والوحشية والعبث .. فانه لا ملجأ ولا ملاذ لهذا الانسان غير عالمه الصغير .. بيته !

الكارثة .. انه قد لا يجد الراحة ايضا داخل بيته !!

فلا هو سعيد في الخارج .. ولا هو سعيد في الداخل !!

والوهم الكبير الذي يعيشه ذلك الانسان ، انه يستطيع ان يعزل نفسه عما يدور خارج جدران بيته .. وان يتصور ان بيته جزيرة معزولة ، مقطوعة الاتصالات والتأثر بما يحدث في الخارج .

ولكن ثمة أمل .. ان يستطيع ذلك الانسان أن يلملم شمل عائلته الصغيرة .. ويحميها من الانهيار .. وينجو



عصبية الأب .. وصمت الابن (فيلم عزيزى بابا)



الأب والابن وعلاقة قوية (فيلم كرامر ضد كرامر)

السينما العالمية تعزف على أوتار القلوب والدموع ! عمليات الشد والجذب بين الأم والأب والحضانة

بها في قارب الحب والأمان وسط هذا الاعصار المجنون !

والسينما العالمية تحاول ان تتشبث بهذا الأمل ·· وتطرق البيوت الصغيرة تبحث عن النموذج الذي تستطيع ان تعيد تقديمه على الشاشة لكي تعزف على اوتار القلوب ·· وتضغط على المشاعر ·· وتستحلب الدموع ·· فربما غسلت هذه الدموع ، الشوائب التي تعلقت بالنفوس ·· لتتيح مجالا جديدا للرؤية ·· والفهم !

الفيلم الذي اكتسح الجوائز

وقد كان مثيرا للتأمل فوز الفيلم الامريكي « كرامر ضد كرامر » بخمس جوائز أوسكار هامة في مسابقة الأكاديمية الأمريكية للسينما هذا العام متخطيا بمراحل ساحقة الفيلم المذهل « نهاية العالم ·· الآن » للمخرج « كوبولا » ، والذي يصور فيه بشاعة التورط الأمريكي في فيتنام ·· فلم يفز هذا الفيلم الا بجائزة الصوت وجائزة أحسن تصوير !!

بينما يفوز فيلم «كرامر ضد كرامر» بجائزة أحسن فيلم ·· وأحسن اخراج (المخرج روبرت بنتون) ·· وأحسن ممثل (داستيني هوفمان) ·· وأحسن ممثلة مساعدة (مريل ستريب) ·· واحسن سيناريو وفاز بالجائزة المخرج بنتون ، فهو أصلا كاتب سيناريو ·

ما معنى هذا الاكتساح الفني !

ومن قبل حقق هذا الفيلم نجاحا تجاريا هائلا منذ بداية عرضه في امريكا مع أعياد الميلاد في ديسمبر الماضي ، وتناولته الصحف والمجلات بالعرض والتحليل في احتفال خاص ومتميز ·

وبالطبع سيزيد الاهتمام بهذا الفيلم بعد فوزه بهذا العدد من الجوائز الهامة في الاوسكار ·

الطفل بين الأب والأم

ولكن ما الذي يقوله هذا الفيلم ·

انه يقدم قصة بسيطة من داخل بيت امريكي يعيش تفاصيل الانفصال بين الأب والأم ·· وتمزق مشاعر ابنهما الصغير في عمليات الشد والجذب بينهما ، ومحاولة حضانته ·

فهذه العائلة الصغيرة من الطبقة المتوسطة ·· حيث يعمل الزوج « داستيني هوفمان » بكل طاقته ليحقق أحلامه ·· يفاجيء باصرار زوجته (ميرل ستريب) على طلب الطلاق ، بحجة انها تريد ان تحقق أحلامها الخاصة هي الأخرى ·· وتبذل الزوجة كل ما في وسعها للحصول على الطلاق ·· وتصبح الحياة مستحيلة بينهما ··

ويوافق الزوج على الطلاق ··

وتبقى مشكلة ابنهما الصغير الذي لم يتجاوز السادسة من عمره · فتصدر المحكمة حكمها بأن يتولى الأب رعايته ·· وتخرج الزوجة من البيت الى خضم الحياة تحاول تأكيد ذاتها ·· بينما

نعيش على الشاشة تفاصيل العلاقة بين الأب وابنه ٠

فالأب هنا يواجه ابنه الصغير لأول مرة بهذا الشكل المباشر والحميم ٠٠ فهو يتعلم كيف يطعمه ٠٠ وكيف يسليه ٠٠ وكيف يحكي له الحكايات ٠ وكيف يسهر على مرضه ٠٠ وتنشأ بينهما لغة خاصة تتأكد يوما بعد آخر ٠٠ وتزيد مفرداتها ٠ ويتشابك عالم الأب مع عالم ابنه ليصنعا معا هذا المزيج المدهش من الارتباط والحب ٠٠

وبعد عام ونصف من غياب الزوجة الأم ٠٠ تعود من جديد ٠٠ بعد ان أرهقتها ظروف الحياة ، لتبحث عن ابنها الصغير ، وتطالب بحضانته ٠٠ ويتلقى الأب هذا الطلب في ذهول وألم ٠

كيف يفترق عن ابنه ٠٠ أو بمعنى أدق كيف يتخلى عن هذا العالم الجميل الذي صنعه مع ابنه ! ٠٠

ويمرض الأب من شدة التعاسة ٠٠ ويقترب منه ابنه ليخفف عنه ويرعاه ٠٠ ويحاول أن يجعله يبتسم بنفس الكلمات والايماءات التي كان يفعلها الأب معه في حالات مرضه ٠٠ ان الابن هنا يستخدم نفس مفردات اللغة المشتركة التي صنعاها معا !

وفي قاعة المحكمة التي تنظر قضية حضانة الابن ٠٠ تشرح الأم ظروفها بشكل مؤثر ٠٠ وينبري الأب في توجيه اللوم لها ٠٠ ويتبادلان معا الاتهامات ٠٠ فكل منهما له وجهة نظره ٠٠ وكل منهما عنده من المبررات ما يؤكد انه على حق ٠٠ وبقدر قسوة المواجهة بينهما ٠٠ الا ان الادانة الحقيقية لأسلوب الحياة الذي يجرد الانسان من انبل مشاعره !

مرحلة جديدة في السينما الأمريكية

وقصة الفيلم ٠٠ عادية ٠٠ وتتكرر يوميا في الشرق والغرب ٠٠ وربما تناولتها السينما العربية بأشكال مختلفة ٠٠ ولكن المثير في هذا الفيلم الأمريكي ٠٠ هذا الكم الهائل من الاحاسيس الصادقة والمؤثرة التي جعلت انسان هذا المجتمع الصناعي الهائل يتوقف أمام الفيلم ، ويتجاوب معه في قاعة العرض المظلمة ٠ وتسيل دموعه من فرط الانفعال والتأثر ٠٠ ثم يخرج من قاعة العرض ليحكي عما شاهده ٠٠ وينتقل رد الفعل هذا الى الصحافة وأجهزة الاعلام الأخرى ٠٠ ثم يأتي التكريم الكبير في مسابقة الاوسكار ٠٠

ولا تفسير لكل ما حدث ٠٠ سوى ان الفيلم استطاع ان يحدث الصدمة في وجدان الانسان اللاهث في السباق اليومي الرهيب ٠٠ وان يضغط على الجرح المؤلم الذي يحمله هذا الانسان ويمضي به محاولا نسيانه في زحام العمل !

فمشكلة عدم التوافق بين الازواج ٠٠ وتصارع الرغبات ٠٠ وبحث كل منهما عن اسلوب لتحقيق الذات ٠٠ ومشكلة الاطفال الذين يعانون هذا الاضطراب ، ويفتقدون الحب والحنان ٠٠ هذا الوضع الشاذ داخل البيوت



(فيلم البطل)

● قضايا الأسرة تلقى صدى في نفوس المشاهدين لأنها لصيقة بالواقع اليومي



الأم وابنها في لحظات النهاية مع موت الأب (فيلم البطل)



لحظة الم مؤثرة بين الأب وابنه (فيلم البطل)

المغلقة ·· أصبح رغم عاديته ·· موضوعا جديرا باعادة مناقشته !

وهذا الاتجاه في السينما الامريكية يجيء كمرحلة تالية بعد افلام الكوارث (الزلازل والفيضانات وسقوط الطائرات والقطارات ·· الخ) وافلام الفضاء وحروب الكواكب · والوحوش المتوقعة !!

ومن المتوقع ازدياد عدد الافلام التي تناقش قضايا الأسرة ·· لأنها لاقت صدى في نفوس المشاهدين ·· واكثر اقترابا من الواقع اليومي !

الأطفال ·· والضغط على المشاعر

وبالرغم من ان ملامح هذا الاتجاه قد ظهرت بوادره منذ سنوات ، عندما قدم بعض المخرجين قضايا المرأة في أفلامهم ، الا أن الورقة الأخيرة والتي اكتسحت مائدة اللعب ·· هي اظهار الأطفال في أفلام قضايا الأسرة كنوع من الضغط على المشاعر · !

ومما يذكر أن أحد العوامل الهامة لنجاح فيلم « كرامر ضد كرامر » هو ذلك الطفل الصغير « جاستين هنري » الذي لعب دور الابن الحائر بين والديه ·· وفي التفاصيل التي أعلنت عن ظروف هذا الفيلم ، حكى المخرج (روبرت بنتون) عن الجلسات المتعددة لاختيار الطفل الذي سيقوم بدور الابن ·· وكيف شارك في عملية الاختيار الممثل الموهوب (داستيني هوفمان) بحكم دوره في الفيلم ·· وبحكم حبه الشديد للاطفال واسلوبه في معاملتهم وكسب ثقتهم ·· حتى أنه أثناء تنفيذ الفيلم كان المخرج يعطي تعليماته للطفل من خلال «داستيني هوفمان » الذي يقوم بتوصيلها اليه بطريقته الجذابة ، ويتولى رعايته ، وتدريبه ·· حتى أصبح الطفل يلاحقه كظله في الاستوديو !

وفيلم « البطل »

وبالرغم من كل أسباب النجاح والشهرة والتكريم التي صاحبت فيلم « كرامر ضد كرامر » الا أنه لايمكن اعتباره الفيلم رقم واحد في مرحلة افلام قضايا الأسرة وتمزق الأبناء ·· فقد سبق هذا الفيلم ، وبشهور قليلة، عرض أحدث أعمال المخرج الايطالي الكبير « زيفاريللي » ·· ذلك هو فيلم « البطل » الذي لعب بطولته (جون فويت) امام الممثلة (فاي دوناواي) ·· وهذا الفيلم هو اول افلام المخرج الايطالي التي صورها في امريكا لحساب احد الاستوديوهات الامريكية ·

وفيلم « البطل » عناصره أيضا : الزوج ·· والزوجة ·· والطفل · وموضوعه ايضا : الطلاق وحضانة الطفل ·

فهذا الملاكم (جون فويت) تركته زوجته ·· وتركت معه طفلهما الوليد حديثا ·· فهي لا تريد ان يعطلها شيء عن حلمها بالشهرة والثراء ·· فقد اختارت مهنة عرض الازياء بأضوائها وعوالمها الصاخبة والمثيرة !

ويعيش الملاكم ظروفا سيئة ·· نفسيا وماديا ·· بعد أن فقد لقبه في الملاكمة وابتعد عن العمل ·· ويصبح لا مورد له الا من خلال سباق الخيل ·· ولا عزاء له سوى ارتباطه بابنه الصغير الذي ينمو بين يديه ·· وتتشكل تدريجيا هذه العلاقة ·· فالطفل يعتبر أباه « بطلا » وينادية دائما بهذا اللقب ·· ويسعى دائما ان يثير فيه حلم العودة الى البطولة ·

ويستعرض الفيلم تفاصيل هذه العلاقة القوية الحميمة على مدى ثمان سنوات ··

كل معاناة الأب ·· وكل مراحل نمو الطفل ··

وفجأة تعود الزوجة الأم ·· بعد ان حققت كل احلامها في الشهرة، واصبحت واحدة من اهم عارضات الازياء في العالم ·· انها تعود لتطالب بحضانة هذا الطفل الجميل الذكي ·· ابنها ·· الذي تلتقي به مصادفة في احدى جولات سباق الخيل !

ويحاول الزوج الأب ان يمنعها من هذه المحاولة ·· فهو كان قد اخبر ابنهما ، ان امه قد ماتت بعد ولادته ·· وظهورها من جديد قد يسبب لابنهما الطفل هزة نفسية ·· ثم هو لا يريد أن يفقد ابنه ·· فقد اصبح روحه وعقله ·· ومحرك عزيمته !

ولكن الأم تصمم على موقفها ·· ويكتشف الطفل حقيقة وجود امه ·· ولكنه لا يستطيع ان يتعاطف معها!

ويقرر الأب أن يحقق حلم ابنه بأن يعود بطلا في الملاكمة ·· ويبدأ التدريب الشاق من جديد ·· والطفل يغذي هذا الحماس بابتسامته ··



الطفل يطن فرحته بفوز ابيه (فيلم البطل)

ورقته ·· وبراءته ·· وارتباطه الشديد بأبيه ·

ويختار الأب ان يواجه احد المنافسين الشبان في الملاكمة ·· وفي يوم المباراة يتابع الطفل عودة أبيه الى حلقة الملاكمة ، والاضواء والجمهور ·· ويستمد الأب كل قوته من فرحة ابنه ·· ويبذل اقصى ما عنده لكي يفوز ، ويستحق اللقب الذي يحلم به ابنه ·· وفعلا يفوز ·· ولكن يلفظ انفاسه الاخيرة بعد خروجه من حلبة الملاكمة بلحظات !!

لقد حقق الحلم لابنه ·· وعاش من اجله ·· ومات !

واستطاع المخرج « زيفريللي » ان يقدم في هذا الفيلم مشاهد بالغة العذوبة ، ونجح في ان يجعل المشاهدين يزرفون دموعا حارة ·· وان يعلق الانظار بهذا الطفل (ريكي شرودر) الذي اختاره من بين الفي طفل في مسابقات متتالية اجراها لكي يعثر في النهاية على هذه المعجزة السينمائية !

الخروج عن القاعدة المألوفة

والملاحظ في هذين الفيلمين : « كرامر ضد كرامر » و « البطل » ان قصة الفيلم تتجه ناحية الأب ·· وبالتالي الخروج عن القاعدة المألوفة بارتباط الطفل بأمه ·

والخروج هنا يكثف حدة الصراع الدرامي ·· ويتيح مجالا اكبر لمزيد من التفاصيل التي من الممكن ان تعرض نتيجة حرمان الطفل من الأمومة ·· وفي نفس الوقت نشوء الارتباط بالأب ·· وصعوبات تكيف الأب بهذا الارتباط والمحاولات الطويلة والصعبة لفهم نفسية الطفل والالتزام بطلباته ورعايته ·· وكسب ثقته ·· وحبه !

وعن العلاقة بين الأب وابنه ، قدم المخرج الايطالي « دينو ريزي » فيلمه « عزيزي بابا » الذي بدأ عرضه عالميا في منتصف ٧٩ مع بداية عرض فيلم « البطل » ·· ولكن فيلم «عزيزي بابا» لم يحقق النجاح المماثل ، ولم يثر هذا الاهتمام النقدي والاعلامي ، بالرغم من انه قد يكون احد البدايات الملحوظة في مرحلة افلام قضايا الأسرة ·

فالفيلم يختار العلاقة المتوترة بين أب بالغ الثراء ، وابنه الشاب الذي يستكمل دراسته في احدى جامعات روما ·· والذي يرفض تماما كل أساليب والده في الحياة ، وهو يعبر عن رفضه بالصمت والزهد ، وعدم الدخول في اي مناقشة مع أبيه ·

ويكتشف الأب (يلعب الدور : فيتوريو جاسمان) في احدى محاولاته لفهم ما يفكر فيه ابنه ·· بمذكرات مقتضبة كتبها الأبن ·· ليفاجأ بأن ابنه ينضم الى احدى الجماعات الارهابية في ايطاليا ، والتي تستهدف اغتيال كبار الرأسماليين ·· !! ·· وأمام هذه الحقيقة المذهلة ، يحاول الأب أن يفض أستار الصمت والعزلة بينه وبين ابنه ·· ولكن لا يصل الى شيء ·· فيحاول رشوته بالثروة والرفاهية ·· ولكن الأبن يرفض تماما هذا الاسلوب وتتعقد المسائل بينهما ·· حتى تأتي المصالحة في النهاية بعد اصابة الأب في حادث غامض ·· هنا يتقدم الابن وفي صمت وعلى وجهه ظل ابتسامة هادئة ويدفع برفق وحب الكرسي المتحرك الذي يرقد عليه الأب !

وفي طول مشاهد ذلك الفيلم ، لا نلمح وجود الأم ·· الا في لحظات قصيرة ·· فهي بعيدة تماما عن المكان ·· وتعيش في سويسرا مع ابنها الصغير ·· وحجتها انها تخاف من موجات الارهاب التي تسود ايطاليا !!

وهذه العلاقات المعقدة ·· دائما ما تكون نتيجة لغياب الأم ولأسباب انانية جدا ·· وشخصية جدا ·· !

ماذا في السينما العربية ؟

واذا كانت السينما العالمية ·· قد عادت لتطرق ابواب المنازل بحثا عن القيمة الحقيقية والأصيلة في بناء الأسرة ·· وبالتالي بناء المجتمعات ·· فانه من المؤسف تماما ان تتجاهل السينما العربية هذه الموضوعات الانسانية ، وتتكاسل عن رصد كل الظواهر الغريبة التي القت بظلالها على بعض منازلنا·· واتذكر هنا ما قاله لي شيخ المخرجين السينمائيين : في مصر الاستاذ احمد كامل مرسي ـ ٧١ عاما ـ انه حزين جدا لان السينما المصرية ابتعدت عن افلام الأسرة ·· واتجهت الى تقليد افلام الغرب في العنف والاثارة ·· وعلى حد تعبيره : (اذا شاهدنا افلام الاربعينات والخمسينات في السينما المصرية نجد ان عددا كبيرا من الافلام تناول قضايا الأسرة والعلاقات والروابط الانسانية التي تدعم بناء الأسرة والمجتمع ·· وبالرغم من ان بعض المعالجات السينمائية في ذلك الوقت قد تبدو سطحية أو ساذجة الى حد ما ·· الا انها لو استمرت ·· لكانت تطورت ونضجت اكثر · ولكنهم تركوها · واهتموا بابراز موضوعات الانحراف ·· ولهذا انا حزين جدا) !!

والآن ·· وبعد ان عادت السينما العالمية الى موضوعات الأسرة ·· هل تعود السينما المصرية ـ أو العربية عموما ـ الى هذه الموضوعات ، حتى ولو من باب « الموضة » ! !!

انه شيء مضحك حقا ·· !!

ولكن ·· كم في حياتنا الثقافية والفنية من المضحكات المبكيات ؟ !!

رءوف توفيق

قصائد يافيه

شِعر : هارون هاشم رشيد

(١)

شباك أبي

على الميناء عند الشط .
في « يافا » شباك أبي
تركناها معلقة
بوجه الشمس ، والسحب

● ●

تركنا عندها أكباد
صيادين تواقين للبحر
أحبوا عودة الرواد
عند تنفس الفجر
تركناها وفي أنفاسها
أنفاسنا مشدوهة الوجد
على وعد تركناها
ترقب لحظة العود

(٢)

ميدان الساعة

ترى ما زالت الساعة
في الميدان تنتصب
تراها لا تزال تدق
أم تشكو ، وتنتحب

● ●

ترى شلت عقاربها
أسى ، وتوقف الزمن
أعشش في زواياها
الغراب ، تسلل العفن

● ●

فكم من موعد ضربت
لنا كم لحظة حلوة
كخفق القلب دقتها
تردد غنوة غنوه

● ●

(٣)

الاعين الظمآى

تدور الأعين الظمأى
تنقب ، تنبش الذكرى
فتبصر في زواياها
روائع تمرع العمرا !

● ●

شوارع حلوتي « يافا »
متاجرها ، مبانيها
وقد زينت بأغلى الناس
قد زينت بأهليها
ترى ، مازال في أنحائها
يتجاوب الصوت
أم أن الليل غطاها
وأسدل فوقها الموت

(٤)

شيخ

هنا شيخ على عكازه
أهوى ، وما نهضا
حزينا أغمض العينين
أسلم روحه ، وقضى

● ●

ويدري يوم ودعنا
وظل كجذع زيتونه
بأن وراءنا ريح
الشتات تهب ملعونة

(٥)

هنا يافا

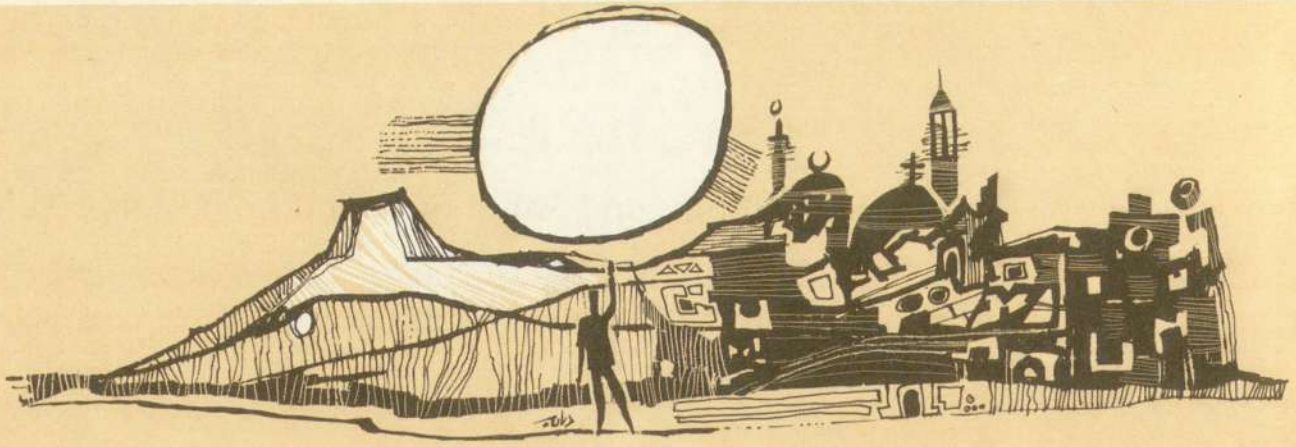
هنا « يافا » ولا ترتد
عن « يافا » الخيالات
تحوم فوقها وتدور
أطيار مشوقات

● ●

هنا « يافا » شبابيك
مغلقة ومهجورة
هنا أشلاء بستان
هنا انقاض نافورة

● ●

هنا أثر لمدرسة
بقايا معهد هدما
كوجه شاحب في الارض
ينزف حسرة المآ



(٦)

بيـــاره

وتنهـــض من كـــرى
الآلام ، والاشجان بياره
تنـــاثر زهرها ارخى
عليهـــا الحزن استاره

● ●

تفتـــش عـــن فتـــى
بالامس انعشها ورواها
ومـــد عروقه فيهـــا
ومن عينيـــه اعطـاها

● ●

وتبحث عن صـــغيرته
تدور كنحلة الزهـــر
هنـا وهنـاك مثـــل
فراشة تختـــال في كبر
وتذكر كيف فـــي يـوم
كئيب الوجـــه مسـود
رماهـــا غادر القـى
بهـــا للمـوت للحـــد

(٧)

كتـــاب

وفي احـــدى الزوايا
حيث غام الصمت وانتشرا
كتاب حرفه العـــربي
باق بعد مـــا انتشرا

● ●

كتاب يحمـــل التاريخ
والأنســـاب والأسـماء
يقول هنا تراث العمـــر
أشرق خالـــدا واضاء

● ●

ويحكي قصـــة « يافا »
ترددهـــا ٠٠ وترويها
وكيف بشعبها صـمدت
وقاتل كل من فيهـــا
ويروي ، والأسى يقطـر
من ســـطر الى ســـطر
قتالا دار فـي الاحيـاء
من شـــبر الى شـــبر

● ●

وينقـل فـــي فواصله
اشـــارات النـــداءات
ليـافا وهي ثابتـــة
تواجـــه بالبطـولات

● ●

ولا صـــوت يـــرد ولا
صـــدى يأتي لنصرتها
ويافا وحـــدها وقفت
تدافـــع عن عروبتها

● ●

ومثـــل تدفق الامطار
تدفق فوقهـــا النـــار
تجيء على نواصيها ،
فتهوي الدار فالـــدار
وينتفض الكتاب تثـور
فيـه حروفه الثكـــلى
ويشمخ وجهـــه العربي
ليبقى الرائع الأغـــلى

خاتمـــة

هنا « يافا » فياويـــلاه
يـا ويـلاه ٠٠ يـا يافا
وقـــد مزقت أحيـاء
وانحـاء ، وصفصافا

● ●

حبيبتنا ، وان طـالت
بنـا الســـنوات ننتظر
وأغرقنا الى الاعنـــاق
بات يحيطنا الخطـــر

● ●

تظل العين شاخصـــة
اليك ٠٠ وليس تنتقـــل
فتلمـح كيف من ليـــل
الخرائب يشرق الأمـل

جمال الكنانى

ادجار ألن بو

عبقرى عاش ميتا فى وطنه

أزمته أنه وُلد فى زمن أمريكى لا يأبه إلا بالربح

كاتب يحملنا بكلماته إلى أقصى حدود الخوف

شخصياته أسود صور نرسمها نحن لأنفسنا

قال الكاتب الشاعر الناقد الأمريكى « إدجار الان بو » فى قصته بعنوان « قصص أرثر غردون » :

« وارتمينا فى احضان الشلال ...وانفتحت هوة سحيقة لتبتلعنا ولكن اعترض سبيلنا شبح ادمى ملتف فى اكفان ... كان فى تكوين اجزاء جسمه أضخم مما عرفنا من الرجال ، وكان بياض جلده يضاهى بياض الثلج » ....

وفى الساعة الثالثة من فجر يوم الاحد ٧ اكتوبر ١٨٤٩ انفتحت هوة عميقة فى العالم الآخر لتستقبل إدجار الان بو او لتستضيف روحه ... وكان آخر ما لفظ من كلمات « اللهم اعن روحى الضعيفة » ..

ولعل فى هذا الضعف مايفسر اللغز الذى كان حياة هذا الكاتب الشاعر الناقد الذى قال فيه جورج برنارد شو « لقد تم اكتشاف امريكا .. أما «بو» فلم يكتشف».ترى كيف عاش هناك ارق الفنانين رقة ؟ هذا الرجل الذى يعتبر بفطرته وغريزته ارستقراطى الكلم ؟ واحسرتاه ! إنه لم يعش هناك ... لكنه مات هناك .. وقالوا عنه إنه سكيرفاشل مع اننا مازلنا حتى اليوم نتساءل عما إذا كان «بو» قد شرب من الخمر طول حياته كلها قدر مايشرب الامريكى العادى فى ستة اشهر .

وهكذا نرى ان موضوع إدمان «بو» على الخمر كان مادة للجدل وموضوعا لنقاش حاد دار بين من عاصره وبين من خلفه من رجال الأدب ...

الاحلام المزعجة

فى اعماق كل منا ، مطويا فى ظلال نفسه ، يكمن جزء من إدجار الان بو ، يتجسم فى خوفنا من المجهول،خوف لايقوم على اساس من تفكير او ركيزة من منطق ... خوف من الظلام .. رعب من الجنون ، ومقت للانحلال والضمور والبلى ، وشعور بالعجز تجاه الموت ... احاسيس نحبسها فى عقلنا الباطن ، ونسجنها فى اللاشعور ... و «بو» يلمس فينا كل هذا وكانه ابرة حادة تخز عصبا من اعصابنا ... فنحن نرى فى قصصه مانرى من احلام مزعجة ، تعرض فى العلن وتوضع تحت مجهر يحللها ويعقلنها ... وما تلك الكوابيس او الاحلام المزعجة إلا محفات تحملنا فى رحلة إلى ابعد طيات نفوسنا .

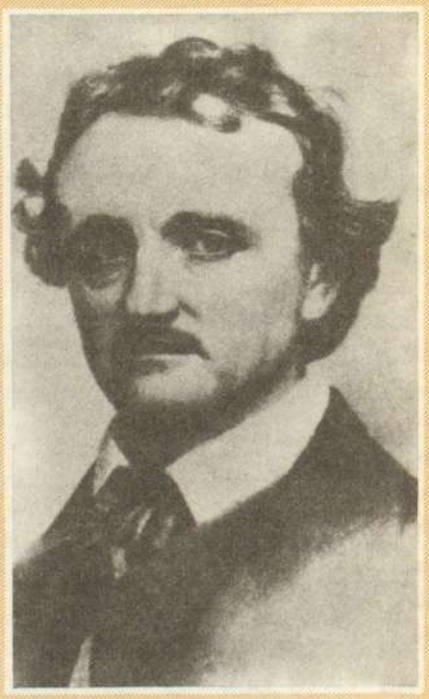
وسر حبنا لهذا الكاتب وتعليل سلطانه على قرائه الذين يقبلون منه ـ دون جدل ـ افكارا وشخصيات وهمية، ويصدقون ما قد يثبت لهم بعد الفحص انه خدعة ... هو أن هذا الكاتب يقود قراءه ويحملهم على اجنحة كلماته الى اقصى حدود الخوف ، وهو خوف أن تنكشف نفوسهم وتفشى اسرارهم ... فما شخصيات «بو» إلا أسود صور نرسمها نحن لانفسنا .

ادرك «بو» بحاسته الشاعرية ـ وهو يعتبر نفسه شاعرا قبل أن يكون كاتبا ـ أن الانسان قادر على ان يواجه اى شىء وكل شىء ... إلا نفسه .. فالانسان لا يتردد فى ان ينسب الى نفسه كل صفات القوة وان يتباهى بكل ما يصيب من نجاح ولكنه يلوم الحظ والنجوم والقضاء والقدر والطبيعة والشيطان على مافيه من نواحى الضعف وما يصادف من فشل او يرتكب من اخطاء ...و«بو» نفسه لم يبرأ من ذلك ، فقد عرفنا فيه رثاءه لنفسه واشفاقه على ذاته وشعوره بالاضطهاد واعتزازه الاعمى بنفسه واعتماده المؤلم على الغير ... كان يرى نفسه فريسة للقدر كما صورها فى بطل قصته « سقوط بيت آشر » .

على أن «بو» احس فى الوقت نفسه أن هناك اكثر من وسيلة للهروب ، منها مثلا:« ملكة الفكر التحليلى (مثل رجل البوليس السرى فى قصته « جرائم القتل فى شارع مشرحة الجثث ») أو تحرير الروح ، وقد عبر عن ذلك فى بعض قصائده ... على أن «بو» لم يسر بعيدا فى هذه الطرق إلا بخياله ، وعلى ذلك فشخصياته الخالدة التى لا تنسى هى تلك التى رسمها على طراز نفسه ، سجينة فى جحيمها الخاص ، تعكس الحالة الانسانية فى محيط يتعدى الخبرة والتجربة الواعية .

ويجدر بنا ان نتحدث عن جحيم «بو» وكيف وصل إليه وكيف حاول أن يهرب منه وكيف أن هذا الجحيم كاد أن يبتلعه ولكنه تغلب عليه بشعره حينا وبقصصه القصيرة حينا آخر .

وقصة إدجار آلان بو ماساة من ماسى الأدب .. وحياته مروعة مقبضة الى أقصى حد بلغته قصصه المرعبة ... تراه من ناحية ، يعترف علنا بحبه للجمال ، وهو شاعر عاطفى رومانسى قوى يعشق الجمال والمثالية... وهو من ناحية اخرى



ادجار الن بو



برناردشو



وولت ويتمان

رجل حكم عليه القدر بان يقضى ايام شبابه فى فقر وبؤس ومرض ومسغبة ... وان يموت ، وهو فى رأى اقرانه ، رجل فاشل ... ومع ذلك ... يذيع صيته ويلمع اسمه بعد موته ... قصصه تتمتع اليوم بشعبية ... وشعره يردده تلاميذ المدارس وينشده المطربون ويتنافس الأدباء فى كتابة سيرة حياته ومنهم كثرة تشير الى عبقريته ... فقصة إدجار آلان بو تبدو وكانها قصة كلاسيكية لرجل عاش خارج عصره ، او لفنان احتقره ، بل تجاهله معاصروه وهو حي يعيش بينهم ، واعترف الناس به بعد موته .

ولا تقف قصة « إدجار آلان بو » عند هذا الحد.

كان من سوء طالعه انه ولد فى أمريكا التى كانت إذ ذاك فى قبضة حمى الديمقراطية والتنمية الاقتصادية ، لاتعنى او تابه بنواحى الحضارة التى لا تعود برأح ملموس مثل التعليم والفنون .... ولعل برنارد شو كان قد أخطأ إذ قال فى عام ١٩٠٩ إن «بو» و «وولت وتمان» (هما الرجلان الوحيدان اللذان ولدا منذ إعلان استقلال أمريكا اللذان يمكن بدفاعهما ان ينقذا امريكا من اللعنة يوم الحساب) على أن الخطا لم يكن خطا أمريكا وحدها ، بل هو خطأ لادجار الان بو نصيب فيه .

كان «بو» على حد قول «ديفيد سنكلير» الذى ارخ له ، مصابا بنوع خبيث من مرض السكرى ، فكان اذا شرب حتى اقل القليل ، ثمل بدرجة شديدة وترنح ..

بالاضافة الى ذلك يعانى من عيب نفسانى .. هو الافراط فى اعتزازه بذاته مما جعله يرسم لنفسه صورة لم يستطع هو تحقيقها ما عاش ... كان يتصور نفسه «جنتلمانا» مهذبا علاّمة اديبا من واجب العالم ان يعترف بفضله وان يساعده ويثيبه ، فلما لم يستجب العالم لذلك حقد على الدنيا وما فيها ... وكان وراء ذلك كله اعتماده المزرى على النساء وهو ضعف نعلله بانه فقد امه فى سن مبكرة ،وانه كان يلاحق المثل الأعلى للحب والجمال .

وليس غريبا ان يضع بعض النقاد « ادجار آلان بو » فى مصاف العباقرة فقد كان نصيبه من المواهب وافرا ... ولكن شخصيته التى كانت تتجسم فيها قوة هائلة كانت فى الوقت نفسه تحتوى على نواح من الضعف خطيرة ... كان «بو» كاتبا موهوبا قادرا على الانتاج الأدبى رغم ماكان يواجهه من المصاعب والمرض وخيبة أمل وإعراض ... ولكن اعظم قدراته وقوته كانت هى ملكته الفريدة وقدرته على التعمق فى فحص ما فى ذاته من اضطراب عصبى وظيفى وترجمته الى قصص تلهث انفاس من يقرؤها .

ازدواجية الشخصية

كانت فكرة الموت تسيطر على قصص الرعب وعلى بعض القصائد التى كتبها «بو» ، وتدلنا دراسة حياته على وجود مايبرر تاثره بهذه الفكرة ، التى كانت ، وهى تتحول من تجربة واقعية الى قطعة ادبية ، تتخذ صفة مختلفة وتزيد فى الدلالة زيادة كبيرة ... كان «بو» يحاول أن يصل الى نوع من التفاهم او المهادنة مع فكرة «الموت» .. فهو يعترف بالعلاقة بين النوم والموت ، وبين الغيبوبة والموت وبين العقل المضطرب والموت ... ونحن اليوم نسال نفس السؤال الذى كان «بو» يساله قبل قرن ونصف قرن .... هل الموت مجرد حالة عدم انتظام ؟ ... مكتشفات «بو» وجولاته المقبضة فى مخاوفه واحلامه المزعجة هى فى الواقع تعبير عن المشكلات التى شغلت افكار العلماء والفلاسفة عبر التاريخ وهى مازالت تشغلهم حتى اليوم ..وفى ذلك تكمن عبقرية «بو» .

على أن احدا فى امريكا لم يعترف بهذه العبقرية ايام كان «بو» حيا يكتب وينظم ... لم تكن لهذا النبى كرامة بين اهله ... فالذى امن به فى فرنسا كان «بودلير» الذى ترجم بعض نثره «ومالارميه» الذى ترجم بعض شعره و«جاى دى موباسان» الذى تاثر بكتاباته ، وفى انجلترا «إليزابيث باريت» و «تشارلز ديكنز» .

ويدين أدب «بو» بالكثير لتيار الرومانسية الذى تاثر به ، ولأحلامه المحمومة التى سلط عليها قدرة نادرة على نسيج اقمشة ملموسة من خيوط غير محسوسة ... كان إذ يتظاهر بالموضوعية والفورية بين إنتاجه على اسلوب مدروس يدعمه ما حاز الكاتب نفسه من مواهب . أما الذى رفع شانه كناقد واديب معترف به فهو قدرته على الحكم الصحيح على الادب فى عصره ومثاليته وموهبته الموسيقية كشاعر وقوته الدرامية فى سرد القصص .

ويكاد يجمع العارفون على ازدواج شخصية «بو» ... كان رقيقا غاية الرقة مع من يحبهم وكان مزعجا كل الازعاج لمن يكرههم .. وكان هؤلاء يرون فيه انسانا منطويا مجردا من المبادىء على أن الشاعر كان فى حالاته العادية رقيقا وكان محدثا لبقا ، يقرا شعره وشعر غيره بصوت رخيم للغاية .

ويمكن أن نلحظ هذه الازدواجية فى فن «بو» .. فهو قادر على أن ينظم شعرا ملائكيا أو شيطانيا وهو قادر على أن يكتب نثرا بليغا سلسا أو نثرا مقبضا ولكنه فى أمهات اعماله ودرره الفنية ، استطاع أن يصهر هذا الازدواج فى واحد مفرد جمع النقيضين فجعل الحسن جميلا والرعب اجمل .

كان «بو» ناقدا مبدعا يؤكد فى نقده على ناحية سلامة اللغة والوزن والبناء كما انه وضع للقصة القصيرة قواعد تجمع بين وحدات الزمان والمكان والحركة ، تضاف الى الاثر أو الحالة النفسية ... نادى «بو» طول حياته بالفن للفن ذاته وامتدح الاصالة والابتكار لانه كان أصيلا مبتكرا مبدعا .

جمال الكنانى

أكذوبة مساواة المرأة بالرجل !

ما هذه الضجة التي تقيمها المرأة العربية ، وما معنى كلمة « المساواة » التي تطالب بها ؟!

هل تدهورت بنا الاحوال الى الدرجة التي أصبحت فيها المرأة ـ وهي كائن بشري درجة ثانية ـ تطالب بالمساواة بالرجل الذي لولا وجوده على الارض ، لظل هذا الكوكب كما كان عند خلقه الاول ـ مكونا من الماء والطين ؟!

عدد كبير من الرجال ـ واضح أنهم من ضعاف العقول ـ مضوا يدافعون عن المرأة بطريقة مضحكة ويقولون انها لا تختلف عن الرجل بدليل وصول بعض النساء الى المراكز العالية ، مثل المرأة التي أصبحت كبيرة للوزراء في بلاد السند والهند ، ومثل بضع نساء في البلاد « البرانية » جلسن على كراسي الحكم ، فضلا عن كثيرات في بعض مراحل التاريخ ، كالمرأة المسماة بشجرة الدر ، والاخرى التي تسمى كليوباترا ، وتلك التي تدعى فيكتوريا ، علاوة على الملكة العربية التي يطلقون عليها اسم « زنوبيا » .

لكن هذا الكلام لا ينطلي علينا لسبب بسيط .. هو أن النساء المعاصرات اللاتي وصلن الى كراسي الحكم يعشن في بلاد بعيدة لا نعرف عنها شيئا ومن ثم لا نستطيع أن نحكم ان كان هذا قد حدث أو لم يحدث ، وبالتالي فلسنا مطالبين بالرد على موضوع نجهله !..

أما الشخصيات التاريخية ، فان (كليوباترا) ما هي الا امرأة من بلاد ما وراء البحر ، حكمت بلادنا . بطريق الخطأ ، والخطأ لا يصح أن يكون قاعدة ، ونفس هذا ينطبق على (شجرة الدر) التي نعلم جميعا أنها بيعت لنا من بلاد مجهولة ، وقد قبلنا شراءها خوفا عليها من (البهدلة)! لكنها طلعت لنا في (الأنظرون) !

بخصوص المرأة المسماة بفيكتوريا التي رضي الانجليز بأن تحكمهم ، فكلنا نعلم أن بلاد هؤلاء الناس باردة جدا ، وهذه البرودة هي التي تسببت في افتقار رجالهم الى الشهامة التي نتميز بها نحن أبناء المناطق الحارة . بدليل أن الروس المعاصرين يريدون الوصول الى المياه الدافئة بغرض تطعيم رجالهم بالشهامة التي يحسدوننا عليها !

المرأة الوحيدة التي تنتسب الينا حقا ، تلك التي تدعى « زنوبيا » ملكة « تدمر » .. ونحن نعترف بانها جلبت لنا العار وفضحتنا في العالمين، لكنا نحب أن نقول انها امرأة غير طبيعية ، فقد كانت منذ صغرها تدخن السجائر ، وقد حاول أبوها أن يقتلها فلم يستطع ، فاضطر الى أن يتبرأ منها ، وهذا الكلام ثابت رسميا في مكاتب السجلات المدنية لمملكة « تدمر » !..

فاذا انتقلنا الى زاوية أخرى ، وجدنا بعض الرجال من ضعاف العقول يقولون ان الحضارة التي يزعم الرجل انه أقامها كان من المستحيل قيامها لولا وجود المرأة .. لأنها هي التي أنجبت الرجل وأرضعته وأدفأته في حضنها العنون ، وتولته بالرعاية حتى استوى على قدمين .. كذلك يقولون انها أخته وحبيبته وزوجته التي تشجعه وتدفعه الى الأمام ، وتفخر بكل تقدم يحرزه ، وتمسح على جراحه اذا ما ادلهمت الدنيا وغاب القمر ..



نقول لضعاف العقول هؤلاء ، اذا كانت هي أمه التي أنجبته وأرضعته وآوته في حضنها الدافيء ، فان هذه التصرفات من بقايا المجتمعات البدائية الموغلة في القدم والتي نربأ بانفسنا عن الاخذ بها .. ذلك لأن أبسط وزارة زراعة في العالم ، اذا ما أرادت أن تغرق الاسواق بكميات من الدجاج الطازج، فما عليها الا أن تحضر بضع ملايين من البيض ، ثم تدفئها بالوسائل الصناعية ، فلا تمضي أيام حتى تجد أمامها ملايين الكتاكيت ذات الاشكال التي تسر الناظرين .. فاذا كنا نطرح في الاسواق هذه الكميات الهائلة من الدجاج الطازج ، وبهذه البساطة ، فهل يستعصي علينا طرح ملايين الاطفال ـ الذكور ـ بنفس الطريقة ؟!

أما حكاية أنها أخت الرجل وحبيبته وزوجته التي تمسح على جراحه عندما تدلهم الدنيا ويغيب القمر ، فهذا كلام غير مقنع ولذلك قررنا عدم الرد عليه .. والدليل على أنه غير مقنع هو قولهم بانها تمسح على جراحه عندما يغيب القمر ، بينما أبسط انسان يعرف أن القمر يغيب حقا ، لكنه يعود ويطلع في أول الشهر !..

بعض ضعاف العقول يقولون ان « المساواة » أصبحت حقيقة واقعة ، فلو نظرنا حولنا لرأينا المرأة في كل حياتنا .. فهي طبيبة وصحفية وممرضة ومهندسة وأديبة وأستاذة جامعية ، فاذا لم تكن بالعدد الذي عليه الرجال ، فالسبب يعود الى ظلم الرجل التاريخي لها الذي حجب عنها هذه الاعمال .. ويضيفون بأنها كثيرا ما تفوقت على الرجل في هذه المجالات، فلا داعي لدفن الرؤوس في الرمال .

عبد الوهاب الأسواني

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن بعض (المشاغبات) قد تسللن الى هذه الاعمال ـ في غفلة منا ـ لكننا لا نالو جهدا في هز الثقة في انفسهن ، ونرجو أن نتمكن ـ باذن الله ـ من أن نملأ نفوسهن بالعقد النفسية حتى تعود السيادة الينا من جديد بصفتنا كائنات درجة أولى !

اما حكاية أنها استطاعت في بعض هذه الاعمال أن تتفوق على الرجل ، فان هذا يحدث ـ والحق يقال ـ في بعض الأحيان .. لكن هذا لا يدل على أنها يمكن أن تصل الى مرتبة المساواة بالرجل ، لأنها ستظل متخلفة في الحرب ووسائل الحرب .. ونحن نتحدى ضعاف العقول هؤلاء أن يدلونا على امرأة واحدة اخترعت طائرة ـ تلقي بقنابلها فوق الناس ـ أو صاروخا عابرا للقارات ـ يدمر المصانع ـ أو دبابة تفتك بالبشر ، أو يدلونا على امرأة واحدة أشعلت حربا عالمية أو حتى محلية على نطاق معترم يملأ العين !

لا يوجد ..

بينما الرجال ـ حفظهم الله ـ قدموا الكثير في مضمار الحرب التي هي المقياس الحقيقي للعظمة الانسانية ، لأنها السبب في وجود الفن كما اخبرنا بذلك رجل مهم من أصحاب العقول النظيفة !

نقد استطاع هتلر ـ مثلا ـ أن يشعل حربا عالمية ، وقد نجح ـ مساه الله بالخير ـ في أن يجعل النار تندلع على الكرة الارضية من أولها البحري حتى آخرها القبلي ..

ولو كان هتلر هذا امرأة ـ لا قدر الله ـ لكان هش القلب ، ولرفض أن يهدم المدن فوق رؤوس أهلها ، ومن ثم لحرمنا من أفلام الحرب العالمية الرائعة التي نستمتع بمشاهدتها الآن ، ونحن ندخن في هدوء ونشرب شاي العصر !

ولا أحد طبعا ـ ممن يتشدقون بالمساواة ـ يستطيع أن ينكر حاجة الانسان المعاصر الى الفن !

الحب.. دائما



شعر : عصام الراوى

ما أجمل أن نحيا حباً
أن نلمس كل الأغصان فتزهر
أن نسقى وردا فلاً نرجس
أن نمسح دمعة طفل باك وحزين
أن نمحو عن كل الناس سواد الافكار
أن نرسم فوق الأوراق
وعلى كل جدار
طفلاً يضحك

●●

سألوا بنت العشرين
مامعنى الحب ؟
قالت :
عصفور غنى فوق الأشجار
يطرح فى قلبى نهر الأشجان
يلبسنى ثوب زفاف كل الأيام
سألوا شيخ الخمسين
ما معنى الحب ؟
قال :
يجعلنى شابا فى العشرين !
ما أجمل أن نحيا حباً فى كل الأعمار

جمال قطب

روائع الفخار والخزف الاسلامى

● مهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة فى أعماق التاريخ .. فإن الآثار الفخارية تمثل الجانب الاساسى والبدائى فى مخلفات هذه الحضارات

لاشك أن أقرب الفنون الزخرفية والتطبيقية الى روح الانسان ، بل وأكثرها التصاقاً بالارض هى صناعة الفخار والخزف ، وأن من يشاهد صانع الفخار ، ولاسيما عاجن الطين ، وهو يشكل تلك الأوانى الاسطوانية المثيرة ، ليشعر بقوة الامتزاج بين الانسان والطين . وصدق الله العظيم : وبدأ خلق الانسان من طين .. !

ومن الطبيعى أن تكون آثار الخزف والفخار هى أول ما يعثر عليه المنقبون بين الأطلال ، فهى من التراب ، وتبقى فى باطن الأرض ما بقيت الأرض نفسها ، وإذا كانت معظم مخلفات التراث الانسانى تتكلس وتتحجر بين طبقات التربة وتراكمات الأزمان ، فان الآثار الفخارية بحكم تكوينها لا تقبل المزيد من التحول أو التحجر أو الانصهار كغيرها من الخامات الأخرى .

ولقد تقدمت فنون هذه الصناعة فى العصور الاسلامية تقدماً كبيرا : إذ فتح الاسلام اقطارا كثيرة ذات تراث عريق فى مضمار هذا الفن ، وخصوصاً فى ايران والعراق ومصر والشام ، ولكن صناعتها قبيل الفتح الاسلامى أخذت فى التدهور للخلل العام الذى اصاب هذه البلاد حينذاك ، وبظهور الاسلام وانشاء المدارس الفنية فى عهوده المزدهرة ، وجدنا أن الانتعاش يدب فى كل مرافق الحياة ، وعبر الفن عن تلك الروح المترفعة المقدسة ، ووجدنا أن فنون الفخار والخزف قد بلغت حد الروعة فى ايران والعراق ومصر بوجه خاص .

ولم يكتف الفنان المسلم بزخارف الارابيسك المعروفة ، بل اقتبس كثيرا من الوحدات الشهيرة من الفن الصينى حيث كانت معظم اقاليم الامبراطورية الاسلامية تستورد كميات كبيرة من الخزف الصينى الشهير ، وذلك ما أكدته حفائر البحث الأثرى فى الفسطاط وسامرا وغيرهما من مراكز الانتاج الفنى فى عهود الاسلام المختلفة . ومن هذا الامتزاج توصل المسلمون الى صناعة الفخار المطلى بالمينا ، وأجادوا تشكيله وتلوينه ، وابتكروا عدة ألوان منه مثل السلادون وتقليد البورسلين .

أقدم صناعة

مهما كشفت الحفائر عن حضارات موغلة فى اعماق التاريخ ، فان الآثار الفخارية تمثل الجانب الأساسى والبدائى فى مخلفات هذه الحضارات ، مما يؤكد أن الفخار ، قد يكون أقدم صناعة عرفها البشر ، وهو يصنع من الطين المحروق دون طلاء ، ومن خواصه أنه هش كثير المسام ، وطينته أكثر سمكاً وأقل نقاء من طينة الخزف ، ومن المناظر المألوفة ، أن نرى الأوانى الفخارية فى استعمالات حفظ المياه وتبريدها وتفتيتها نظراً لوجود المسام فى جدران هذه الأوانى . أما زخرفتها ، فقد عرف الصناع المسلمون طرقاً عديدة لها مثل النقش البارز والحفر الغائر والطبع بالاختام ، وفى بعض الصور ، طليت المصنوعات الفخارية بالألوان (بالمينا) وخاصة فى عصر المماليك ، إذ نرى أمثلة منها فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، ويبدو ان هذا الفخار الملون ، كان صناعه خاصة لأغراض الطبقات الموسرة والحكام ، فقد نقش على كثير منها أسماء بعض أمراء المماليك مثل (السيف قرجى) والسلطان الملك الناصر وغيرهما . وقد تميز هذا الاسلوب بالزخارف الكتابية بالخط الثلث متداخلة بوحدات الارابيسك الشهيرة ، وكانت الوانه بالمينا تحتوى على الاصفر والاخضر والبنى ، وعليها تحفر الزخارف حتى تصل لجدار الاناء .

فن رفيع !

عرفنا أن الفخار له طابع البدائية والبساطة فى تشكيله وحرقه ، وبتطور صناعته أصبح يزخرف ببعض النقوش والكتابات ، وأقصر ما وصل إليه هو تلوينه بالوان المينا لبعض الاستعمالات الخاصة ، أما الخزف فهو محور اهتمامنا فى استعراضنا اليوم كأحد الابداعات الرفيعة التى اشتهر بها الفنان المسلم على مر العصور ، فنجد أن المصنوعات الخزفية تتركز اساساً فى صناعة الأوانى ، وتتفرع الى أغراض وأدوات شتى مثل الأحواض والشمعدانات والمسارج والتماثيل . وقد ذاع استعمال بلاطات القاشانى فى التكسية والتبليط ، أما الفسيفساء الخزفى فله شهرة كبيرة ، ويعتبر من أشهر فنون الزخرفة الاسلامية : وهو عبارة عن فصوص واشكال مختلفة الاحجام والتكوين ، يجمع بعضها إلى بعض وتثبت من الخلف بمادة لاصقة تملأ التجاويف بين هذه الجزئيات ، فتتماسك فى تشكيلات وزخارف متكاملة تثبت على المسطحات المعمارية المعدة لتزيينها بالفسيفساء . أما السلادون وتقليد البورسلين ، فيصنعان من عجائن مختلفة ولكنها بدورها أكثر صلابة وتماسكاً من عجينة الخزف ، وأكثر استعمالها عادة يكون فى صناعة الأوانى

مراحل الابداع

تمر صناعة الخزف بعدة مراحل أهمها :

أولا : الحصول على الطينة



طبق من الخزف من متحف فيكتوريا

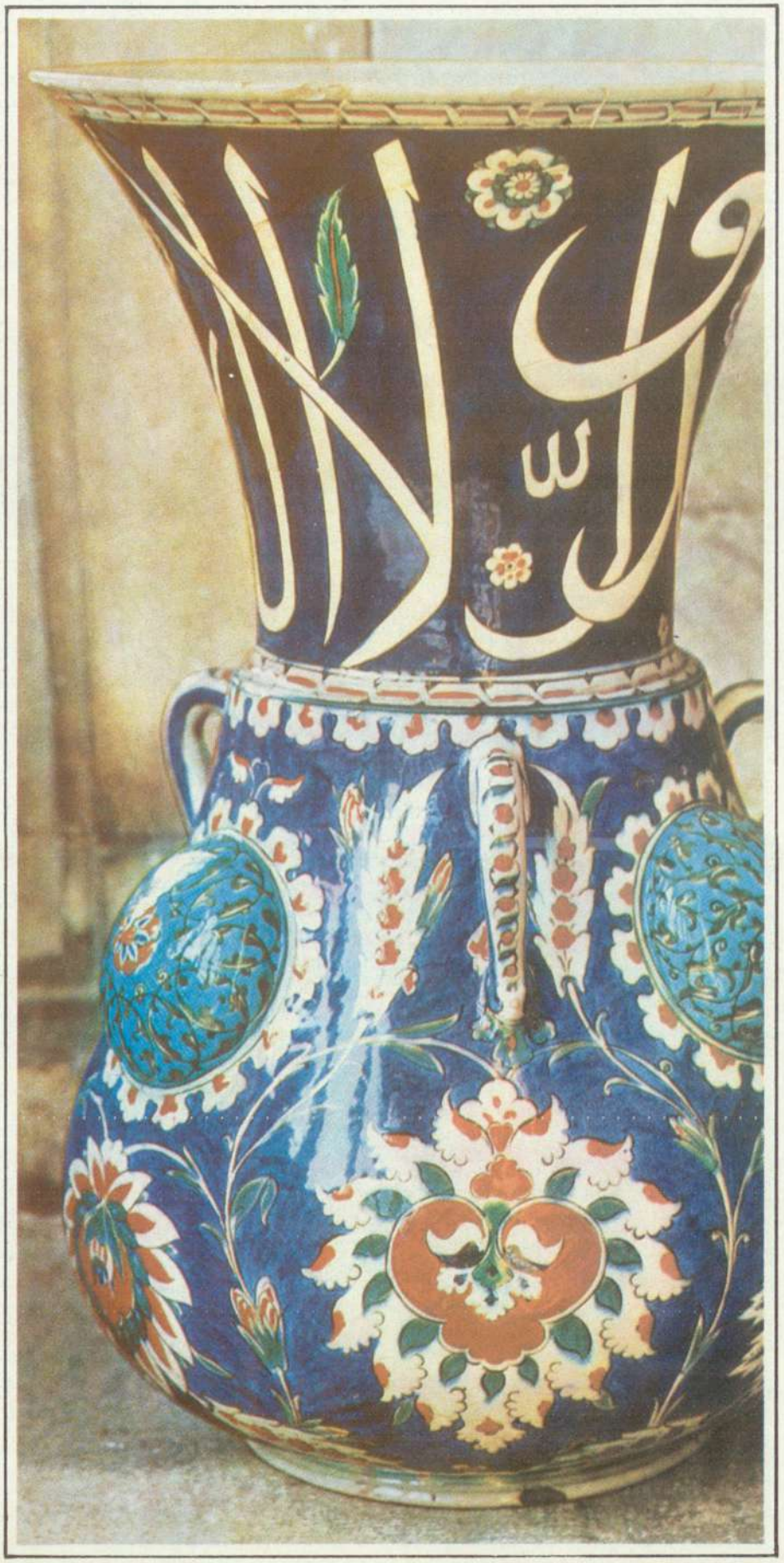
المناسبة ، وهى تختلف من بلد إلى بلد ومن جهة إلى أخرى ، لذلك فهى تتفاوت فى جودتها تبعاً لأماكن انتاجها ومكونات عناصر التربة فيها ، ومن أجل ذلك يعكف الباحثون على تحليل الطينة ومكوناتها فى الآثار المكتشفة ، ومن هذه النتائج ، يمكن تحديد موقع الصنع والعصر والطراز .

ثانيا : تعجن الطينة ثم تشكل الى مختلف الأغراض المطلوبة ، وكان التشكيل يتم باليد فى بادىء الامر ، ثم أستعان الصانع ـ بجانب اصابعه الماهرة المدربة ـ ببعض الآلات الدقيقة ، كما استخدم الدولاب أو العجلة فى تدوير الطين وتصويره فى مختلف الاشكال الاسطوانية .

ثالثا : تلوين الأوانى بالبطانة (طلاء عام كأرضية قبل عملية الزخرفة) ثم تحرق فى افران خاصة ، ثم تطلى بالطلاء الزجاجى ، وقد يستخدم التذهيب والانواع الأخرى من الدهانات الملونة حسب رغبة الفنان ، ثم يعاد الحرق مرة أخرى لتثبيت الطلاء ، وربما تكررت عملية الطلاء والحرق عدة مرات حسب التغطية الزخرفية وعدد الألوان المستخدمة وانواعها .

ومن الملاحظ أن عملية صناعة الخزف يشترك فيها عدة متخصصين ، لكل منهم مهمة محددة : كالعجان والخزاف والحراق والمخزوف وهو الفنان الذى يلعب الدور البارز فى الابداع ويحدد الطابع الفنى الخاص .

ومن أشهر أماكن صناعة الخزف الاسلامى : بغداد وسامرا والموصل فى العراق والرى وقاشان والسوس فى إيران ، والفسطاط والقاهرة والفيوم فى مصـر ، ودمشق والرقة فى الشام ، ومالقة وغرناطة فى الاندلس ، وأزنيق



آنية محلاة بالخط العربى والزخارف النباتية

● الخزف الإسلامى ينقسم إلى عدة طرز، بعضها دولى .. والآخر اقتصر على الطابع المحلى

● عندما هاجر الخزافون المصريون إلى مدينة قاشان

وكوتاهية فى اسيا الصغرى ، وقد ذكرت المصادر التاريخية انه كان فى ازنيق ثلاثمائة مصنع للخزف فى عهد السلطان احمد . وفى اسطنبول عثر على كتاب عبارة عن رسالة مفصلة تشرح دقائق صناعة الخزف ، كتبها عبد الله بن على ابن محمد بن أبى طاهر فى قاشان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م) . كما أن كثيرا من توقيعات الفنانين قد امهروا بها زخارفهم فى كثير من آثار الخزف الاسلامى ، ونقرأ على سبيل المثال توقيعات : مسلم وسعد وعبد الله وغيبى بن التوريزى وشرف الابوانى .. وكثير غيرهم .

الفنون الخزفية

وينقسم الخزف الاسلامى الى عدة طرز ، بعضها اتخذ الطابع الدولى وانتشر فى كثير من اقطار العالم والبعض الآخر اقتصر على الطابع المحلى ذى الملامح الاقليمية المحدودة. وكان الطراز ينقسم بدوره الى عدة طرز ثانوية او فرعية حسب اختلاف المكان الزمان والفنان المزخرف وطريقة الصنع والتشكيل . ومن اهم هذه الطرز نوع اصطلح على تسميته (الخزف ذو البريق المعدنى) ، وهذا النوع قد احتل مكان الصدارة فى الشهرة العالمية ، لأنه فن من ابتكار اسلامى خالص ، وكان هذا الخزف يدهن أولا بدهان ابيض أو مائل للزرقة أو الاخضرار ، ثم يحرق ثم يزخرف بطلاء الاكاسيد المعدنية ، ويحرق مرة أخرى ببطء لتتبخر الاكاسيد ويبقى الطلاء المعدنى الذى يتخذ بريقاً يشبه بريق الذهب . ومن المعروف أن الاسلام يحرم استعمال الاوانى من الذهب والفضة ، ولذلك فقد ابتكر المسلمون هذا الاسلوب ذا البريق الذهبى ليشيع روح الترف مع مراعاة تعاليم الدين الحنيف . وقد انتشر هذا النوع من الخزف فى اقطار اسلامية كثيرة كالعراق وإيران ومصر والشام وشمال أفريقيا والاندلس ، كما عثر على بعض الآثار فى شبه الجزيرة العربية ، ولم يقتصر هذا الطراز الرائع على فترة زمنية معينة ، بل وجد فى عصور اسلامية مختلفة .

ومن أشهر آثار الخزف ذى البريق المعدنى ما عرف بخزف سامرا ، حيث وجدت نماذج كثيرة منه فى اطلال مدينة سامرا ، وترجع إلى بداية نهوض الفن الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى . وانتشر اسلوب خزف سامرا فى اقطار عديدة ، ولكنها تتباين من قطر إلى آخر . ومما يجدر ذكره أن صناعة الخزف فى أوربا قد تأثرت بالخزف الاسلامى فى طريقة تشكيله وزخرفته وتلوينه ، كما ذكرت المراجع العلمية ، وفى أوائل هذا القرن ، كان الفنان الأشهر « ماتيس » يتربع على عرش الابداع فى الفن الحديث ، واعترف بأنه عندما زار معرض الفن الاسلامى الذى اقيم فى مدينة ميونيخ بألمانيا عام ١٩٠٣ ، عاد بعد أن درس فن تلوين الخزف الاسلامى ، واقتبس من هذه الألوان بهاءها وروعة توافقها وتكوينها ، ولذلك أطلق عليه (اعظم الملونين) فى العصر الحديث !

الخزف الاسلامى

وإذا رجعنا الى عهود الاسلام منذ العصر الأموى ومروراً فى أواخر طريق الابداع بالعصر الصفوى فى إيران حيث زخرت مدينة أصفهان بالروائع الخزفية التى نافست إنتاج الفنانين الصينيين وتفوقت عليه ، حتى نصل إلى العهد العثمانى بروائعه الخزفية الشهيرة ، لوجدنا أن العهد الأموى لم يكتشف من آثاره الخزفية ما نستطيع من خلاله أن نحدد ملامح المدرسة الفنية الأموية ، وكما هو معروف عن هذه الفترة تسمى فى نظر الباحثين فترة الانتقال من فنون ما قبل الاسلام إلى الفن الاسلامى بملامحه المميزة . ولكن استعمال الفسيفساء وهى أحد مشتقات الخزف كان واضحاً بشكل رائع فى قصر الحير الغربى الذى اكتشف منذ خمسين عاما (١٩٣٠م) على الطريق الذى يصل بين دمشق وتدمر ، وترجع نسبته الى عصر هشام بن عبد الملك (حيث وجد اسمه منقوشا على جدران هذا القصر) وربما كان ذلك فى عام ١١٠هـ وكان طبيعيا أن قصر الحير التقاء التيارات المختلفة فى الاساليب الفنية خليطا من الفن الاغريقى والفن الساسانى .

وما إن حل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) حتى وجدنا نهضة

طبق من القرن العاشر الهجرى فى عهد العثمانيين

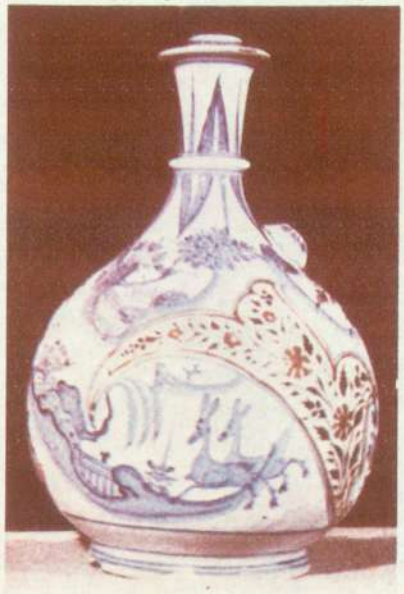




جزء من الوحدات الزخرفية التى تغطى ضريح « تيمور لنك »

● فى سوريا تمركزت صناعة الخزف ذى الزخارف النباتية والكتابية

قنينة من صناعة كرمان فى القرن ١١ هـ



ابريق من الخزف ذى الدهان الازرق وسطحه الخارجى مقرغ



اسلامية فى صناعة الخزف ، ويرجع المؤرخون سببها إلى التحف الخزفية التى استوردها الخلفاء العباسيون من الصين فى عهد اسرة (تانج) والتى حكمت الصين ما بين ٦١٨ و ٩٠٨ ميلادية . وقد أجاد الفنانون المسلمون تقليد هذا النوع من الخزف لدرجة يصعب ـ بل يستحيل أحيانا ـ التمييز بين ما هو أصلى من الصين وما هو محلى إسلامى . وكما أسلفنا فى أول هذا المقال ، فقد ابتكر المسلمون الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى لتحل محل الأوانى الذهبية والفضية التى حرم الاسلام استعمالها ، وهذا الخزف ذو البريق المعدنى هو فن اسلامى خالص . ومن العباسيين فى العراق انتشر هذا النوع إلى باقى انحاء الامبراطورية الاسلامية ، وخاصة فى مصر ، حيث بين أطلال مدينة الفسطاط على عدد وفير منها ترجع إلى العهد الطولونى . كما أشتهر إقليم (جاروس) الايرانى وكذلك ازدهر إقليم خراسان باجادة هذا الخزف وتميز بزخارف العناصر الحية والكتابة فى نقوشه الاسلامية .

أما الآثار الخزفية فى العهد الفاطمى فى مصر فقد انفردت زخارفها برسوم تشكيلات فن الارابيسك الرائعة ممتزجة بالخطوط والكتابات ورسم الحياة الشعبية المصرية كموضوعات متكاملة تتوسطها فى بعض الأحيان صور لشخصيات معروفة فى الحياة العامة .

فن السلاجقة

ومن المعروف فى استعراض مسيرة الفنون عامة عبر العهود الاسلامية المختلفة . أن عهد السلاجقة كان عهد تالق وازدهار ، فقد هاجر الخزافون المصريون بعد سقوط الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) ، والتحقوا بخدمة السلاجقة ، وشاعت شهرة مدينة قاشان ، وفى العصر المغولى ، حافظ الشغول على الاساليب السلجوقية التى كانت سائدة وشجعوا الفنانين ، وأغرقوهم بالطلبات الخاصة من فنون الخزف الراقى ذى البريق المعدنى كمظهر من مظاهر السلطة والتفوق ، واستحدثوا نوعا فريدا فى الفن الاسلامى عامة وهى التماثيل الخزفية من آدمية وحيوانية ، ويحتوى متحف المتروبوليتان بنيويورك حاليا على مجموعة نادرة منها ، ومن أهمها تمثال على هيئة طائر برأس آدمى عثر عليه فى مدينة الرى ويرجع إلى القرن السابع الهجرى .

أما العصر السلجوقى فى تركيا ، فقد عثر بين أطلال قصر قونيه وقصر قباد على بلاط خزفى بالوان المينا يشبه فى زخارفه وطريقة صنعه ماعثر عليه فى عهد السلاجقة فى ايران . أما السلاجقة فى سوريا (حكم الأتابكة) فقد تمركزت صناعة الخزف ذى الزخارف النباتية والكتابية فى دمشق والرصافة والرقة على نهر الفرات .

تحف الأندلس

لم يعرف الخزف ذو البريق المعدنى فى الاندلس إلا فى القرن الثامن الهجرى ، وقد يكون ما وجد منه قبل ذلك مستوردا من مصر والعراق ، وعندما انتج الفنانون المسلمون المصنوعات الخزفيه فى بلاد الاندلس ، وصلوا بها الى قمة الاجادة ، مستخدمين الزخارف الهندسية

والنباتية متداخلة فى توافق فنى مع العبارة الشهيرة (لا غالب إلا الله) ، وكانت شعار ملوك غرناطة وقد شاع استعمالها فى جميع نقوش ذلك العصر الذهبى . واشتهرت عدة مراكز لابداع فن الخزف مثل مالقة وغرناطة ، ثم انتقلت هذه المراكز الى مدينة (بلنسيه) وتخصصت مدينة (منيشة) فى الخزف ذى البريق المعدنى ، وبهذا أصبحت أهم مراكز التصدير إلى الدول الأوربية . لذلك لم يكن غريباً أن يعثر بين الآثار الاندلسية على الكثير من الأوانى الخزفية وقد نقشت عليها الشارات الأوروبية والرسوم القوطية متداخلة مع زخارف الارابيسك الاسلامية ، فقد كانت هذه التحف تطلب من مراكز الانتاج فى الاندلس لتصديرها لمختلف الدول .

عهود الابتكار

كانت آخر العصور المجيدة للفن الاسلامى ممثلة فى العصر المملوكى فى مصر وسوريا والعصر الصفوى فى إيران والعهد العثمانى فى تركيا. فقد ازدهرت فنون الخزف فى مصر وسوريا تحت حكم المماليك ، وابتكرت انواع ذات مستوى رفيع من نوع البريق المعدنى تشبه الخزف الصينى ، بل وتفوقت عليه من حيث إجادة صنعها وروعة زخارفها الاسلامية ذات الوحدات النباتية والخط العربى الرشيق .

أما فى إيران فقد كان العصر الصفوى عهدا ذهبيا للفنون الاسلامية كافة وللتحف الخزفية خاصة ؛حيث نجح الخزافون فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى فى انتاج نوع راق من الخزف الثمين هو البورسلين ، وقد تفوق على مثيله الذى كانت تنتجه الصين فى عهد اسرة (منج) ، وقد شجع الشاه عباس هذا الفن الرفيع واستقدم لتدعيمه عددا كبيرا من الفنانين الصينيين ، ومن أجل ذلك ظهرت الزخارف خليطا من الارابيسك الاسلامى ورسم التنين والطيور والحيوانات الصينية ، منفذة بنفس الاسلوب الصينى الشهير وبالوانها الزرقاء التقليدية ، وسيطرت مصانع كرمان ومشهد ، وتالقت مراكز الانتاج فى أصفهان التى ابتكرت اثمن التحف الخزفية ذات اللونين الذهبى والاحمر النحاسى ، وتخلص الفنان تدريجيا من وحدات الزخارف الصينية ، وأخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناظر وحدات الزخارف وأخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة ، فوجدناه يبدع مناطر الحفلات والحدائق ورحلات الصيد ومجالس اللهو ومختلف مظاهر الحياة الايرانية .

واشتهرت زخارف البلاطات الخزفية المجمعة لتزيين القصور والمساجد وغيرها من الابنية .

وفى العهد العثمانى فى تركيا ، لم تزدهر صناعة الخزف إلا فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى فى مدينة (ازنق) ويمكننا تقسيم الخزف التركى إلى ثلاث مراحل : الاولى ، وقد تاثرت بالنماذج الصينية التى رأيناها فى العصرين المغولى والصفوى ، والثانية ، وتمتاز بزخارفها النباتية وخاصة استخدام الزهور المحورة كازهار القرنفل والسوسن وقرن الغزال . أما النوع الثالث ، فقد عرف بنقوشه من الحيوانات والطيور بجانب الوحدات النباتية والأزهار التى كانت سائدة فى المرحلة السابقة ، والمشاهد لقصر السلطان مراد الثالث وقصر (توبكابي) الذى شيد عام ٩٨٢هـ ، يرى حشدا رائعاً من زخارف البلاطات الزخرفية تعتبر آية من آيات الفن الخالدة ، والتى أكسبت العصر العثمانى طابعاً فنيا فريداً .

... وهكذا وزع الفنان المسلم لمساته الواعية على كل مظاهر الحياة الانسانية ، وترك بصماته المبدعة لتثير الاعجاب أبدا ، وتبعث الأمل فى نفوس بنى البشر عبر التاريخ .

جمال قطب

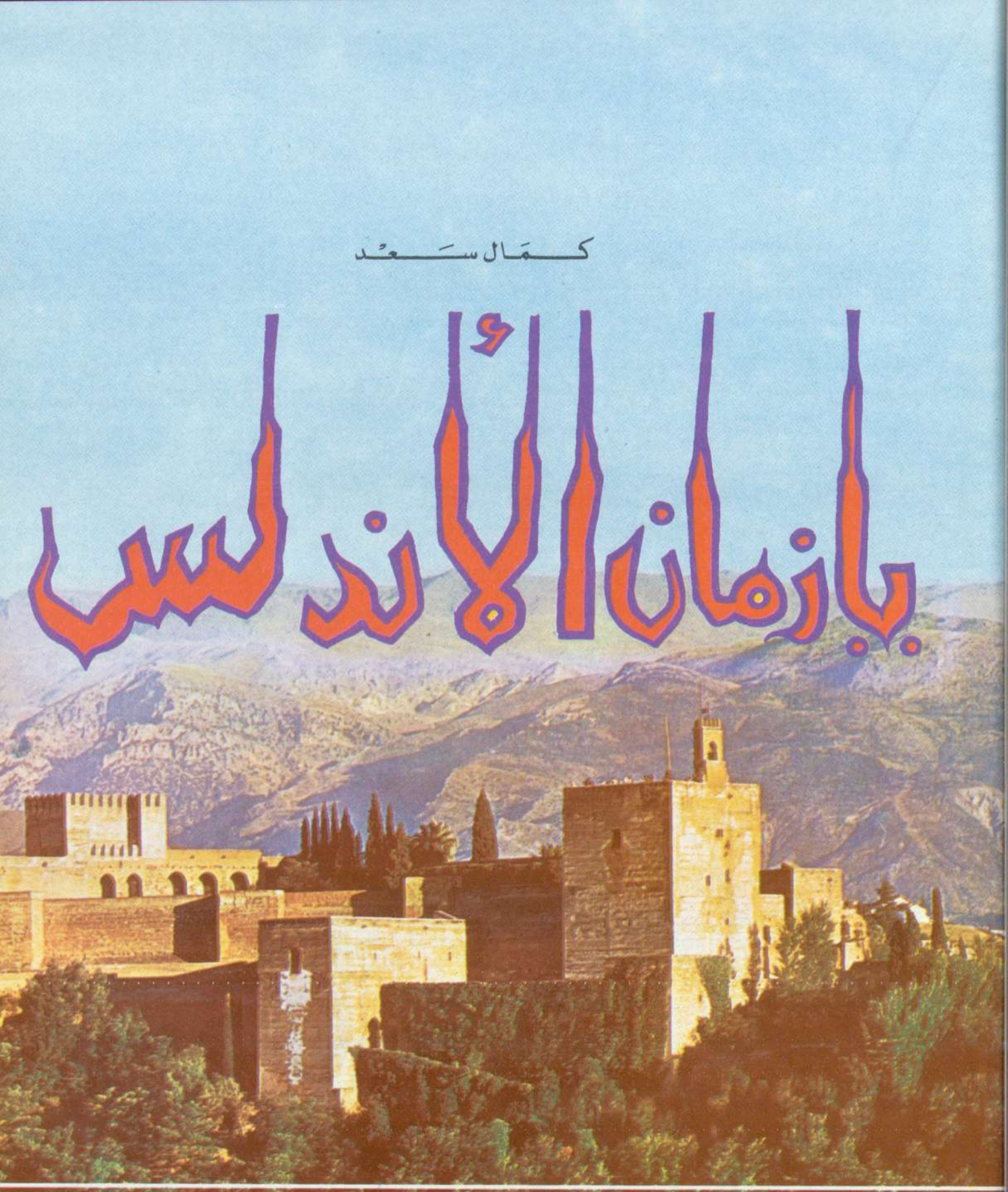
● آخر العصور المجيدة للفن الإسلامى ممثلة فى العصر المملوكى فى مصر وسوريا والعصر الصفوى فى إيران



خزف من استانبول من منتصف القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر

كمال سعد

بازمان الأندلس



المدن التى علمت أوربا كل فنون المعرفة
وأغنت الحضارة الإنسانية
قلوبنا هائمة فى الأندلس.. ووجوهنا تفضحها دهشة الغريب القليل الحيلة!

بازمان الأندلس



رائحة أوراق البرتقال
مشبّعة برُطوبة
العصر المنهار
فى الدّرُوب الضّيّقة!

ضاع الهدف الذى
ظلّ يحارب من أجله
فرمى أوراقه..
وسكب مداده..
واعتزل الحياة



أرقى ما رأينا من الحرير المنسوج .. والقطعة من الاندلس وعمرها ثمانية قرون !

قرطبة ، وغرناطة ، وأشبيليه ، قطع من عقلى وقلبى وتراثى الذى أضاء الدنيا فى ساعات حالكة الظلام ..

واثناء تجوالى فى المدن الثلاث فى اسبانيا ، وتعلقى بذيل أعمدتها وأسوارها ومبانيها الشامخة الشاهدة على مجد غابر ، كنت أجد نفسى ـ مثل غيرى ـ لا أملك غير القول : آه يازمان الاندلس .. فالجرح فى اعماقنا غائر .. وعقولنا إمتلأت بالطلاسم والتعاويذ والخرافات التى جعلتها عاجزة عن الاستقراء والتأمل .. وقلوبنا هائمة لا تعرف أين المستقر .. ووجوهنا تفضحها دهشة الغريب ونظرة العاجز القليل الحيلـــه !

ولكن ما جدوى تانيب الضمير والنفس ما دمنا نتناسى أن شعلة الفكر هى التى أخرجت للعالم قمة الحضارة العربية العظيمة ؟! .. وما معنى الندم إذا كنا لم نستوعب دروس التاريخ التى أكدت أن عزائمنا لم تضعف وعقولنا لم تنطفىء إلا عندما ألهبنا ظهر كل صاحب موهبة وأحطناه بالخمول واليأس والارهاق !

إننا ـ بصراحة ـ فى حاجة هذه الأيام الى تلك الروح التى قدمت لنا هذا التراث العربى الاسلامى الذى منحته لنا تلك المدن ، والذى كان خير معلم لأساتذة اوربا فى جميع علوم المعرفة التى أغنت وصنعت الحضارة الانسانية

إعتزال المؤرخ

فى البداية ، أجد نفسى فى مدينة قرطبة ، حاضرة الأمويين ، ذات الحقول



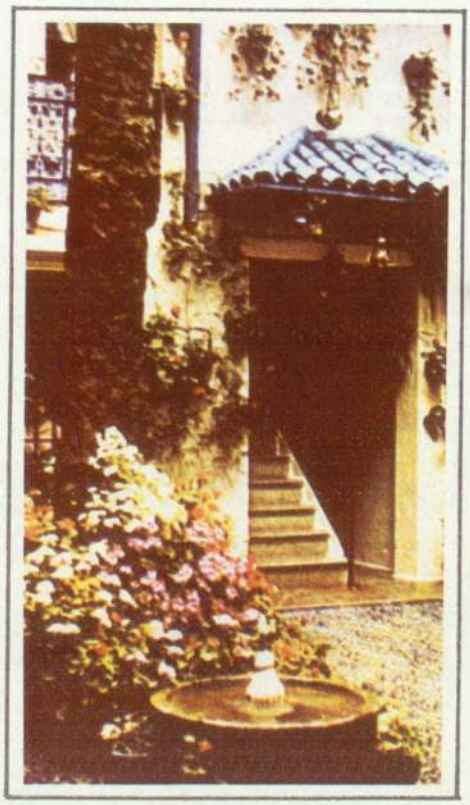
الازياء الشعبية القديمة فى مدن الاندلس

المليئة بسنابل القمح ، والتى تتناثر أشجار زيتونها حتى الجنوب ، وتبعد عن العاصمة مدريد بما لايزيد عن ٤٠٠ كيلومتر !

ومنذ لحظة وصولى للمدينة الممتدة فى سفح سلسلة جبل قرطبة عند منحنى الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير «جواد لكفير» بهتت فى عينى مبانيها الأوربية الحديثة ، وأرتميت فى احيائها العربية ، لأشم هواءها المشبع برطوبة العصر المنهار فى الدروب الضيقة المتعرجة ، وأتنفس شذى أوراق برتقالها وزهورها الذى حملته الى انفى حدائق البيوت الناصعة البياض ، التى جعلتنى اتذكر قصة عمرها أحد عشر قرنا ، ولعل بطلها لم يبتعد كثيرا عن المكان ، فهو رجل آمن بأن التاريخ لا يكتب إلا من خلال موقف ، وأنه بدون النظرة الشاملة والتحليل العميق لن يكون إلا مسجلا لكل ما يجده أمامه من حقائق أو أكاذيب ، ولذا فان مقياس الاحداث عنده ينبع من إلتزامه بالوحدة الكبرى التى تمت فى ظل الخلافة الأمويـــة ، ولذا فقد أخذ على نفسه بأن يكون عاصفة فى وجه أى خلاف يراد به شق الصفوف ، وشرع قلمه ناقدا فى قسوة كل الذين حاولوا الخروج على الدولة الأموية إلى أن حدثت الكارثة العظمى التى قسمت الاندلس الى دويلات صغيرة ، وهنا قال فى شجاعة لكل معاصريه : لقد انتهت مهمتى كمؤرخ بعد أن رأيت وطنى فى ظل التفسخ وهو مشرف على الزوال !

واعتزل ـ فعلا ـ عالم التاريخ العظيم «ابن حيان الاندلسى» كل اعماله ، ورمى أوراقه وسكب مداده ، فقد احس بأن دوره كمؤرخ قد انتهى بضياع الهدف الذى ظل يحارب من أجله ، والذى كان فى نظره من أشرف الأهداف وأنبلها ..

الابواب ذات الطابع الخاص المفتوحة على فناء وحديقة



بكاء المهزوم

وهنا استوقفنى احد الادلاء الذين تعودوا مصاحبة آلاف السياح الذين قادتهم أقدامهم الى تلك الأزقة ، وأخذنى لأرى بيتا به نافورة وسط حديقة فيحاء ، ودلفنا الى المنزل عبر ممر صغير مزينة جدرانه بزخارف عربية ، فوصلنا الى صحن البيت ، وهو مكشوف ، أرضيته من الرخام ، وتطل عليه جميع حجرات البيت عبر مظلة صغيرة تستند إلى أعمدة غاية فى الرشاقة والجمال !

إلا اننى سرعان ما تخلصت من الرجل بعد أن طاردتنى قصصه الملفقة عن تاريخ الفتح العربى ، التى تعود على سردها مع كل من سبقونى ..

فقصة وصول العرب الى الاندلس واضحة كل الوضوح ، وليس فيها لبس أو غموض ، وبدايتها كانت عند سيطرة المسلمين على الشاطىء الأفريقى ، فيما عدا حصن واحد هو «سبته» الذى استطاع حاكمه « يليان » المرتبط بالامبراطورية البيزنطية الضعيفة المتهاوية أن يمنع سقوطه بسبب حكمته وتقربه من قائد الفتوحات الاسلامية «موسى بن نصير» ومن القائد الشهير «طارق بن زياد» .

وكان هذا الحاكم هو أول من وجه انظار المسلمين الى الشاطىء الأسبانى بل وعرض عليهم كل ما يملك من سفن لتحقيق الغزو والتخلص من خصمه اللدود « لذريق » !

وقام طارق بن زياد بقيادة جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل ، نقلته سفن حاكم سبته على دفعات الى الشاطىء وبعد بضعة شهور من عبور طارق بن زياد للمضيق البحرى الفاصل بين اسبانيا والمغرب ، كان المسلمون على ابواب طليطلة ، ولحقهم جيش آخر أتى من القيروان فى تونس بقيادة القائد العربى

مرح الشباب والحفلات الجماعية بين الاروقة القديمة



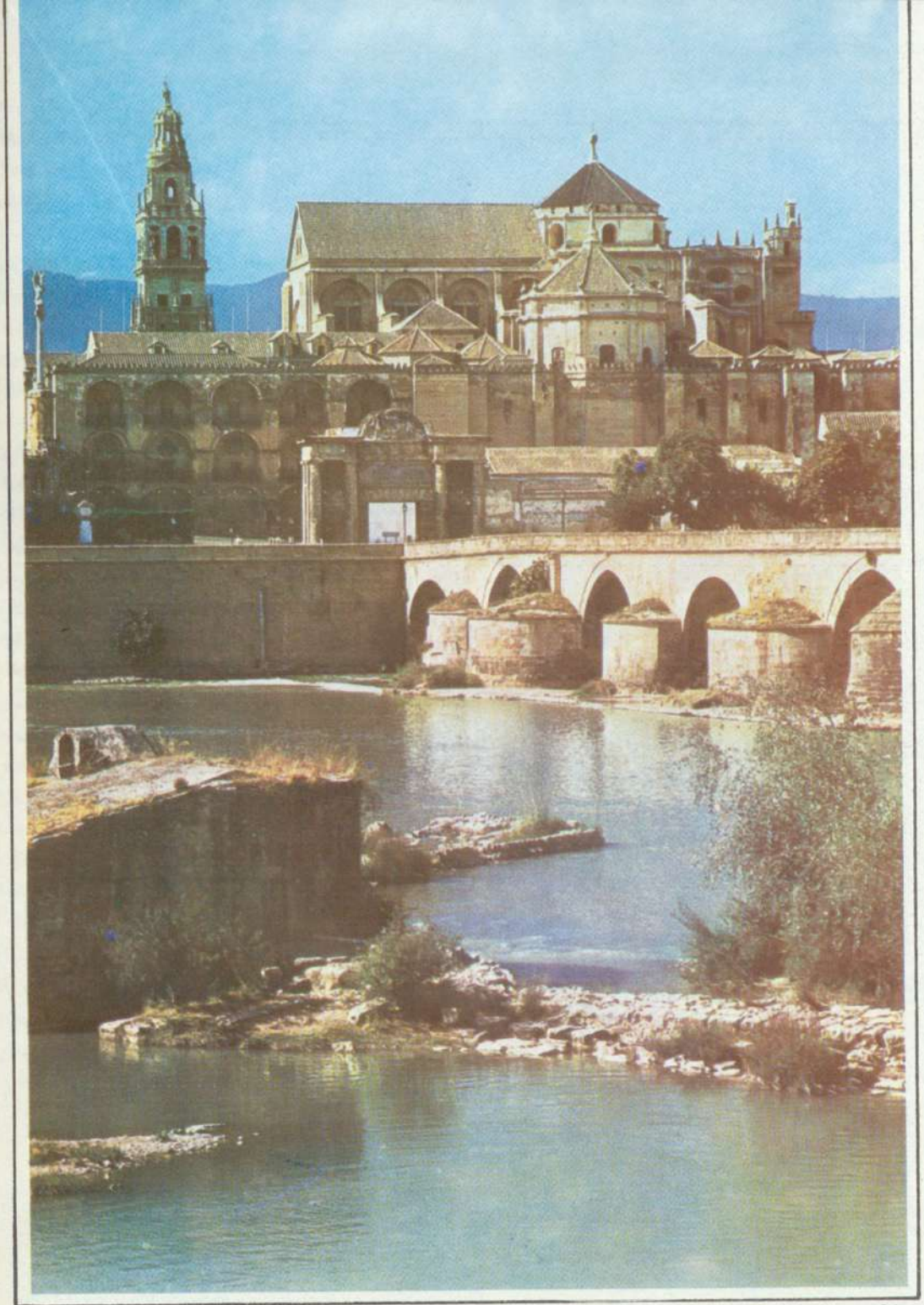
بازمان الأندلس

مازالت قرطبة المدينة التاسعة في اسبانيا - رغم شهرتها العلمية !

العروس التي ظلت مجرد أطلال حتى هذا القرن بعد أن أحرقوا قصورها وبساتينها الغناء !



رأيت عبقرية المهندس والمزخرف العربي في محراب المسجد الجامع وفي أقواسه المرهفة الصنع !



قرطبة بسحرها الذي اوحى للشعراء بقصائد خالدة



داخل احد الكهوف التي تقدم راقصة الفلامنكو

موسى بن نصير الذى أتم الفتح وركز أسس الحكم الاسلامى ، ناقلا معه أساليب الفكر العربى ، بما فى ذلك اللغة العربية وآدابها ..

إلا أن مجد مدينة قرطبه لم يبدأ ، إلا عندما هرب الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل من دمشق الى الاندلس عقب سيطرة العباسيين ، ووصل الى قرطبة عام ٧٥٦م ، وبدأ يجمع شتات الدولة الاسلامية فى الاندلس ، واتخذ من المدينة عاصمة لملكه ، وأسس قصرا خارجها سماه الرصافة ، وشيد مسجدا اسلاميا فى أواخر عهده ، وترك لخلفائه من بعده روح العلم والحضارة ، الى أن قام البربر بحركتهم فدمروا القصور وبعثروا الكنوز وانتشرت من بعدهم الفتن والحروب الأهلية ، التى اسقطت قرطبة ـ قلب الحضارة الاندلسية ـ قبل منتصف القرن الثالث عشر ، ومن بعدها إنهارت المدن والممالك العربية فى الاندلس ، واضطر فى النهاية « أبو عبد الله » إلى أجراء مفاوضات سرية مع اعدائه لتسليم مدينة غرناطة ، وانتهت المفاوضات بدخول فرديناندو ملك الارغول وزوجته ايزابيل ملكة قشتالة الى المدينة فى عام ١٤٩٢م ، معلنين زوال الدولة الاسلامية فى الاندلس ، بعد خروج « أبى عبد الله » آخر ملوك الأندلس من المدينة باكيا ، وصوت أمه يصرخ فى وجهه :

إبك مثل النساء ملكا مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال

المسجد الجامع

ورغم أن مدينة قرطبة تعتبر اليوم سوقا هامة للقمح والزيتون والشعير والنبيذ والحمضيات ، فهى مازالت المدينة التاسعة فى اسبانيا ، ومازال سكانها الذين يصل عددهم الى ٢٥٠ ألف نسمة ، يفضلون توجيه إقتصادهم نحو الانتاج المتمثل فى الصناعات الشعبية التى تعتمد على اشغال الذهب والنحاس والجلود ، فهى الأكثر رواجاً فى مدينتهم التى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادى مركزا طبيا لأوربا ومكانا بارزا للمهتمين بالفلسفة وعلم النبات وعلم الفلك والتراجم الانسانية ..

والغريب أن سكان المدينة أنفسهم يقولون لك ، أنه بينما كانت اوربا غارقة فى ظلام الجهل ، كانت مكتبة مدينتهم فى القرن العاشر الميلادى تحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد ، وكان بالمدينة ٧٠٠ مسجد و ٩٠٠ حمام !

واثناء تجوالى فى احياء المدينة القديمة ، وجدت أن السور الضخم الذى كان يحيط بهـــا قد اصبح داخل الاحياء القديمة نفسها .. وهو أثر من الآثار العربية الباقية التى يدخل فى نطاقها قنطرة الوادى التى تطل عليها قلعة الحرة التى كانت مخصصة لزوجة الخليفة ، والأزقة الضيقة القريبة من المسجد الجامع بما فيها من بيوت تحتفظ بطابعها الاندلسى ، ويضاف لكل ذلك مدينة الزهراء عند جبل العروس ، على مسافة أربعة كيلو مترات من قرطبة ، والتى كانت المياه تصلها من العاصمة فى انابيب ، واشتهرت بقصورها الشاهقة وبساتينها الغناء وحظائر وحوشها الكاسرة وثرواتها البالغة التى نهبت عن آخرها منذ تسعة قرون عندما استولى البربر على المدينة وأضرموا النار فيها ، لتظل حتى هذا القرن مجرد اطلال ، لولا أن بدأوا فى السنوات الأخيرة فى ترميم جزء كبير منها ومحاولة الكشف عن آثارها التى دفنت على مر السنين !

أما المسجد الجامع ، فمازال يعتبر أكبر مسجد اقيم فى اوربا ، ويسمونه الآن المسجد الكاتدرائية ، بعد أن وضعوا الى جوار مأذنته عند البوابة الخارجية برجا عاليا للأجراس واقاموا بين أعمدته الهياكل !

والمسجد الجامع فى قرطبه مقام على مساحة هائلة ، تربو على ١٢ ألف متر مربع ، وله سقف يرتفع الى تسعة أمتار ، تحمله أكثر من ١٢٠٠ سارية رخامية رفيعة ، وتبدو اقواسه المزدوجة مرهفة دقيقة الصنع محتفظة بلونيها الأبيض والأحمر ، بينما يمثل محرابه تحفة معمارية رائعة تتجلى فيها عبقرية المهندس والمزخرف العربى !

وهذا المسجد الذى يطل على ساحة واسعة تكتنفها أشجار البرتقال ، استغرق بناؤه ٢٢٠ عاما ، ووضع أول حجر فى اساسه الخليفة الأموى عبد الرحمن الداخل فى عام ٨٧٠م ، وتوالى على بنائه وتوسعته ثلاثة آخرون من الخلفاء الأمويين ، كان آخرهـــم المنصور بن ابى عامر ثامن الخلفاء الأمويين فى الاندلس !

فراق العاشق

وأتوقف فى مدينة قرطبة عند نصب تذكارى أقامه الشباب فى ساحة المدينة منذ عشر سنوات للوزير والشاعر والعاشق الخالد ابن زيدون بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاته ، وأتعجب لأنهم وضعوا الى جواره الشاعرة الذكية الطاهرة الذيل « ولادة بنت المستكفى » وكفها يعانق كفه إلى أعلى مداعبا الهواء

وقد اختاروا أبياتا للشاعرة وكأنها موجهة الى الشاعر ، وفيها تقول :

أغار عليك من عينى ومـــنى
ومنك ومن زمانـك والمكـــان



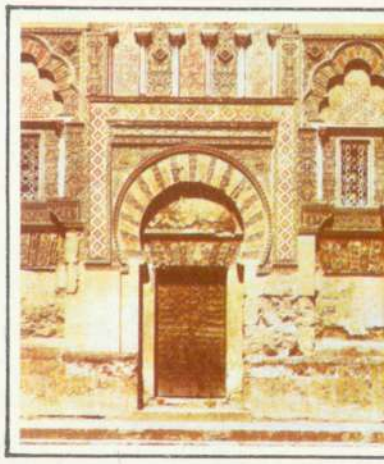
جسر قرطبة الذى بناه المسلمون فى القرن الثامن الميلادى



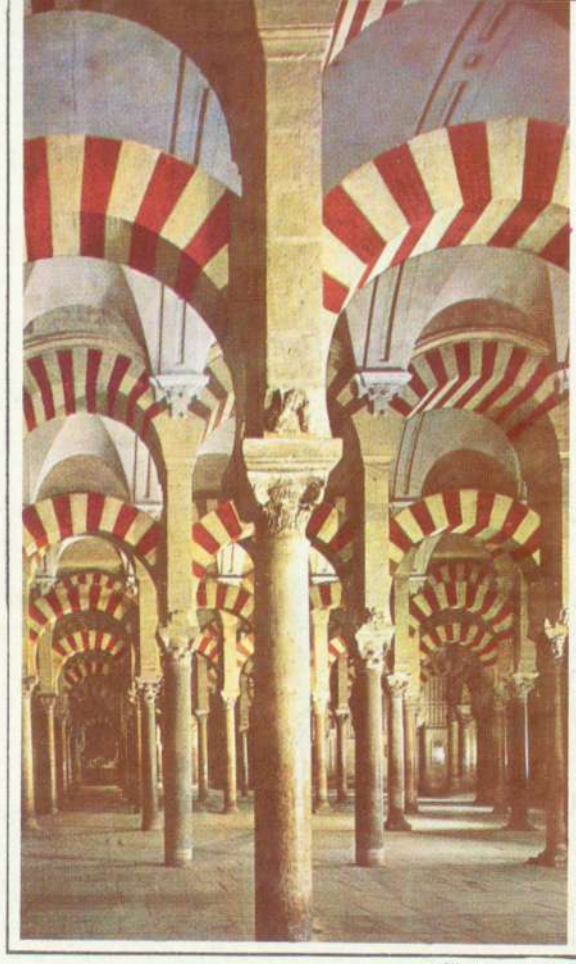
نقوش ورسوم جميلة فى قصر الحمراء فى غرناطة

بالزمان الأندلسي

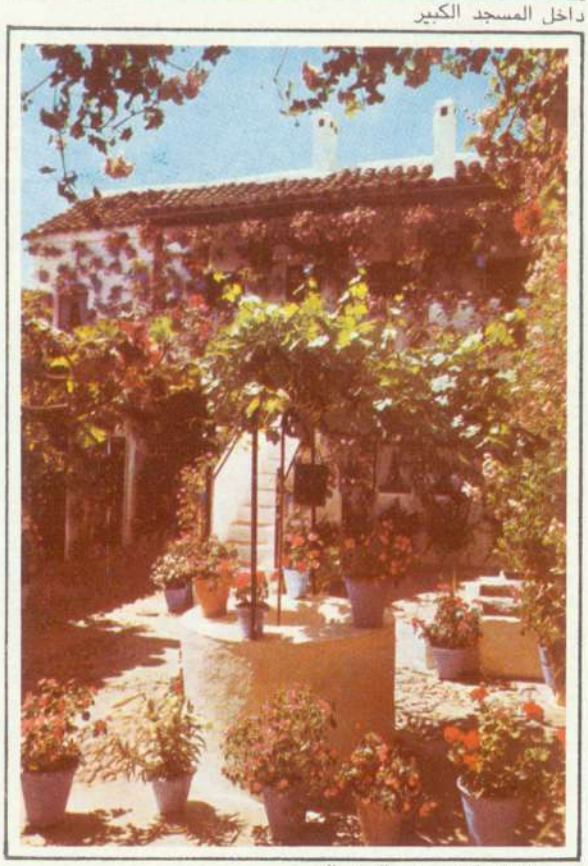
كيف بالغ شباب قرطبة في قصة حب الوزير الشاعر ابن زيدون ؟!



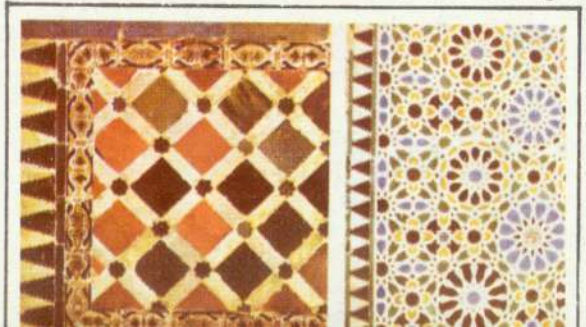
«جنة العريف» في غرناطة بممراتها الخضراء وزهورها وسواقيها التي تنعى المجد الزائل !



داخل المسجد الكبير



أروع الوان الزهور في البيت العربي



زخارف حائطية في اشبيليه

ولو أنى حملتك في عيونى
إلى يوم القيامة ما كفانى

واختاروا أيضا للشاعر كلمات يعبر بها عن خوالجه نحو الشاعرة بقوله :

يامن غدوت في الناس مشتهرا
قلبي يقاسي عليك الهم والفكرا
إن غبت لم ألق إنسانا يؤانسني
وإن حضرت فكل الناس قد حضرا

واعتقد أن شباب مدينة قرطبة قد بالغوا في قصة الحب ، فالواقع أن الشاعر أحب الشاعرة في بداية شبابه حبا من جانب واحد ، ولذا انتهت قصة الحب بهجاء متبادل عبر سلسلة من الاحداث ذاق خلالها الشاعر مرارة السجن ظلما ، ومرارة عشق انسانة تميل بقلبها لشخص غيره وتخلص له ، ولم يجد في النهاية طريقا أمامه سوى أن يطردها من قلبه الى الأبد ، وأن يهجرها الى دنيا السياسة لعله يعوض حبه المهزوم من خلال بناء حاضره ومستقبله وسط المنافسات والمكائد السياسية .

أعظم الفلاسفة

ويبدو أن قرطبة قد خلدت اهم أعلامها في عصور الأندلس ، وإن كانت قد تناست مغنيها الشهير « زرياب » الذى غنى في دروبها ، وأضاف لأوتار العود التقليدى وترا خامسا ، واخترع مضراب العود من قوادم النسر !

فعند اسوار قرطبة العربية القديمة رأيت تمثالا لأكبر فلاسفة الاسلام « ابن رشد » الذى عاش في القرن الثانى عشر الميلادى ، وقال عنه مؤرخو الغرب انه من أعظم الفلاسفة أثرا في الفكر الأوربى فهو مؤسس الفكر الحر ، وقد دعا المرأة ـ في فترة مبكرة إلى خدمة المجتمع والدولة ـ كالرجال ، وأرجع الكثير من الفقر في عصره الى الرجل الذى يمسك المرأة لنفسه وكأنها نبات أو حيوان أليف ، إعتقادا منه في متاع يمكن أن توجه إليه كل المطاعن ، وهذا بدلا من أن يعطيها فرصة المشاركة في انتاج الثروة المادية والعقلية التى تحفظها والتى تجعلها ذات فضائل أو على خلق عظيم !

وفي إحدى ساحات قرطبة ـ رأيت تمثالا ثالثا للوزير الفيلسوف إبن حزم الاندلسى ، الذى عاش في القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان يؤمن بأن للعلم زكاة هى نشره وإذاعته ، والذى ملأ الاندلس بحركة فكرية واسعة ، إعتنق فيها مبدأ الأخذ بالعلم الصحيح والاعتماد على العقل والبرهان ، وعرض

نظرية المعرفة قبل أن يقدمها «كانت» بسبعة قرون !
وهناك تمثال للعالم موسى بن ميمون ، ولازالت هناك أفكارا أخرى لتماثيل عديدة فى عقول المشرفين على الثقافة والسياحة فى المدينة التى رأت أزهى العصور وأخصبها فى مجالات العلوم والثقافة والابداع أيام كان للعرب حضارة عظيمة !

الشاعر الأسير

وإذا كانت مدينة قرطبة قد استغرقتنى وشدت كل انتباهى ، فاننى لايمكن أن انسى أشبيليه بشوارعها الجميلة الواسعة ، ورائحة زهورها وبرتقالها وياسمينها ، ونهرها المثير الذى يشطرها الى نصفين ، وأبراجها ومآذنها ، ومسجدها الذى تهدم وبنوا فوقه كاتدرائية أشبيليه ، تاركين الى جوارها حوض الوضوء كأثر باق يذكرنا بالمثل القائل : ويل للمهزوم !

وفى المدينة الصغيرة بحثت عن شاعرها وفارسها المعتمد بن عباد الذى أحب الأنس والطرب وتقلب فى الهوى وكاد أن يسقط ملكه تحت سنابك خيول الفونسو السادس ملك قشتالة لولا نجدة أمير المرابطين فى المغرب «يوسف بن تاشفين» الذى انتصر فى معركة الزلاقة فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وما كاد يسيطر على كل الاندلس ، حتى انقلب على المعتمد بن عباد فقتل ابناءه ، وعامل زوجته وبناته فى قسوة بالغة ، وأخذه مكبلا بالقيود إلى المغرب ، ليموت فقيرا فى مدينة إغمات ، وقبل موته كان دائما يبكى حاله بأبيات من بينها :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فجاءك العيد فى أغمات مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعة
يغزلن للناس ، لا يملكن قطميرا

ومن أجمل ما رأيت من مآذن فى حياتى ، مآذنة «الخيرالدا» ذات السبعة طوابق ، والتى يقال أن الملك الموحدى يعقوب المنصور بناها بطريقة سهلة حتى يتمكن من الصعود إليها بحصانه لرؤية مدينة اشبيليه من على ارتفاع ٩٦ مترا !
كما رأيت القصر العربى بنقوشه وزخارفه وحدائقه الغناء ، وهو القصر الذى اصبح مقرا لملوك اسبانيا منذ تغلبهم على العرب !
وعلى شاطىء نهر الوادى الكبير ، رأيت الحصن العربى القديم « برج الذهب » ورأيت قصورامتاثرة بالفن العربى الاسلامى ، وعشت لحظات مع راقصة الفلامنكو التى تضرب الأرض بقدميها على انغام صوت المغنى القوى المفعم بالحزن الضارب جذوره فى قلب كل الغجر التائهين !

قصر الحمـراء

وعند وصولى الى مدينة غرناطة ، أو المملكة المطوقة التى ظلت تقاوم فى بسالة طوال قرنين كاملين بعد الانحسار العربى فى الأندلس ، أدركت لماذا أحبها الشعراء والكتاب والفنانون وتغنوا بها فى قصائدهم ومجالسهم ، فهى جنة الأرض بما فيها من طبيعة حالمة وقصور وبساتين ومتنزهات وحفلات للغناء والموسيقى والرقص ومواسم للعصير !

ورغم كثرة المبانى الحديثة فى المدينة ، فاكثر ما يشدك إليها الشوارع الضيقة والميادين الصغيرة ذات الطابع العربى ، وكنوز العمارة الاسلامية المتمثلة فى الأبراج الحصينه العالية ، وقصر الحمراء بأروقته وقاعاته التى ترى فيها عظمة البناء وجمال الأعمدة والأقواس والابواب والنوافذ والقباب ذات الزخارف الجصية الملونة وبرك المياه المتناثرة وبهو الأسود الأثنى عشر التى تخرج المياه من افواهها وتحمل على ظهرها حوضا فى وسطه نافورة !

وعلى التل المقابل للحمراء رأيت جنة العريف بممراتها الخضراء واحواض زهورها ونافوراتها وسواقيها وبرك مياهها وقصرها الذى كان منتجعا لملوك الاندلس ! .

وفى أكبر ساحاتها وضعوا تمثالين لفرديناندو وايزابيلا فوق نصب مرتفع وامامهما الرحالة كريستوفر كولمبس يستأذن فى السفر لاكتشاف العالم الجديدبعد استقرار الحكم الاسبانى فى الاندلس ، وللرحالة قبر فى كاتدرائية مدينة أشبيليه ! .

رسوم فى قاعة الملوك بقصر الحمراء



الحلم والشمس

وسألت فى مدينة غرناطة عن يحيى بن باجه وأبى بكر بن طفيل ، فلم أجد لهما أثرا رغم انهما من ابناء المدينة ولهما فضل عظيم على العلوم الانسانية اعترف به العالم كله !

ابن باجه كان من الفلاسفة العظام الذين ظهروا فى الاندلس فى أواخر القرن الحادى عشر ، واشتهر بالطب والفلك والرياضيات والهندسة ، وبحث فى الحقيقة والعدل ، وطالب الحكماء بالابتعاد عن الملذات العامة ونزعاتهم والعيش على الفطرة ، وهو القائل بان الحياة السعيدة يمكن نيلها بالأفعال الصادرة عن الروية وتنمية القوى العقلية تنمية خالصة من القيود !

أما ابن طفيل الاندلسى الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فمازالت فلسفته تنال دهشة وإعجاب كبار رجال الفكر فى العالم ، ولعلنا عرفنا رائعته التى كانت مصدر إلهام لكثير من كتاب العالم وهى قصة « حى بن يقظان » التى قال لنا فيها أن الانسان يستطيع دون معونة من الخارج أن يصل الى معرفة العالم العلوى ويهتدى إلى معرفة الله وخلود النفس . !

وعند هذا الحد بدأت أودع غرناطة ، على أمل أن اعود إليها مرة اخرى ، لأحلم مثل كل الحالمين بتلك الأيام التى تحولت فيها مدينة واحدة الى جدار عظيم ، أوقف يأس هزيمة العرب فى الاندلس ، فى نفس الوقت الذى مضت فيه تعانق الفن وتبنى القصور الرائعة المكتملة الحضارة ، التى كان من أروعها قصر الحمرا الذى مازالت تدخله الشمس فى وضح النهار ، وطول العام من ٣٦٥ نافذة عربية تحدق فى صفحات الوجود بعيون عربية اعشاها الحزن منذ هجرنا كتاب التاريخ العربي القديم

كمال سعـد

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسى قنديل

رسوم: جمال قطب

حكاية هوى!



● استعدّ العامّة للحرب فنصبوا المتاريس .. واستعدّ المماليك فهرّبوا أموالهم

● كانت تحلم بطفل تحبّه .. وبشمس دافئة .. وقادها هذا الحلم إلى الخطيئة!

كانت (هوى) تنزف . أرادت طفلا فلم تجد إلا الدم . وهواء القاهرة ساخن . مشبع بالبارود وبرائحة الهزيمة الاولى ونفير الحرب كوخز الابر فى عروق الحارات المملوكية القديمة . وتذكرت (هوى) وقع صنوج بائع العرقسوس . ومنادى الحنة . وبائعى القرنفل والبهارات وعقود الخرز الملون . وكل شذرات طفولتها فى العطوف والحسنية . كانت تنزف وتغيب عن وعيها .. ويبدو خيال اسماعيل كاشف زوجها .. أو الأغا أفندى كما اعتادت أن تسميه . مختالا فى حلته الحربية كالطاووس .. كأن ما يحدث هو فتنة مملوكية أخرى . يصعد المنتصر فيها الى القلعة ، ويفر المنهزم الى الصعيد كان اسماعيل كاشف واثقا من النصر مثل وثوقه من اختيار زوجة تركية بضة بدلا من تلك المصرية النازفة ..

حمى البارود ..

هذا زمن السرقة والاوبئة والحروب والانبياء الكذبة .. وهذى أولى سنى الملاحم العظيمة . والحوادث الجسيمة . والوقائع النازلة . والنوازل الهائلة . وتضاعف الشرور . وترادف الأمور . وتوالى المحن . واختلال الزمن . انكاس الموضوع . وانقلاب المطبوع . وتتابع الاهوال واختلاف الاحوال . وفساد التدبير وحصول التدمير . وعموم الخراب . وتواتر الاسباب . وماكان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

فى الأزهر واصل الشيوخ اعتصامهم وهم يقرأون (البخارى) وفقراء الاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهمية يرفعون الاشارات الملونة . ويمضون بها كالمجانين عبر الطرقات المذعورة . لعل الغمة تنزاح . ياخفى الالطاف نجنا مما نخاف . جاء ابراهيم بك مكسوراً من (الرحمانية) سألوه عن الاعداء فأقسم انه لم ير أعداء . كل ماراه هو صفوف زرقاء متراصة تظهر وتختفى وسط سحابات البارود الكثيفة . وفكر العامة سريعا فنصبوا المتاريس من بر امبابة إلى بولاق . وفكر الامراء أسرع فأخلوا قصورهم وأخفوا رياشهم واستعد كل واحد للحرب على طريقته الخاصة ..

وانتهز الأغا افندى فرصة حمى (هوى) فأخلى البيت . وكانت الحمى تسرى فى أوصال القاهرة كلها . وكل نذر المأساه تتجمع فى امبابة . حضرت المراكب والغلايين المشحونة بالمدافع . ونجح مماليك ابراهيم بك ومراد بك وكلاهما يتحاشى النظر إلى الآخر . كانا مازالا متخاصمين وكل واحد منهما يتحين الفرصة ليهرب قبل صاحبه . وجاء الانكشارية والجراكسة والقاسمية والعزب المتفرقة والارناؤوط . ونصب (التغكجية) المدافع القديمة الصدئة . وألقى (الجربكية) أوامرهم للزعر والحرافيش ولم يجرؤ واحد منهم على القائها للجنود .. وكانت هوى تنزف . تنسرب الحياة منها قطرة فقطرة .

وامتلأت الحارات بأرباب الطرق الصوفية . ومجاذيب المحنة . وصعد عمر افندى مكرم الى القلعة واحضر بيرقا قديما متآكل الاطراف . نشره فتناثرت منه العتة . وكان الجميع فى حاجة لأن يصدقوا أن هذا هو البيرق النبوى .. وكان العالم كله يصب فى بر امبابة . و(هوى) لاتدرى متى خرج إسماعيل كاشف . لم يلق عليها كلمة وداع . وكان كابوسه الدائم باقيا على صدرها .

فشلت فى أن تحبه . وفشلت فى أن تنجب منه ابنا تحبه . تنافر الدم لدرجة الكراهية . عندما كانت صغيرة رأت مملوكا فأحبته . وكبرت فتزوجت مملوكا لم يكن يريدها طائعة . كان كل ليلة يأخذها عنوه كما تعود أن يأخذ كل شيء ...

ودوى صوت هائل . وارتجفت المدينة القديمة فى فزع . وصرخت (هوى) ..

ـ يا أغا افندى .. يا أغا افندى ..

والأغا افندى تائه فى البارود . لايفهم ما

حدث . عبر النهر من البر الشرقى إلى البر الغربى . وهدرت المدافع كأنها القيامة . وتقدمت الصفوف الزرقاء . مثل بحر زاحف لا يتراجع . اقتربت من المتاريس وانقسمت واستدارت وأصبحت تحاصر كل شيء . ودقت الطبول فانبعثت الآف الطلقات المتتابعة ورأى الأغا رفاقه يتساقطون .

وسدت هوى أذنيها . واحست بألم طاغ يقلص جسدها .. ثم غابت عن الوعى .

الوجه الشاحب

أحست بألم شديد . فتحت عينيها فوجدت أربعة وجوه غريبة تطل عليها . وجوه شاحبة بيضاء مستطيلة . عيونها زرقاء .. أهذه وجوه الموتى ؟ .. تمتم احدهم بكلمات سريعة غاضبة . وضربها فى جنبها بقسوة . صرخت وحاولت النهوض . فكرت فى ذعر . إنهم الفرنسيس . يرتدون حللا زرقاء متشابهة . ماذا حدث .. ؟ انفجرت فى البكاء . تراجع الجندى الذى كان يضربها . أشار الى اثنين أن يتبعاه . وبقى الثالث واقفا على باب الغرفة سمعت اصوات اقدامهم وهم يصعدون السلم . وهم يفتحون الخزائن ويثرون محتوياتها .. رفعت عينيها فى بطء فرأت وجه الجندى الشاحب المتعب يتطلع إليها ..

عاد الثلاثة . تحدثوا مع الرابع . تطلعوا إليها بشك واضح . ثم استداروا للانصراف . وتلكأ الجندى الرابع قليلا والتفت إليها . والتقت عيناهما فى ومضة خاطفة . وهذه المرة لم تشعر (هوى) بالخوف . تركوها حائرة . توقف النزيف ولكنها لم تكن تستطيع النهوض .

كانت القاهرة قد عاشت ليلة غريبة . ليلة بلا مماليك ولا جراكسة . ذهب الحكام القدامى قبل حلول الظلام . ولن يأتى الحكام الجدد قبل الصباح .. وعاشت القاهرة أقصر فترة استقلال فى تاريخها . هاجم الاوباش والجعيدية بيتى ابراهيم بك ومراد بك .. ثم هاجموا كل بيوت الامراء . وشبت نار هائلة فصرخ الجميع : إنهم يحرقون بولاق . وازداد تدافع الهاربين . وهرب الاعيان وأفندية الوجاقات والشيوخ ونقيب الأشراف . تركوا المدينة نهبا للحرافيش ..

وفى الصباح دخلت الطوابير الزرقاء المدينة وهى تدق طبولها . وصنعوا شارات الجمهورية المثلثة الألوان على بوابات الحوارى الضيقة . والأسبلة . والمساجد القديمة . والقصور المهجورة . ودخل قائمقام صارى عسكر بونابرته فوق جواده يستعرض مدينته المغلوبة ..

● كان الفرنسيس أشبه بالأطفال حين يعبثون .. حتى عندما حرقوا القاهرة وذبحوا نصف المماليك

ومر يوم وكانت (هوى) جائعة لحد الموت . عاجزة عن الحركة . سمعت طرقا خفيفا على الباب هل عاد الأغا افندى . ولو انه عاد فلن يطرق الباب . سيدفعه بقدميه . سمعت خطوات مترددة فوق السلم . شهقت . فتح الباب وبدا الجندى الرابع بوجهه الشاحب . بندقيته فى يد . وصرة غريبة فى يده الأخرى . صرخت .

ـ ماذا تريد ؟ ..

أوشك على التراجع . وضع الصرة على عتبة الغرفة واخذ يشير إليها ويردد كلمات غير مفهومة . ارتعدت . ماذا يريد هذا الكافر ؟ فتح الصرة . فيها بعض الخبز والجبن والفاكهة . اسند بندقيته على الجدار وفك الزرار العلوى من سترته وتنهد فى راحة وهو يضحك . لو انه هاجمها فكيف يمكن أن تهرب ؟ مد يده وتناول ثمرة (خوخ) وقضمها ثم لوى وجهه بطريقة مبالغ فيها ليظهر مدى طيب مذاقها . وضحك فابتسمت هوى . ومد يده بالخوخة فتناولتها . ولمست اصابعه فارتعدت . وعندما غرزت اسنانها لم تعد تشعر سوى بالحياة وهى تدب فى داخلها . نسيت الأغا افندى . والتهمت الخبز والجبن والفاكهة . وضحك الجندى النصرانى فمسحت يدها فى صدرها بخجل شديد .. كان لابد لها أن تأكل وأن تواصل الحياة ..

ظلا متواجهين . لم يتحرك أحدهما . كان هناك صمت . وترقب . وخوف . ثم اشار الى صدرها وهو يردد كلمة واحدة ..

ـ نيكولا .. نيكولا ..

وفى البداية لم تفهم . ولم يكف هو عن المحاولة .. ثم ضحكت .. وأشارت الى نفسها ونطقت اسمها أكثر من مرة حتى ردده فى صوت متعثر ..

ـ هفا .. هفا ..

سقوط العذاب

أيام قليلة واكتشفت القاهرة أنه لافرق بين الحكام القدامى والسادة الجدد . سكنوا بيوتهم . وجلسوا فى مجالسهم . وخلعوا القبعات الزرقاء ولبسوا العمائم المزركشة . ورتبوا ديوانا للمشايخ وأول ما طلبوه من الديوان خمسمائة ألف ريال من التجار على سبيل السلفة بطبيعة الحال . وسألوهم التخفيف فلم يجابوا . ثم صادروا الخيل والجمال والحمير وكسروا دكاكين سوق السلاح . وامتلأت شوارع القاهرة بهذه الحيوانات المصادرة محملة بالفرش والصناديق والرياش . وقبضوا على البنائين والخدم والعبيد الذين يعرفون خبايا البيوت لكى يدلوهم على الودائع والدفائن . وأعدموا الأوباش بالرصاص واخذوا منهم ما سرقوه . ثم قرروا خمسمائة ألف ريال على اهل الحرف على سبيل السلفة أيضا . وشرعوا فى تكسير ابواب الدروب والحارات ليفسحوا الطرق الضيقة أمام جنودهم ..

واستردت (هوى) حمرة وجهها الدافئة . تفتحت مثل زهرة شرقية . ووقف نيكولا مبهورا أمامها وهو يراها للمرة الأولى تحت شمس اغسطس الحارة . ترددت طويلا قبل أن توافق على الخروج معه وهو يواصل الزيارة والالحاح . وتولدت بينهما لغة مشتركة خليط من الكلمات المضغومة . والاشارات واللمسات بفعل الضرورة والتقارب اليومى .

منذ أن تزوجت من الأغا لم تخرج من هذا البيت . وكانت تعتقد أنها لن تخرج منه الا الى القبر . ماتت اصوات الطفولة بداخلها وتحول ايقاعها اليومى إلى صمت وانتظار وإغتصاب وكانت واثقة أن العيون تطل عليها الآن من خلف المشربيات .. وحمل اليها الهواء الغمغمات الشامتة المقهورة ..

أوشكت على التراجع . ولكنها خرجت . وقفت وسط الحارة . وسط المدينة التى تسودها كآبة الاحتلال .. سألت نيكولا ..

ـ إلى أين نذهب ؟ ..

ولم يفهم . قادها فسارت خلفه عبر دروب طفولتها الموحلة . وهـودج عرسها الغريب . والحوانيت المغلقة وعليها الشارة المثلثة . قالت يا أبى احضر لى مملوكا صغيرا العب به .. فأصبحت لعبة مملوك . السروجية والغورية والأزهر . قالت يا أمى اصنعى لى حجابا ضد العشق . فجاءها العشق ممتزجا بالعار . والازهر محاط بخيام الفرنسيس وأمام باب المسجد يرتفع العلم الثلاثى الالوان . أحاط بهما الجنود . صفقوا بأيديهم طربا . ومد أحدهم يده يمسك خصلة شعرها . ردته بعنف . ونيكولا يضحك . يشاركهم فى الدوران حولها . ماذا لو عاد الأغا الآن ؟ ماذا لو عرف انها رأت الشمس ورقصت مع الفرنسيس . جذبها نيكولا وهو يضحك . كانوا أشبه بالاطفال . دون لحى .. ودون عمائم ضخمة .. كأنهم كانوا يعبثون عندما حرقوا القاهرة وذبحوا نصف المماليك فى موقعة واحدة ..

وقفا امام بائع فطير . اخرج نيكولا قطعة فضية . أخذها العجوز وضغط عليها بأسنانه وحين بدأ يعد الفطير لمح (هوى) فرمقها بنظرة احتقار مريرة وناولهما الفطير فى صمت ثم استدار الى المشهد الحسينى .

سارت حتى لامست الازهر . شهقت حين رأت بعضا من المماليك جالسين فى رواق المسجد . أوشكت أن تهرب لولا أن نيكولا امسكها واقترب منهم . اخرج قطعة فضية أخرى والقاها على الأرض .. هرعوا . زحفوا على الأرض كالديدان .. صرخوا .. أنشبوا أظافرهم فى وجوه بعضهم .. تقاتلوا .. تحولوا الى شحاذين .. والأغا افندى لم يكن بينهم ..

تركتهم وقد ازدادت ثقتها فى نيكولا . لم تعد تهتم . لن تترك هذه الشمس الساطعة التى تملأ عروقها بالدم الحار المتدفق . ولا الميادين المليئة بالشارات وبوابات النصر ولا النزهة عند فم الخليج . ولا ركوب الحمير فى سفح الهرم .. لم تكن وحدها .. كانت وسط عشرات النساء الفرنسيات .. وعشرات من اللاتى فر أزواجهن .. وعشرات الجوارى اللاتى فررن من اسيادهن .. فى المطاعم وخمارات الأروام ، يتحدثن ويسكرن ويرقصن .. ويشاهدن صواريخ الاحتفال . ويحتفلن بقيام الجمهورية .. وسقوط الباستيل .. وأحست بأنوثتها تتفجر من كل يوم تحت الشمس وانامل نيكولا ..

لكن اسماعيل كاشف لم يكف عن مهاجمتها فى الكوابيس الليلية . واهل البلد يتطلعون الى وجهها فى خوف والى ظهرها فى احتقار .. والقاهرة كلها يسودها سؤال : إلى أين تسيرين يا هـوى .. ؟ ..

الجثث لا تتكلم

غاب نيكولا ثلاثة أيام كاملة . ذهب يطارد فلول المماليك التى تهاجم اطراف القاهرة من ناحية الصعيد .. وفى هذه



الأيام الثلاثة تخيلت عودة الأغا افندى أكثر من الف مرة .. كان وقع الأقدام وبريق العيون خلف المشربيات وضجة البائعين وتوسل الشحاذين .. كلها نذر متوالية .. ثم جاء نيكولا . ملطخا بآثار السفر والقتال . احتضنته كأنما تستنجد به ، وشرح لها من خلال لغتهما المشتركة كيف هزموا المماليك وقتلوا عدداً منهم واحضروا جثثهم الى القلعة فى عربة كبيرة .. وهتفت هوى ..

ـ أريد أن أرى هذه الجثث ..

حاول أن يشرح لها أن الجثث ليست أكثر من جثث بمجرد أن يراها صارى عسكر بونبارته سوف يأمر بدفنها . لكنها صممت . سارت فى شوارع القاهرة وهى ترتجف . كانت القلعة رمادية . والمقطم متجهم . وتناقش نيكولا طويلا مع زميله الفرنسى حتى أزاح الباب الصدىء وسمح لهما بالدخول . وهبت رائحة عفنه ثقيلة فأوشكت أن تتقيأ .. جثث كثيرة ممزقة بلا ملامح مميزة . دم وبارود ورمل . كتل شائهة من الملابس الممزقة واللحم المتناثر .. فى اوضاع مختلفة . فاغرة الافواه . متحجرة العيون . كأنها وهم .. كابوس بصرى .. احست انها تتوحد مع هؤلاء القتلى ، وانها مكسورة الخاطر بلا أى اطمئنان داخلى .. لم يبق من مهارة العشق إلا لحظة احتضار طويلة خالية من الشهوة .. كل الجثث تشبه اسماعيل كاشف .. ولا يوجد بينها اسماعيل كاشف ..

حين هبطت من القلعة كانت ترتعد . وضمها نيكولا فزادت رعدتها وتمتمت فى مرارة حقيقية ..

ـ لماذا لم يمت .. لماذا لم يمت ؟ ..

البيت .. القاهرة .. الفرنسيس .. مصيدة قاتلة .. لم يعد من المجدى أن تضحك بصوت عال . أو تقلد اللهجة الفرنسية الناعمة أو تجلس فى المسرح وتتظاهر بالفهم أو تلبس ثوبا عريان الصدر أو تشرب دون إحساس بالخطيئة .. الكوابيس الليلة أصبحت ألما ممضا .. تحولت الى إحساس عميق بالذنب ..

ونقلها نيكولا إلى إحدى البيوت الخالية التى تطل على بركة الازبكية بيت مملوك هارب . وفر بونابرته من مصر . وجاء صارى عسكر آخر يدعى كليبر لم يكن نيكولا يحبه

● عندما طارد الفرنسيس فلول الأتراك عند بلبيس .. ونزل الناس فى الشوارع

لأنه كان عسكريا صارما لايعرف الرحمة .

والقاهرة بدأت تتحفز من جديد . تريد أن تطرد الجسم الغريب الذى يخز جلدها . وتطايرت الانباء عن وصول جيش تركى كبير الى الديار الشامية فى طريقه الى مصر وعلى رأسه الوزير الاعظم يوسف باشا .. وبدأ الانجليز يفرضون حصارا قاسيا على الشواطىء .. تحول الفردوس الشرقى الى جحيم حقيقى . أصبح نيكولا قاسيا كأنه مملوك شرس . يهرب من الشوارع المعادية الى جسدها . يؤكد عليه نجاح غزوته . ويمارس فيه حق السلب اليومى . وفى احيان كثيره كانت هوى تنادى عليه يا أغا افندى .. لم تحس بأى أمان وظلت فى الازبكية لأنها عاجزة عن الذهاب الى الموسكى .

وسمعت اخبار الصلح بين الاتراك والفرنسيس .. ورأت بعض الفرسان الاتراك يتجولون فى الشوارع بلا سلاح .. وغدا سيأتى اسماعيل كاشف . ونيكولا مشغول يجمع ما يمكن جمعه ويربطه ويعده للرحيل . تماما مثلما فعل الأغا افندى . تباعد عنها .. ولم يعد يخرج معها حتى لا يثير الناس ضده .. وفقدت اللغة المشتركة ايقاعها ..

ثم دخل رسولان من اهم رسل الوزير الاعظم .. أمير المكوسات ومحكر الاقوات .. وكان أول مطلب لهما هو مصادرة الأموال بما يكفى لخروج الفرنسيس . ودخول جيش السلطان نصره الله .. ودفع الناس على سبيل السلفة لأول مرة فى التاريخ بنفس راضية .. وتعالى الدعاء فى شوارع القاهرة

ـ سنة مباركة .. وذهاب للكفرة ..

حتى مراد بك ولى هاربا الى اقصى الصعيد . ارسل يطلب ثيابا وطرابيش وكساوى له ولمماليكه . وارسل الانجليز الى الاسكندرية يطلبون مؤنا لمراكبهم .. واستعد العربان والجعيدية وقطاع الطرق .. وكانت القاهرة مثل طائر ذبيح .. لا يموت ولا يكف عن الترنح ..

الموتى يستيقظون ..

ثم انهار كل شىء . لم يأخذ الفرنسيس من الانجليز الأمان الكافى لعبور البحر كان الاتراك ينتظرون فى بلاهة . فاستدار الفرنسيس ناحيتهم واطاحوا بهم كالعادة .. وولى الوزير الأعظم الادبار .. واستيقظت القاهرة وقد احست بالخديعة.. كان الفرنسيس يطاردون فلول الاتراك عند بلبيس .. ونزل الناس الى الشوارع .. انقضوا على جنود الحامية . وتجمع العامة على تلال باب النصر بأيديهم العصى والنبابيت والقليل من السلاح . اجتاحوا الأزقة . ووجدوا مدفعين قديمين فى المطرية . واشترك الرجال والنساء والاطفال فى دفعهما حتى الازبكية واخرج التجار اثقال موازينهم .. ومزق الرجال قمصانهم .. وتبرع العطارون بالبارود .. وصنعوا من كل هذا قذيفة واحدة قذفوا بها بيت صارى عسكر .. والله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان .. اغلقوا الابواب القديمة .. وانشأوا معملا للبارود فى الخرنفش وحضر الفندقجية والجربجكية والحدادون والسباكون وتكاتفوا جميعا وصنعوا مدفعا أخر . وزغردت النساء والمدفع يخرج وسط الحوارى كأنه سلطان مصرى اصيل ..

حفروا الآبار القديمة واخرجوا منها قذائف مطمورة وفتائل وأسياخ وتعاويذ مجهولة وايقونات وجعارين .. وصنعوا متاريس من كل التذكارات القديمة ..

وكانت (هوى) وحيدة عندما هاجمها العوام . جذبوها من شعرها الى الوحل . ما كان يجب أن تكونى رخيصة الى هذا الحد . فتحوا الخزائن ومرقوا الثياب الفرنسية والشارات والمناديل المعطرة داسوها بالاقدام ، واثخنوهـــا ، وملأوها بالجـــروح . ذات مرة حلمت بالشمس وبطفل جميل . وقادها هذا الحلم الى الوحل

واصم دوى المدافع كل الآذان . عاد الفرنسيس . وبدت المدافع التى اصلحها الناس مثل لعبة أطفال . وقصف الفرنسيس كل شىء بلا رحمة . نصبوا مدافعهم فوق القلعة وتلال المقطم واطاحوا بكل المآذن والقباب وهبط القنبر الحارق على كل الربوع القديمة .. ثم بدأ القتال الضارى فى الشوارع . وخلف كل متراس . وجمعت هوى مابقى من نفسها وعادت الى الموسكى .. لم يلتفت احد إليها . غرقت فى غيبوبة جديدة تتداخل فيها صيحات القتال وقدوم الاغا وأول ليلة من ليالى زفافها .. وعملية ختانها وهى صغيرة . وأشعلت الحرائق فى كل بيت من خط الفوال حتى خط الرويعى وحارة



● كانت هوى وحيدة عندما هاجمها العوام .. جذبوها من شعرها إلى الوحل .. وعندما أطبقت الأصابع على عنقها .. كانت تحلم !

النصارى . وخلع المشايخ شارة الديوان وصعدوا فوق المآذن المكسورة يحرضون الناس على القتال ،، وتقلبت القاهرة على شواظ البارود عشرة ايام كاملة ..

وفرض الفرنسيس حصارا قاسيا .. ورغم جهود الشيخ المحروقى .. فقد امتد الجوع بطول الازقة . واصبحت بولاق كتلة من اللهب . وطاف فارس فرنسى يرفع راية بيضاء ويصيح ..

ـ أمان .. أمان .. سوا .. سوا .. فمن الذى ينصر السلطان ويهزم فرط الرمان والقتلى فى الحوارى لاتجد من يدفنها ؟ ..

مرة أخرى ذهب المهزومون للاعتذار . وجاء نيكولا إلى الموسكى واستولى عليها ثمنا لانتصاره . وسارت خلفه . عبر الحرائق والجثث والمتاريس والمدافع المحطمة والبيارق المكسورة . وفرض جباة الفرنسيس غرامة قاسية . وقادوا الشيخ السادات سجينا الى القلعة .. ولم تكن هوى تنتمى لأحد .

مضت الأيام مثل كابوس يومى متكرر . استولى الفرنسيس على مخازن الغلال وصادروا الجمال والبغال . فرضوا غرامة اخرى . قتل كليبر فى حديقة منزله . وقتلوا القاتل ومثلوا بجثته وجاء صارى عسكر جديد ، وحل عيد الصليب فأمروا الناس بتعليق الزينة . واطلقوا الصواريخ فبكت الناس فى بيوتها قهرا . وزاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرق وسقطت البيوت المطلة على الخليج . وأمروا بجمع الشحاذين ، واستولوا على الأوقاف . وعمت رؤية هلال رمضان . وصام الناس صوما طويلا لم يعقبه عيد . وكانت كسوة الكعبة تالفة . أكلت العتة اطرافها . ومحت الرطوبة نقوشها . واصر الفرنسيس على خروجها وسفرها لتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية . وانتشر الطاعون . ومات به مراد بك . وكانت هذه هى حسنة الطاعون الوحيدة . وجاء الاتراك مرة أخرى . وواصل الانجليز حصار الشواطىء وانهزم الفرنسيس هزيمة صغيرة عند الرحمانية ولكنها كانت كافية . وانتشرت موجة من الاغتيالات بين الجنود الفرنسيس ..

وبدأت المفاوضة على الانسحاب من جديد . واطلقوا المساجين كبادرة حسن نية . وخرج الشيخ السادات محطما . ودوى مدفع عند الغروب من قلعة الظاهر وأذن منها للعشاء ثم للفجر وتطلع الناس إلى القلعة فى دهشة .. وجاء الصباح فرأوا البيرق العثمانى فوقها ..

الرحيل الى الموت ..

استعد الفرنسيس للرحيل بعد ثلاث سنوات واحدى وعشرين يوما مريرة واستعد العثمانيون للدخول بعد ثلاثة قرون مظلمة .. لا أمل ..

سارت هوى خلف الجيش المنسحب . هل هناك طريق آخر .. ؟ .. سارت شمالا حتى رشيد .. ووقفت وسط أرض الملاحات الموحشة .. خذنى معك يا نيكولا الى بلدك الغريب .. صاح فيها

ـ مارسيليا ..

هذا بلده .. ولعله اسم زوجته واطفاله إن كان له زوجة واطفال .. صرخت .

ـ سيقتلوننى

فلم يفهم .. اعطاها قطعة ذهبية فضحك الجنود . ودوت المدافع . وكان لابد من الرحيل . واضيئت المنابر لمدة سبعة أيام . وتعالت التكبيرات . وبقيت وحيدة . وسط شوارع غريبة . وكانت جرذان الطاعون كثيرة فاختبأت وسطهم .. واحست ببطنها غريبة فصرخت إنها أم .. إنها حامل ..

هذا الشىء الذى يتكون يجب أن يعيش . حلمت به طويلا . وانتظرته طويلا . وليس ذنبه انه جاء ملوثا فى زمن كله ملوث . من يملك أن يغفر له .. لا لها . هى فى حاجة ملحة للعقاب لعل ذلك يمنحه قدرا من الخلاص ..

تركت خرائب بولاق . الى الموسكى . دارت حول بيتها القديم . كان مضيئا ينبض بالحياة هل يمكن للأغا أفندى ان يفهم . هل يمكن لأحد فى هذا العالم أن يفهم . طرقت الباب وجرت إلى أول الحارة . توقفت . وشهقت بعنف . وفتح الباب وبدا اسماعيل كاشف واقفا . اشار لها أن تأتى فسارت إليه ببطء . والهواء البارد يلفحها . لم يعدها بشىء . ودخلت البيت مقرورة . كان مفروشا بالرياش الثمين . باهرا كما لم تر ه من قبل لم يوجد فيه امرأة أخرى بعد . تركها تتكوم فى الركن مثل كلبة ضالة . واشعل كل مافى المنزل من شموع ربما ليتفرس فيها جيدا . ثم أحضر غليونه وجلس أمامها وأخذ يدخن فى هدوء .. وأخيرا قال فى صوت أجش ..

ـ هل انت حامل ؟ ..

قالت .. أجل .. فى وهن وساد الصمت ثم قال :

ـ كم كانوا ؟ ..

توسلت وهى تبكى .. يا أغا افندى .. ياأغا افندى ..

صرخ فيهـــا ..

ـ كم كانوا ؟ ..

ـ واحد فقط .. فقط ..

قال فى برود .. أمر لا يصدق .. وتركها متكومة فى الركن . وانصرف الى حجرته . وظلت جالسة ترتعد حتى الصباح . وخرج اسماعيل كاشف مبكرا بعد أن أغلق الباب خلفه باحكام . صعد الى القلعة . كان حسين باشا القبطان جالساً يحصى النقود التى جمعها من القاهرة على سبيل السلفة ، وقال اسماعيـــل :

ـ ياباشا عادت زوجتى واعترفت .

قال الباشا فى اختصار :

ـ تكسر رقبتها فورا ..

قال اسماعيل :

ـ أفضل أن افعل هذا بنفسى ..

ـ عفارم اغا .. اكسرها جيدا أغا .. اكسرها جيداً ..

وهبط اسماعيل من القلعة . والشمس غائمة ، و(هوى)مكومة فى الركن نائمة من الاجهاد والاحلام الخائبة .. وفكر اسماعيل إن البيت لا يجب أن يتسخ بأى قطرة من دمها ..

وافاقت (هوى) فى ذعر واصابعه على عنقها . كانت تحلم بالطفل الذى لن تلده أبدا . وضغط الأغا ، حاولت فى وهن أن تقاومه . وتحشرجت انفاسها .. وفى ومضة واحدة . ضج فى اذنيها صوت صنوج بائع العرقسوس . وآذان الفجر من المشهد الحسينى . وغناء الملاحين عند وفاء النيل .. ونداء باعة الحنة والقرنفل والبهار وشغف الهوانم ،، واطبق الظلام .. ولكن الاصوات المتداخلة الاليفة ظلت ترن فى اذنها كأنها لم تمت .

محمد المنسى قنديل

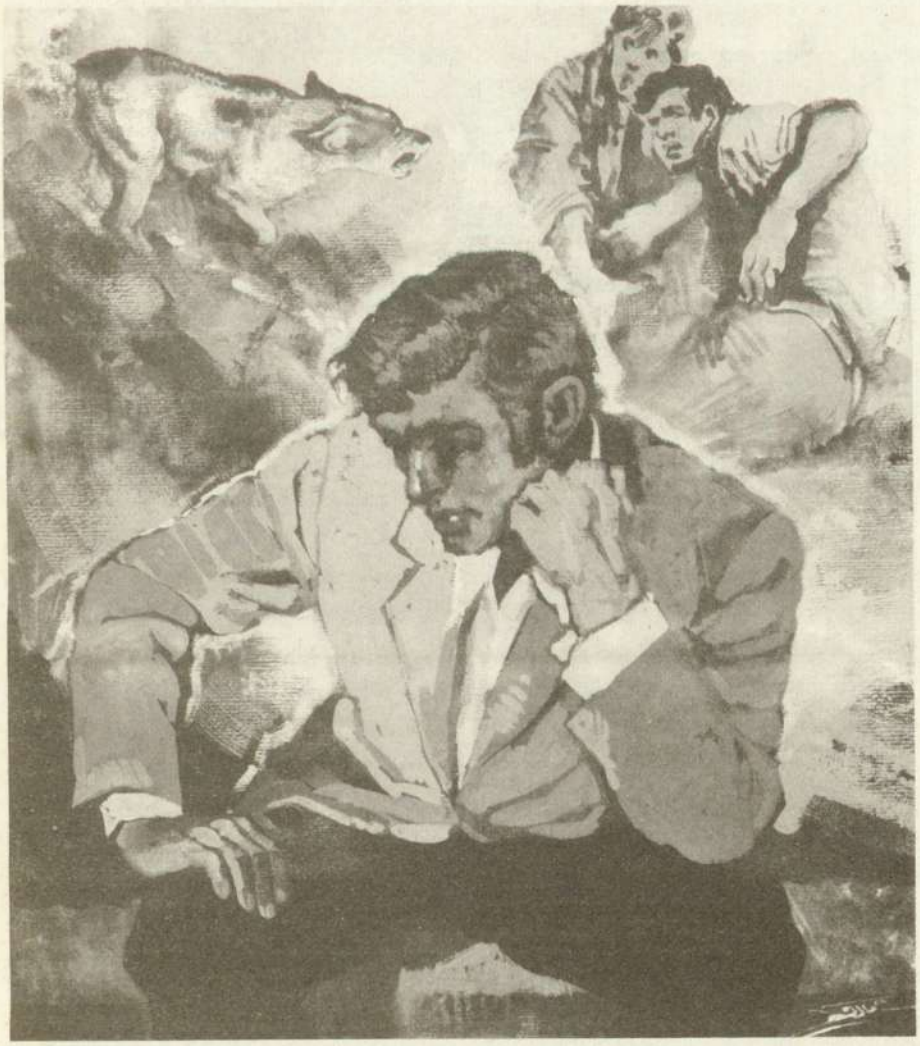
بقلم : عاطف سعودى

الحذاء

أخذ جلال ينظر الى حذائه القديم في اعجاب شديد كأنه يراه لاول مرة صحيح انه حذاء قديم متهرىء لكنه وفي ·· رائع الوفاء · وصحيح انه حائل اللون جريح البشرة لكنه لطيف الصحبة طيب العشرة · وصحيح ان الثقوب التي في نعله لا تجد ما يسدها سوى اسفلت الشارع لكنه أقام الدليل على انه اشد حرصا على قدمي صاحبه من امتن الاحذية وأقواها · وهو الى ذلك ابكم لا تصدر عنه تلك الموسيقى الرتيبة التي تصدر عادة عن الاحذية الجديدة ·· الا انه عزف هذا الصباح لحنا صامتا عنوانه « الصبر عند البلاء » جاء أروع من كل الموسيقات ومن كل الالحان ·

كان جلال حتى هذا الصباح على اعتقاده القديم بأن القدر يعانده ·· يقف له بالمرصاد يتحداه ويختصه وحده دون سائر الطلبة في الكلية بأعتى الكوارث واصعب النوازل · وهل هناك أشد من كارثة الفقر على الانسان ؟ جلال طالب فقير · فقير لدرجة ان الحذاء الذى هو ضرورة الضرورات اصبح بالنسبة له أمر عسير ·· بعيد المنال ·· حلم من الاحلام · حذاؤه الذى في قدمه صار كأنه صديقه الحميم أو صاحبه الذى لا يقوى على فراقه · لا ينسى جلال ابدا التاريخ الذى اشترى فيه هذا الحذاء لسبب بسيط وهو انه نفس التاريخ الذي دخل فيه الى الجامعة منذ سنتين · كانت مناسبة تاريخية في حياة جلال هي انتقاله الى مرحلة دراسية جديدة فاشترى له والده حذاء جديدا رغم ان حذاءه الاسبق كان وقتها لا غبار عليه وفيه من الرتق الكثير · وظل حذاء الجامعة هذا في قدميه وحيدا بغير حذاء زميل يعاونه او يحل محله أو يسمح له باجازة ليستريح أو يرم جلده · ينتعله جلال في كل مكان · حتى في داخل البيت لا يجد الحذاء

اذا توضأ جلال شرب الحذاء سؤر المتوضىء وعام ما بداخله في الماء واختلط الماء بالعرق وترسبت الاملاح في مسامه فيصيبه من التشققات ما يصيب · واذا لعب جلال الكرة في الشارع امام البيت تلقى الحذاء لطمات الكرة الصارمة الشديدة على وجهه وجانبيه وأحيانا على مؤخرته وكعبه وداسته الاحذية الاخرى وركلته والويل كل الويل له لو افلتت الكرة من جلال فشاط الارض · عندئذ لابد أن يتخرشم وجهه أو ينفصل بعض جلده عن نعله فيئن ويتوجع في سكون وينزف نزيفا داخليا · اما اذا اخطأ جلال في التصويب او قلشت منه الكرة فان مفاصله كلها تتسيب في عنف ويشعر بوطأة المسامير المنغرزة فيه وتشتد عليه آلام الجراحات الخوالي · ماذا يفعل الحذاء المسكين ؟ هل خلت الاقدام من الرحمة حتى يعامل هذه المعاملة التي لا يحتذيها الا الجبابرة من البشر · حظه العاثر هو الآخر وقدره هو الذي اراد له ان يقع في قرعة جلال · ورغم ذلك صبر الحذاء · وصبر جلال عليه · كل منهما بات يتوقع أن يأتي الفرج يوما ما فيحال الحذاء الى الاستيداع وترتاح ما تتبقى منه من اطلال · ويستريح جلال منه هو الآخر فقد





سئم منظره البشع وصورته القبيحة. كم واراه جلال خجلا منه اذا جلس مع زملائه فيدفع بقدميه الى الخلف من المقعد اما ان كان واقفا فانه يهمل رفع بنطلونه عامدا حتى يغطي الحذاء تغطية كاملة فاذا كان في المصلى كان اول الخارجين منه حتى لا يراه المصلون وهم خارجون من الجامع .

والآن هاقد بدأ العام الجديد وكل الطلبة يدوسون نعالا جديدة الا جلالا هل يذهب الى والده ويقول له اشتر لي حذاء جديدا وهو لم يدفع مصاريف اخته التي تتعلم هي الاخرى في الجامعة ؟ هل يقول له ذلك وهو يعلم ان ايجار البيت الشهري لم يدفع حتى الآن . ام يطلب منه هذا الطلب وهو يعلم ان والده محتاج الى حلة جديدة بصورة اشد الحاحا من حاجته هو الى حذاء جديد .

سكت جلال حتى قام والده بسداد اجرة البيت ودفع لاخته مصروفات الجامعة واشترى قطعة من القماش وارسلها الى الخائط ليقوم بتفصيلها حلة جديدة له . وعندئذ تنفس جلال الصعداء واقبل على والده :

● اريد حذاء جديدا يا أبي .

ـ امهلني شهرا فقط يا بني .

● حذائي اصبح غير لائق بالمرة .

ـ استحملت الكثير يا جلال ولم يبق الا القليل .

وصبر جلال على مضض طوال الشهر . صبر اذ رأى الدراجة البخارية التي اشتراها زميله حسني واصبح يأتي بها كل صباح ليملأ فناء الكلية بفرقعتها الشجية . وصبر اذ رأى ساعة زميله محمود الجديدة التي توضح الوقت باللمس او الاشارة وهي تبرق حول معصمه وصبر اذ رأى « الكالكيوليتر » الجديد الذي يتباهى به سعودي لانه يساعده في اجراء اعقد المسائل الحسابية من ضرب وطرح وجمع وقسمة في لمح البصر أو اسرع .

واقترب اليوم الموعود . كان جلال خائفا من هذا اليوم الذي ينتظر لقاءه . هل سيأتي حاملا امله محققا رجاءه المتواضع ؟ ام تظهر في الافق طلبات منزلية جديدة تذكيها أولويتها والحاحها فيضطر الى الانتظار شهرا طويلا جديدا . ذكر نفسه بأن القناعة كنز لا يفنى وبأن الصبر مفتاح الفرج وبأن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن . هذه العبارات وأمثالها عزى بها نفسه حتى لا تضيق به الدنيا بما رحبت اذا ما تأجل طلبه هذا الشهر أيضا .

وجاء أول الشهر فأعاد جلال الطلب وابتسم الوالد .. آه .. الحمد لله لا يبتسم الوالد الطيب الا اذا كان متأكدا من أنه سيدخل السرور الى نفس ابنه الحبيب فليس أكثر ما يدخل السرور على الاباء من اجابة طلبات الابناء .

وعدك يا أبي الذي واعدتني به أتذكره ؟

ـ ط .. طبعا يا بني كيف أنساه . سأحققه لك .

متى يا أبتاه ؟

ـ أول الشهر القادم ان شاء الله .

خيبت تلك الاجابة أمل جلال لكنه لم يعلق عليها . اختلس الوالد نظرة الى وجه ابنه ليرى كيف يكون رد الفعل . ولم ينتظر الاب الذي فهم في التو واستدرك في الحال :

ـ أقل لك .. لا تبتئس يا بني . خذ ثمن الحذاء هذا الشهر .. وسأتصرف أنا .

كان جلال يعرف أن والده لم يذهب الى الخائط ليتسلم حلته الجديدة رغم أن الخائط قد انتهى من تفصيلها وتجهيزها له . لابد أن والده يتوق الى ارتداء الحلة مثلما يتوق هو الى حذاء جديد .

لا يا أبي .. عندي فكرة أجمل . اعطني جنيها واحدا زيادة في مصروفي هذا الشهر وأنا الذي سأتصرف .

ـ ماذا تفعل ؟!

سأعمل عمرة شاملة لحذائي فهو قادر على التحمل وأول الشهر الجديد اشتري حذائي الجديد .

وتمت العمرة المطلوبة للحذاء القديم وجاء أول الشهر الجديد وكان أول شيء فعله الوالد أن أعطى جلال ثمن حذائه كاملا .. عشرة جنيهات كاملة .

ذهب جلال الى الكلية في هذا اليوم منتشيا سعيدا . اليوم اليوم .. لا غدا بعد أن تنتهي الدراسة في الكلية سيعود الى منزله ويتناول طعام الغذاء ويستريح قليلا حتى تفتح المحلات أبوابها لفترة ما بعد الظهر تم ينزل مباشرة من المنزل ويركب سيارة اتوبيس أو لعله من الافضل أن يستقل سيارة اجرة . نعم سيأخذ سيارة اجرة لانها اسرع من ناحية ومن ناحية لابد له ان يحتفل بالحذاء الجديد لكن لا .. فكر جلال قليلا وفضل ان يفعل العكس . سيركب سيارة الاتوبيس المزدحمة وهو ذاهب فلا ضير من أن يدهس احد قدمه وبها هذا الحذاء القديم . اما في العودة من المحل الى المنزل فلابد .. نعم لابد ان يركب سيارة اجرة . كلام معقول سيكون ساعتها منتعلا حذاءه الجديد الذي انتوى ان يلبسه في المحل ويبدأ في استعماله منذ اللحظة الاولى التي تلج قدماه فيه . سيكلف البائع ان يضع له حذاءه القديم في صندوق الحذاء الجديد ليخفيه عن الاعين . كفاه ما ناله منه من احراج وكسوف وازدراء . فكر جلال كذلك في طريقة مناسبة للتخلص من حذائه

الحـــــــذاء

القديم آه فكرة رائعة ·· عندما يستقر الحذاء القديم في صندوق الحذاء الجديد ويركب سيارة الاجرة وهو عائد يلقيه من نافذة ··لا·· عيب·· عيب كبير ان يراه المارة وهو يلقي بشيء من نافذة السيارة وربما اسرعت سيارة اخرى من الخلف لتعيد الشيء المسقوط منها ··احسن شيء ان يتعمد نسيان اللفافة في سيارة الاجرة · سيمضي السائق بسيارته بعد ان يقتضي منه الاجرة لا يلوي على شيء حتى اذا ما اكتشف « الهدية » التي نسيها جلال لم يستطع بطبيعة الحال ان يهتدي الى عنوانه لانه سيغادر السيارة قبل منزله بعدة منازل وعندئذ سوف ينوب عنه السائق في التصرف الذي يليق بمقامها ·· صندوق القمامه !! نعم سيكون صندوق القمامة هو نهاية المطاف والمقر الاخير لهذا الحذاء البالي ·

وفي الكلية تقابل جلال مع زميله وصديقه فتحي · فتحي والده ثري· يشتري والد فتحي لابنه الاحذية بمناسبة وبدون مناسبة · هذا حذاء اسود لفصل الشتاء وهذا حذاء ابيض لفصل الصيف وذاك بني او ملون للخريف او الربيع · تدور دورة الاحذية في قدم فتحي مع دورة الفصول ومع حركة الارض حول الشمس · نظر فتحي الى قدم جلال وامتعض :

ـ يا اخي ·· يا اخي ارجوك ·· اعتق هذا الحذاء بربك

● اليوم أفعل يا فتحي · سأشتري حذاء جديدا بعد الظهر

ـ اذهب معك يا جلال ·· فحذائي هذا لا يعجبني

● لكنه حذاء جديد يا فتحي ·· خسارة

ـ مللت منه وبالسوق احذية نزلت آخر موضة ـ فهل تصحبني ؟

● طبعا يا اخي ·· على الاقل استفيد من خبرتك وانتقي حذاء جميلا ·

واتفق الصديقان على اللقاء في نفس اليوم · كما اتفقا على المكان



الذي سيتقابلان فيه · وانتهى اليوم الدراسي وآب كل منهما الى منزله ليتناول غذاءه ويستريح · وصل جلال الى منزله والبشر يواكبه في كل خطوة يخطوها والسعادة تملأ جوانحه · سيتساوى رأسه مع رأس فتحي عندما يسيران على قدم المساواه كل منهما سيكون بقدمه حذاء جديد هكذا كل شيء في الدنيا له آخر وقديما قالوا « اللي له أول لابد له آخر » ·

وصل منزله ·· طرق باب شقته ·· لم يجبه احد ·· تحول الى الشقة المقابلة · عرف من جاره ان والده قد استدعي من عمله ليحمل والدته الى ·· المستشفى فقد فاجاها نزيف شديد · عرف جلال ايضا الحقيقة ·· عرف حقيقة قدره الذي يعانده دائما ·· فوض امره لله وطار الى المستشفى ليطمئن على والدته الحبيبة وجدها قد دخلت غرفة العمليات والطبيب الجراح وزميله طبيب امراض النساء ومعاونهما دكتور البنج ·· ثلاثتهم معها يجرون لها العملية اللازمة لوقف النزيف ·

شاهد اباه على باب الغرفة يتمتم ببعض آيات الكتاب الكريم · لم يتحدث احدهما الى الآخر · ولم يشعر جلال بيده وهي تمتد الى جيبه لتلتقط الورقة ذات العشرة جنيهات وتحتضنها في الظلام · ولم يشعر والد جلال بيد ابنه وهي تدس الورقة في جيبه ليعيدها له حتى يستطيع ان يجابه نفقات علاج امه ·

تغيب جلال عن الدراسة يومين حتى تماثلت امه للشفاء وعادت الى المنزل وفي اليوم الثالث صحا جلال وارتدى ملابسه وحذاءه القديم وخرج قاصدا كليته فالتقى بزميله فتحي كعادتهما· كان فتحي يرتدي حذاءه الجديد ·· ياله من حذاء · اسود اللون لكنه ساطع ·· يخطف البصر ·· ويسر النظر ·

ـ هكذا مواعيدك يا جلال ·· ؟

● معذرة يا فتحي ·· والدتي كانت مريضة ولم استطع الحضور حسبما اتفقنا ··

ـ وما حالها اليوم ؟

● احسن ان شاء الله ·· مبروك على الارض ·· بكم حذاؤك هذا ؟

ـ بخمسة عشر جنيها فقط

● تعيش وتدوب يا اخي ·

ومضى الصديقان على الطريق · قطعا شارعا والذي يليه واقتربا من الكلية وفجأة ·· انشقت الارض عن كلب كالمهر الوليد · بعثر الكلب المارة والطلبة والطالبات واندفع كالقطار صوب فتحي وجلال · طار الصديقان طلبا للنجاة والكلب في اثرهما · الكلب يزأر كأن به مسا وهما يصرخان ·

حذاء فتحي جديد ·· لا يساعده على الجري لقساوة جلده وصلابة نعله ·

حذاء جلال القديم اصبح كالكاوتشوك يمضي به كالصاروخ انزلق فتحي عندما حاول مع جلال الانحراف فجأة ليهربا الى شارع جانبي · سقط فتحي على الارض ولحق به الكلب فاغرا فاه · ناله الكلب في اليته · صرخ · اطلق احد امناء الشرطة الرصاص على الكلب قفز الكلب من الالم قفزة واحدة ارتفع في الهواء الى مستوى الطابق الثاني ثم سقط على الارض ساكنا كأنه حجر ·· و ·· نجا جلال !!

عاطف سعودي

أصارحك القول ياولدى!

ما اسعدها من لحظات ... تساوى الدنيا وما فيها ... عندما أضم طفلى إلى صدرى ... ولسانه يردد متلعثما : بابا .. كلمة حلوة ... واحلى ما فيها اننى اسمعها لأول مرة ...

ولدى ... احببت الدنيا من اجلك ... كرهت السفر وقد كنت اعشقه لأبقى بجوارك ... اراك وانت تنمو يوما بعد يوم ...

يحزننى بكاؤك ... ويؤلمنى مرضك ... كنت اقرأ هذا قبل ان انجبك ولا اصدقه ... ولن تشعر باحساس وحب الوالدين إلا إذا صرت أبا ... هذا واقع لن تصل الكلمات ـ مهما بلغت وابدعت من خيال ـ الى تصوير جمال حقيقته ...

ولدى ... لقد اخترت اسمك بعد عقد قرانى مباشرة ...

واصارحك القول بانه اسم مشترك يصلح لك كرجل كما يصلح للأنثى وكنت انادى أمك دائما «ام تيسير» ...

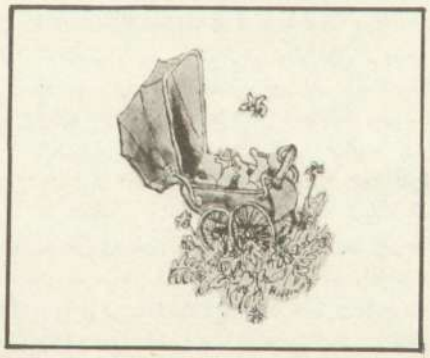
ولدى ... كنت ارى أمك وهى تتالم من حملك .. ولكن البشر الذى كان يبدو على عينيها يخفف علي ذلك ... كانت تخشى الطبيب ... بطبيعتها تكرههم !! .هكذا عرفت ... ولكن خوفى عليكما ياولدى كان يدفعنى للطبيب ...

وقد كلفنى ذلك الكثير ...

وعندما حانت لحظة خروجك للدنيا ... كانت هناك قلوب قلقة وعيون مترقبة ... ونفوس متلهفة ... كنت اظن اننى اولهم ولكن عرفت أخيرا أن «جدتك» كانت اكثر قلقا ... وترقبا .. وتلهفا .. حتى انها بكت وهى تحملك بين يديها ...

وقتها ياولدى ... كنت شاردا فى ذهول .. صامتا ... وشريط طويل من الذكريات الحلو منها والمر .. يمر فى خيالى ، صراع رهيب يدور فى خيالى ... أمل كبير يدق فى صدرى ... حلم عظيم تحدثنى به نفسى ... ويدق قلبى وترتفع دقاته ... ويرتفع ناظرى إلى السماء باحثا بين كواكبها عن نجم جديد سيولد تلك الليلة ... بعد لحظات ساكون أبا ... ما احلى هذا الشعور ... وما أجمله من احساس ... ابى !!! لفظ حلو جميل من يحمل من المعانى الكثير ... حرمنى منه القدر وانا طفل صغير ... وذقت مرارة اليتم وحرمانه ..

ومن حاضرى الذى عشته وقتها ... ورجوع للماضى القريب والبعيد ... كنت اتطلع الى مستقبل استطيع ان احقق ما اردته بنفسى ... فى ولدى فلذة كبدى ... قطعة منى تمشى على الارض وصدقت انه لن يتمنى انسان ان يكون اخر افضل منه ... إلا الوالد مع ولده ...



ولدى ... عجيب امر هذه الحياة ... فلها من الاسرار الكثير الذى حير العلماء والباحثين فلم يستطيعوا حل رموزها ... وذلك هو سر الخالق تعالت قدرته .....

حياة لم نبداها باختيارنا ... ولن تنتهى باختيارنا ... وما بين البداية والنهاية يصور لنا قصور تفكيرنا وعجزه اننا نفعل فيه ما نشاء !!!.

ولدى ... عجيب امر هذا الانسان ... سيد هذا الكون ... كرمه الله تعالى على خلقه ... ولكن حشرة صغيرة تقهره ... وشوكة تافهة تؤلمه ... وهواجس نفسه تقلقه ... وهفوات جوارحه تعذبه ... وامله ... واحلامه لن تنتهى ... وترهقه ...

يبدأ حياته صارخا والجميع من حوله فرحين وكل مظاهر السعادة تجمعهم ...

وفى لحظة النهاية ... يودع الدنيا صامتا ... ساكنا والجميع من حوله يخيم عليهم الحزن والألم .!! .

ولدى ... ارجو ان اكون اكثر ثباتا ... قوى الجنان رابط الجاش ... صادق الايمان ... واثقا من رحمة الله اكثر من ثقتى فى كل شىء ... وانا انتظر الليلة اخوك ... وقد تكون اختك ...

وحتى الآن ... اصارحك القول يا ولدى اننا لم نستقر على اسم لاخيك . !!

ليتك تستطيع تسمية اخيك ياولدى ...

محمد سيد عبد الرحمن
جمهورية مصر العربية

صوت الضمير

احتلت الاحلام مكانا كبيرا في تفكير الانسان منذ قديم الزمان فقد اعتبرها سقراط انها تمثل صوت الضمير . واعتبرها فرويد . الطريق الى العقل الباطن .

وفي السنين الاخيرة قام عدد كبير من معامل الابحاث بدراسة الاحلام .. وتقول احدث النظريات ان العقل البشري يتعامل مع ما يتعرض له بطريقتين :

الاولى : يقوم بها النصف الايسر للمخ وهو يعمل في اليقظة ويتعامل مع المعلومات والحقائق ويقيم كلا منها .

اما الثانية : فيقوم بها النصف الايمن للمخ . ويتعامل مع العواطف والمشاعر العابرة التي لا تلاحظ اثناء اليقظة ويقوم بتقديرها اثناء فترة النوم .

واتضح ان الانسان اذا حرم من الاحلام وذلك بان يستيقظ عندما يصل الى مرحلتها اثناء النوم فان ذلك يؤثر في حالته العقلية والنفسية في اليوم التالي .

كذلك فان الانسان اذا كثرت احلامه ـ عندما تطول فترة نومه ـ فانه يكون مرهقا في اليوم التالي . كذلك ثبت ان هناك مشاكل كثيرة يجد لها الانسان حلا اثناء الاحلام .

كمال عمّار

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الأصدقائية



اصبحت عازفا عن الاختلاط ، وإن كان ولابد فبقيراط ، وحتى هذا القيراط كلن بحساب ، لايدخل فيه ارتفاع الاحساب والانساب ، وسعة ذات اليد ، املا فى منفعة اليوم او الغد ، بل طبقا لمقاييس موضوعية ، واحاسيس تجريدية ، لا انعطف الى واحد وإن طلب مرعاه ، ولا انصرف عنه إذا جفت يداه ، بل اصادق اخلاقه ، ما وسعتنى الطاقة ، يرضينى ان يسعد ويسود ، ولا يقصينى عنه تقلب الجدود .

وكنت فيما مضى اندلق ، وكيفما اتفق ، على اى من الناس ، مادام يبدى لى الايناس ، فالزم نفسى صحبته ، وكنت فى منتهى العتة ، لانه فى اول امتحان ، يصبح فى خبر كان ، واجدنى اتمثل بقول القائل :

إنى لاغمض عينى ثم افتحها
على كثير ولكن لا ارى احدا

فاصحابه رغم عددهم الكثير ، لايجدهم فى الموقف العسير ، فكان وجودهم عدم ، ووعودهم ندم ، وهو المعنى الذى قاله « العامى » بجبلته فلان «زى قلته» ، واخذه الشاعر من اهل التفعيلة كما هو جملة وتفصيله ، فلم يضف إليه ، ولم يدر حواليه ، بل عانقه واتحد ، وقال : هذا الزحام لا احد ! .. لا جديد فيما يبديه ، ولا ميزة له على سابقيه .

المهم أن كثرة الصحابة ، خيلة كدابة ، وهكذا كنت يخدعنى الخيال ، فاعمى عن الخلال ، ولانى لم اكن انتقى واختار ، فقد صاحبت الابرار والفجار ، قصارا وطوالا ، مختلفين مهنا واشكالا ، عاديين ومتفردين ، سلسين ومعاندين ، إلا ان اشدهم غلاسة ، واقربهم الى نفاية الكناسة ، ذلك الذى يحتال ولا ينهزم ، ويسلبك ملابسك وانت تبتسم ، وهو النوع المسمى بالقطاع ، ويقطع الطريق بالخداع لا بالذراع !

ومن هؤلاء علاء النقشبندى ، وشهرته علاء افندى ، كان إذا اتيته رحب ، وإن ودعته تشكى وتعتب ، وإذا حييته رد التحيه ، باحسن منها وشويه ، وكان يؤكد بمناسبة وغيرها ، انه معى على شرها وخيرها ، ومع ان الخير كان بيمينى ، إلا ان كلامه كان يرضينى ، فانست إليه ، واثنيت عليه ، مستشهدا به فى مجال التفضيل ، مرددا كلامه الجميل ، وهو من جانبه ، يعتبرنى اكثر من صاحبه ، فالذى عنده عندى ، ولا فرق بين عبده وعلاء افندى ، ويشفع الكلام بالتحقيق ، جامعا بين النظرية والتطبيق ، فإن راقته قداحتى الدانهل ، اخذها بمجرد قولى تفضل ! ، وإذا طاب له قلمى الباركر ، وضعه فى جيبه دون ان يشكر ، فالجيب واحد والحب موفور بين النقشبندى وعبد الشكور ، اما إذا اعجبته مسبحتى الكهرمان ، فانها تنتقل إلى اصابعه بدون استئذان ، حتى صرت احتاط للامور ، دفعا للوقع فى المحظور ، اجمع من كل زوجين اثنين ، واحد لحسن والثانى لحسين ، فاذا احتجت ولو قلما من الرصاص ، اشتريت اثنين بمنتهى الاخلاص ، وقبل برد الشتاء بيومين ، اشترى بلوفرين ، وادفع بدل العشرة عشرين ، غير اسف او ضنين وإذا حل الهجير ، ابتاع قميصين حرير ، وهكذا فما فى يدى فى يده ، وما فوق جسدى على جسده ناسيا ان « ياء الاضافة » فى يدى وجسدى ، كانت من نصيبى وحدى ، اما هو فلا ، سواء ما هان او غلا .

وحدث ان بعث لى صديق مسافر اسمه « عبد القادر » ، بساعة عالمية الماركة ، اوتوماتيكية الحركة ، مينؤها اسود ، وغطاؤها من الذهب الاجود ، وسوارها رقيق الحاشية ، من ارقى جلود الماشية ، غالية الثمن ، وافية الزمن ، لاتقدم ولا تؤخر ، فحملتها وانا مستبشر ، وهجرت ساعتى القديمة ، وكانت لا تزال سليمة ، إلى ان جاء هادم اللذات ومفرق الساعات ، البلاء الابدى ، علاء النقشبندى فابدى إعجابه على الفور ، ولكنى تجاهلت الدور ، واعاد قراءة السيناريو ، فسالته عن جماعة البوليساريو ، وعاود الاشارة والاشادة ، مبطنا غايته ومراده ، وان يصل الامر الى الساعة ، فهذا من علامات الساعة ، ثم إنها هدية من يحفظ لى عهدا ، والهدية كما علمونا لا تهدى ، فعاد يلمح بعد التضمين ، وانا اذن من طين وعجين ، واخيرا خرج عن التلميح الى التصريح ، وقال اعطنيها إن كنت اخى بصحيح ، فاعتذرت بصريح العبارة ، مادام تجاهل فهم الاشارة ، فدافع عن نفسه ، بانى فهمت قصده بعكسه ، وحاشا لله فالساعة ليست سيجاره ، وان قصده هو الاستعارة ، فغدا عنده ميعاد ، مع احد اعيان البلاد ، فسالته : وما شان ساعتى ؟ ، فضحك من سذاجتى ، فان حاجته عند الرجل لا تتاجل ، إذا هو دخل عليه بالحنجل والمنجل ، البدلة الجديدة مكوية ، والحذاء مراه سفلية ، والشراب بلا ثقوب ، والكرافتة بلا عيوب ، غاية الابهة ، ونهاية المنجهة ، ولكنك يا دكتور ، تريد ان يختل الديكور ، ونفيت علاقتى بالديكور والدكتره ، وتابع هو الثرثرة فقد سبق له لقاء هذه الشخصية ، بنفس هذه الساعة العادية ، واشار إلى معصمه ، ثم اغار على مغنمه ، وقال بلا إبطاء ، هاتها وساردها غدا فى المساء ، بعد ان تكون ادت الرسالة ، واكدت مظاهر الجلالة ، ولما الح فى المسالة ، اعطيتها له ، وعدت للتى هجرتها قرابة الشهر ، فوجدتها قد اضر بها الهجر ، صامتة مهما تغذت ، واقفة مهما اهتزت ، وقد انفرجا عقرباها كانها فاغرة فاها ، لسهولة تفريطى فى كل ذى «زمبلك» ، وكاننى شهريار الملك .

وجاء الغد والمساء ، ولم يات علاء ، ولعل الميعاد استغرقه ، وشغله ما نجح فيه وحققه ، وإن فاته المساء فالصباح لا يفوت ، واثرت السكوت ، ولكن الصباح جاء ولم يجىء علاء ! ،



وفى العصر كنت اطرق بابه ، فانفتح عن صبى خال من النجابة ، وقبل ان انطق انا ، قال « بابا » مش هنا ، ولكن متى ياتى ؟ ، فصاح بصوت منكر : ياخالتى ، فلم ترد خالته التى بالداخل ، ولعلها من اللواتى يحتجبن بالمناخل ، ويطلون الرداء ، مبالغة فى الحياء ، ويعتبر ن الصوت عورة ، والصمت سترة ، ولانى احترم تقاليد الشرف ، فقد انصرفت بسرعة البرق ، وجلست فى قهوة مجاورة لسكناه ، انتظاراً لرؤياه ، ونودى لصلاة العشاء ، ولم يات علاء ! فدخلت بيته ، وناديت من جديد فلم ينفتح الباب عن سعد أو سعيد ، اينامون هكذا مبكرين ؟ ، ولكن ما العمل يامسلمين ؟ ، وفى الصباح المبكر كنت اجلس فى القهوة وافكر ، فاذا لم يخرج من منزله اليوم ، فماذا افعل يا قوم ؟ ، ومع الثامنة ، رايته يخرج بطلعته الداكنة ، فاسرعت خطاى ، ورانى فصاح ، سامحنى لقد وقعت فى مطب ، مخجل صعب ، ضاعت الساعة فى ساعة مشئومة ، كنت اركب اوتوبيس الحكومة ، صعدت بها ، ونزلت بدونها ، وإنه فى منتهى الخجل ، ويطلب فسحة من الاجل ليجمع ثمنها بالكامل ، ويقدمه للكريم الفاضل ، الذى هو انا !! ، ولما كنت رجلا مؤمنا ، فقد استعوضت الله ، ولكنه صلح لا والف لا ، ولا يمكن ولا بد ، فضميره لا يستحل حق احد ، والقيت عليه السلام ، وتركته يواصل الكلام !

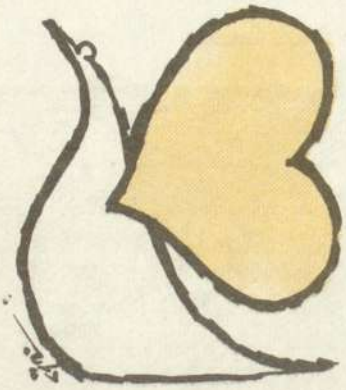
وعدت للقديمة الوحيدة ، ولكن لم تخرج منها دقة مفيدة ، فاشتريت غيرها ، ونسيت امرها ، إلى ان انقطع الاوستيك ، وانا فى شارع كلوت بك ولمحت محل ساعات ، ولم يكن فيه إلا صاحبه وإحدى السيدات ، خرجت حين دخلت ، وحييت الرجل وسالت ، هل لديك جلود شمواه ؟ فقال آه ، وقدم نوعين متشابهين ، سالته عن اجودهما فقال بجنيهين ، ورحت افاصل ويفاصلنى ، واجادله ويجادلنى ، ويقسم ان مكسبه قروش معدودة ، والحال واقف وقد طال كسوده ، وهنا رايتها ، ساعتى وإلا فهى اختها !! ، وسالت الساعاتى ، اهذه للبيع .. فقال نعم يا حياتى ، وطلبت ان اراها ، فامسكها بيديه ، وقال سبعون جنيه ، ولاجل خاطرك خمسة وستون ، فانت نعم الزبون ولما امسكتها تاكد الظن ، من خدش كان بجوار المسمار وصحت فى داخلى ياعالم الاسرار ، وتظاهرت بعد النقود ، ووعدت ان استكملها واعود ، رجاء ان يحجزها لى حتى المساء ، فقال ادفع عربونا وعد متى تشاء ، فدفعت خمسة جنيهات ، وخرجت من محل الساعات ، الى صديقى سامى شعشاعة ، محام غاية فى البراعة وحكيت الموضوع ، واخليت الضلوع ، مما اظن واعتقد ، فقال ستكون معك فى الغد ، وافاجا فى الغد بشرطى وقور ، يسالنى هل انا عبد الشكور فاجبت انا صاحب الاسم ، فقال تفضل معى للقسم ، بضاعتك سترد عليك ، وساعتك ستعود إليك ، وذهبت وانا غير مصدق ، فاذا بها امام الضابط المحقق ، والساعاتى وصديقى الهمام ، واقفين فى قفص الاتهام ، وسامى المحامى ، يبتسم ابتسامة الظفر ، وبهت الذى كفر ! .

وعلا صوت علاء يتهمنى بعدم الوفاء ، كيف اهديه ، ثم ابلغ فيه ؟! والساعاتى يدفع التهمة الملصوقة ، بجهله انها مسروقة ، والضابط يسالنى هل هذه ساعتى ؟ ، فاجيب بلسانى وابتسامتى ، فسالنى عما يثبت ملكيتها لى ؟ فارتعشت مفاصلى ، فالاثبات الوحيد « عبد القادر » ، ولكنه مسافر ، وانبسط وجه النقشبندى وهو يسمع كلامى ، بينما اصفر وجه المحامى ، وهو يرى المعيار يختلف ، والمسار ينحرف ، واجتهدت فى دفع الخطر ، وقد اقتربت الساعة وانشق القمر ، واخيراً خرجت من القسم بالسلامة ، بضمان محل الاقامة ، فالتحقيق لا يزال مستمرا ، إلى ان يقضى الله امرا ، وحتى اثبت بما لا يدع مجالا للشك ، ان الساعة حق لى وملك ! ، واستنجدت بعبد القادر حيث يقيم ، فبعث لى إيصال شرائها بالريال والمليم ، .. وقدمته بلا ابطاء ، فتم القبض على الساعاتى وعلاء ، وعاتبت صديقى المحامى ، فقال انه التزم بكلامه امامى ، وقد وعدنى بساعتى ، ولم يقصد محنتى !

ومن يومها وانا لا اصادق إلا اقل القليلين ، ولا اتعامل مع كل من هب ودب ، متمثلا بقول القائل:

بلوت حبال الاصدقاء رايتها
هواء وماء فى الغرابيل لا يبقى
فعش واحداً تسلم وإلا فلا تلم
سواك اذا صادقت من لم يكن صدقا
سراب ولا ماء رجاء ولا ندى
فان تلقهم فابصق على وجههم بصقا
فهم مثل كهان اليهود خبائثة
اعوذ برب الناس من شرهم خلقا .

منتهى الحب



لو جز بالسيف راسي في مودتكم
لراح يهوي سريعا نحوكم راسي
ولو بلى تحت اطباق الثرى جسدي
لكنت ابلي وما قلبي لكم ناسي
او يقبض الله روحي صار ذكركم
روحا اعيش به ما عشت في الناس
لولا نسيم لذكراكم يروحني
لعدت محترقا من حر انفاسي !

حرف واحد وعشرة معان

وَطَوَى اللامُ سَاعَاتِي

اللام حرف واحد .. ومع ذلك له استخدامات عديدة في لغتنا العربية وهي :

١ ـ لام التوكيد . ان الجو لبديع
٢ ـ لام الاستغاثة . يا لمحمد
٣ ـ لام التعجب . يا للذكاء
٤ ـ لام الملكية . الحديقة للجمهور
٥ ـ لام السبب . انما نطعمكم لوجه الله
٦ ـ لام الزمن . لثلاث مضين من رمضان
٧ ـ لام التخصيص . الأمر يومئذ لله
٨ ـ لام الأمر . لتفعل واجبك
٩ ـ لام الجزاء . انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
١٠ ـ لام العاقبة . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

يا أحباب محمّد .. اتحِدوا

شعر: كمال عمّار



اى الكلمات تليق بقدر جلال كمال حبيب
اللـــه !
القطرة لا تغنى عن سحب المزن ولا
يشفع طيف عن نور محياه
يكفيه شرف الاسم « محمد » يغنيه عن الاخبار
فالميم ـ مدار
تسبح فى مجراه الرحمانى الاقمار
نوح وموسى
من اول ما صنع الله منائره ، اعلام هداه
حتى سطع محمد فى خير نهار

●

والحاء ـ حُراء
وتمهل ياطير وانت تمر بافق الحق وتشهد
للسابق واللاحق
انك انت رايت محمداً، صلى الله عليه وسلم
يتامل يتبتل يتواصل يتوحد
فيه وليس سواه
الخالق والرازق
اشرقت الأنوار
والميم الثانية ـ محامد وثناء

ارضاً وسماء ناساً وملائكة ياعبد المطلب
نطقت صدقت سبقت زمانك فى الابصار
لو ان العمر امتد لابصرت المجد لواء معقودا
ودعاء ممدوداً لك ولآل حفيدك ولما شاء الله
والميم الثالثة الرابعة الخامسة السادسة
السابعة إلى ان يرث الله الأرض ـ مؤيد
بالغوث المنبث ملائحه وسيوفا وبيارق
فى بدر الأنصار

●●

والدال ـ دعاء
اصداء نداء المجروحين المسفوحين دما
بيدى كسرى .. قيصر
المرتقبين صبلح الخير ، مساء الأمن ،
وظهر الحرية
فى ارض لم تدخلها قدما «فارس»
و«القسطنطينيـــة »
كان العالم مشلول الساقين فلا ظهرا قطع
ولا ارضاً ابقى .. كان وما كان
حين أهل الانسان الباسط كفيه القادرتين
على دفتى الدنيا والأخرة معا
● الا تطغوا فى الميزان
والناشر الوية الرحمة حيث سعى
● المؤمن للمؤمن كالبنيان
صدق الله تعالى والهادى المختار

●●●

ياأحباب حبيب الله
صلوا زيدوه تكريما تسليما وصلاة
كونوا بعضا منه .. فلو كنا ما اختلف الجمعان
يا أحباب محمـــد
اتحدوا .. والان !
أو .. فهـــو الاعصـــار .

جحويّات

راح جحا ليطحن الدقيقا
وكان يشكو عسرة وضيقا
وحينمـــا اتمـــه رآه
يكـــاد لا يكفـي فمـا سواه
ماذا اذن لزوجـــه الكســـول
ولابنـــه الأكـــول مثل الغول ؟!
القمح شح والكرام راحـــوا
والجـــود والعطـــاء والسماح
ودار في بحيـــرة التفكيـــر
واحتـــار في الوقـــوف والمسير

كما يجب !



وحين دق الباب قمت فى فمى ابتسامتى
رسمتها كما يجـــب
ودق ثانيا اسرعت واثقا بخطواتى
● اهلا حبيبتى
لكننى رايت بائع الجرائد العجوز
بدا عليه انه رأى ملامحى
وهى تموت فجاة .. اراد ان يقول إنه
اتى لصالحى .. لكنه اضطرب
وارتعشت جفونه فزلزلت سكينتى

●

حين اتت حبيبتى
لم تجد ابتسامتى
تساءلت عن السبب
وكفها الوردى فوق جبهتى
● حبيبتى ..
انا كما يجب
فقط كان بائع الجرائد العجوز
يصفعنى بقبضتى !

الـــذكاء الأحـــمَق



ثم رمى بعينه اليمين
للقمح في الغرار والطحين
واتبع اليمين بالشمال
فابصر الغلال كالتلال
فقافل الطحان ثم انسلا
يملأ منها كيسه المعتلا
لكنه لحظه التمس
ابصره الطحان وهو يختلس
فقال كيف تسرق الغلالا
اتجهل الحرام والحلالا ؟ !

اجاب : كلا انها حماقة
ونوبة ارجو لها افاقة
فقال ما دمت اتهمت الحمقا
وكان كل ما زعمت صدقا
فخذ بقبضتيك من جوالك
في غيره يبين صدق حالك
فقال ان فعلت ما تريد
اكون « احمقين » او يزيد
الحمق كالذكاء حين يرمى
في وقته يفيد يا ابن امي !!

يـــا ربـــ..

اللهم إنى اعوذ بك ان اقول قولا حقا فيه رضاك ، التمس به احداً سواك.
واعوذ بك ان اتزين للناس بشيء يقبحنى عندك .
واعوذ بك ان اكون عبرة لاحد من خلقك .
واعوذ بك ان يكون احد من خلقك اسعد بما علمتنى منى ! .

ظـالـم بن ســارق وأسـماء أخـرى

عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء اراد ان يستعين برجل فى امر من الأمور فاستدعاه ليكلفه وجاء الرجل فساله عمر عن اسمه ؟ فقال : ظالم بن سارق!
قال عمر : تظلم انت ويسرق ابوك ؟ .. اذهب عنا فقد عدلنا عما نوينا .. فذهب الرجل .. وذهبت مثلا !

وقالوا إن عمر بن عبد العزيز سمع رجلا ينادى صاحبه قائلا : يا ابن العمرين فقال له : لو كان لصاحبك عقل لكفاه احدهما !! .

وقبل هذا وذاك وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الشاعر زيد الخيل بعد ان اسلم وصرفه الرسول عن الخيل واسماه « زيد الخير » ..وهى تسمية لم تبعد عن صميم الأصل وإن ابتعدت بها عما لا يستحب فى اسماء الرجال .. فكلمة الخيل مرتبطة بالخير ظاهراً وباطناً .. ظاهرا فى اتفاقهما فى الحركة والسكون ونوع الحروف وعددها ما عدا اللام فى الخيل والراء فى الخير .. وباطناً يستفاد من قول الرسول : الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة .

الهـــاربـــون إلى المـــوت

تاريخ الادب العربى حفظ لنا موقفا لثلاثة من الشعراء تعرضوا لما يكرهون ، ولم تكن السيجارة عرفت بعد .. المعروف هو « الخمر » فانكبوا على الشراب الى ان قضوا على انفسهم واستراحوا من توترهم .. اولهم « زهير بن جناب » الذى عاصر اجتياح الاحباش لمكة .. زهير اشار على قومه بالرحيل .. وإليك ما حدث :

● لنظعن يا قوم .. فهذا الحى لم يعد لنا ولم نعد له .
– بل نبقى
● من هذا المخالف ؟
– إنه ابن اخيك .
● الا احديناه ؟
– لا .
● اه لقد خولفت !

وامسك زهير بكاسه وظل يشرب «صرفا» وبلا انقطاع حتى اراح قومه من السفر واستراح من لغطهم .. ومات !

الثانى هو «ملاعب الأسنة» – أبو براء – خرج يحارب فلم يحرز النصر ولم ينهزم .. ومع هذا عز عليه وظل يشرب حتى مات .

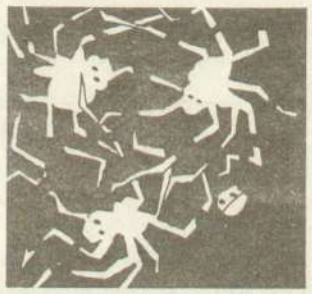
الثالث انت تعرفه إنه عمرو بن كلثوم الذى حفظت له فى صباك قصيدته التى يتيه بها ويفخر على الانس والجن ومطلعها «الا هبى بصحنك فاصبحينا » والتى يطلق فيها جناح المبالغة إلى حد السخف كما يقول الدكتور طه حسين وهو يعرض لهذا البيت «إذا بلغ الرضيع لنا فطاما . تخر له الجبابر ساجدينا » .

عمرو هذا شارك فى غارة على بنى حنيفة ووقع فى الأسر وكاد أن يتعرض لأقسى الاهانات حينما قرر أسروه ربطه مع ناقة فى وتد واحد لولا شفاعة بعض القوم فيه فاكتفى أسروه بحبسه فى أحد قصور اليمامة حيث ظل يشرب بلا انقطاع .. حتى مات !

رأيت

هذه المخلوقات الصَّعبة

في غرب السودان تكثر الاودية الموسمية الواسعة ، والتى تمتلىء بالمياه فى فصل الخريف ، وياتى امتلاؤها فجاة بالمياه على شكل سيول جارفة دون ان يحسب الناس لها حسابا وتتسبب هذه السيول فى كثير من الحوادث لكثير من عابرى هذه الأودية .



ولكننى رايت المواطنين هناك .. يتفادون هذه الحوادث بدليل ومؤشر حساس فهم عندما يريدون عبور واد من هذه الاودية ياتون الى طرف الوادى ، ويلاحظون حركة النمل ، فاذا كانت حركته حركة حياة طبيعية فمعنى ذلك انهم يستطيعون العبور فى امان ، اما إذا لاحظوا ان جماعات النمل تتحرك مسرعة خارج الوادى ، فهذا نذير بالخطر وعليهم ان ينتظروا ، فسرعان ما تاتى السيول الجارفة !

وهكذا نرى كيف تفادى الناس اخطار السيول بفضل هذه المخلوقات الضعيفة .. النمل !! .

كامل محمد إدريس
الخرطوم

قرأت

عَـدوى الخـوف

قام بعض العلماء بدراسات فى «الخوف» اثبتت لهم ان الاقتراب من شخص تملكه الخوف يبعث فى المرء خوفا لايعرف منشؤه كما ان الاصغاء لاسطوانات سجلت عليها اصوات اناس ركبهم الخوف او القلق يمكن ان يعدى سامعيها فتعتريهم نوبات مماثلة من الخوف والقلق .

وقد اختار العلماء لاجراء تجاربهم ٣٣ عالما نفسيا فاسمعوهم اسطوانات سجلت عليها احاديث مصابين باضطرابات عصبية او نفسية وهم يصرخون بمخافيهم واسرار قلقهم فبدت على العلماء ـ ـموضع الاختبار ـ اعراض الضيق ومظاهر التوتر العصبى .

ومن هنا قد لا تكون مخاوف المرء نابعة من اعماق نفسه بل قد تكون عدوى من شخص اخر ملازم له . وقد ظهر ان عدوى الخوف يمكن ان تنتقل ايضا الى الحيوانات التى تلازمنا .

وقد يبكى الطفل فجاة بين ذراعى امه اذا خافت من شىء واعداه خوفها وقديضطرب لذلك نومه ايضا .

ويشل الخوف قوة التفكير والذاكرة حتى لينسى الخائف المذعور اسمه وقد ينجم عن الخوف موت مفاجىء وقد يبيض شعر الخائف وهو امر كان مشكوكا فيه ولكن كثيرا من الاخصائيين يعترفون اليوم باحتمال حدوثه ويعللون ابيضاض الشعر بحدوث فقاعات هواء صغيرة فى الشعر بسبب الخوف تفسد صبغته الطبيعية فيبدو الشعر ابيض او عديم اللون .

وتدل التجارب على انه فى خمس حالات من عشر حينما تتملك المرء نوبة خوف فإن قوة بصره تضعف على الفور ثم تعود كحالها الأول بعد زوال اثر الخوف .

كوكب زكى عبده
ج . م . ع

ماذا تعرف عن اليوجا ؟

اليوجا اصطلاح هندى قديم يدل على فلسفة هى واحدة من الانظمة الرئيسية الستة فى الفكر الفلسفى الهندى .

وتعنى اليوجا مفهومين ، الأول هو الالتحام مع الخالق والوصول بالنفس البشرية الى مرتبة السعادة الحقيقية حيث يتم التخلص من آلام الحياة ، اما المفهوم الثانى فيمكن تسميته باليوجا الفسيولوجية ، وهو نظام غايته العناية بالجسم ويستهدف السيطرة على اعضاء الجسم والتحكم فى المقدرة العقلية للانسان مع امتلاك القوى الحسية عن طريق التحكم فى الاعضاء اللاارادية، وبالتالى تحرير الروح من المادة .

وتعتمد فلسفة اليوجا «كقيم مثلى يمكن الوصول إليها عن طريق الممارسة الفعلية » على فكرة ان العقل الانسانى يتعرض لاغراءات ولميول هائلة نحو المتعة حيث يكون الجسد اداة مسيرة من قبل العقل ، وبالتالى تكون الروح معرضة لشتى انواع المعاناة والآلام . وحتى تصل الروح الى مرتبة السعادة الحقيقية ، وينزه الانسان عن الأغراض الدنيوية الدنيئة ، فعلى العقل ان يمر بتغييرات ذهنية ، فيتحد مع الروح ليحقق لها الخلاص .

وللسيطرة على تلك التغييرات العقلية يجب إمرارها على خمس درجات تصاعدية ، وهنا يتم التركيز الكامل ويكتسب العقل القوى المسيطرة حيث يستطيع اليوجى التغلب على الآلام الحياتية ، ومن هذه الخطوات تنظيم التعامل مع الآخرين ،



والنظافة ، ودراسة الكتب المقدسة ونظام التربية الجسدية والقيام بتمرينات تنفسية . وبعدها يتم التجريد والسيطرة على الحواس ، ورفعها عن المعطيات الاعتيادية للأشياء وحصرها فى الذات .

عبد المنعم محجوب
ليبيـــا

سمعت

الرجـل الخـــارق

ليس المقصود هنا «ستيف اوستن» بطل المسلسل الشهير ، فهذا رجل عادى يدعى « لي ماجور » ليس فيه شىء خارق ، بل كل مافى الامر خداع الكاميرا ومن يقفون خلفها ، ولكن المقصود رجل امريكى يدعى «الان بروبك» ، حباه الله بقدرة خارقة ، فهو يطلب من اى مصور توجيه عدسة الكاميرا الى عينيه ، ويركز انتباهه على الاهرام مثلا ، ويشير بيده للمصور ليلتقط الصورة ، وعندما يقوم المصور بتحميض وطبع الصورة ، يجد فعلا صورة للاهرام واضحة رغم بعد المسافة بين مصر وامريكا ، وقد حدث ذلك عشرات بل مئات المرات ، فكم من مصور التقط من عينيه صوراً لبرج ايفل ، ومبنى الكرملين ، واهرامـات الجيزة .

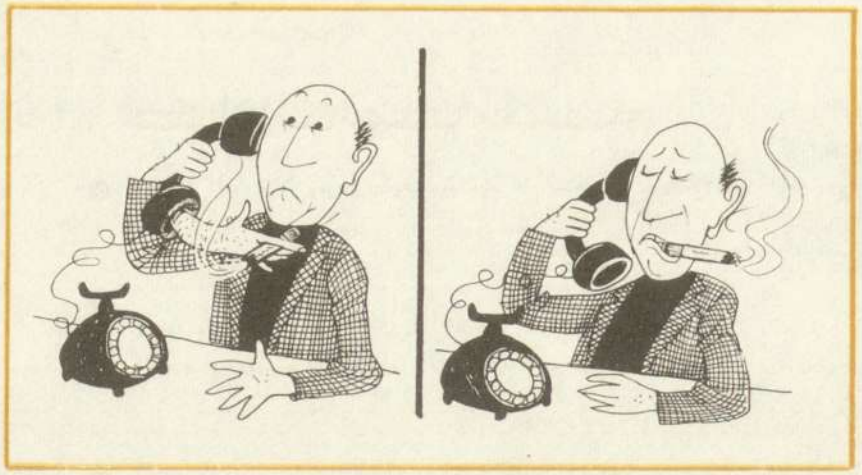
وقد حدث فى يوم ٢٤ نوفمبر عام ١٩٦٩ ان طلب من ثلاثة من المصورين ان يقفوا امامه فى وقت واحد ، وركز ذهنه ثم اشار عليهم بالتقاط الصور ، وبعد ان نظر الى العدسات الواحدة بعد الأخرى ، وبعد التحميض وطبع الصور الثلاث ظهر مبنى الامم المتحدة من ثلاثة جهات مختلفة فى كل صورة .

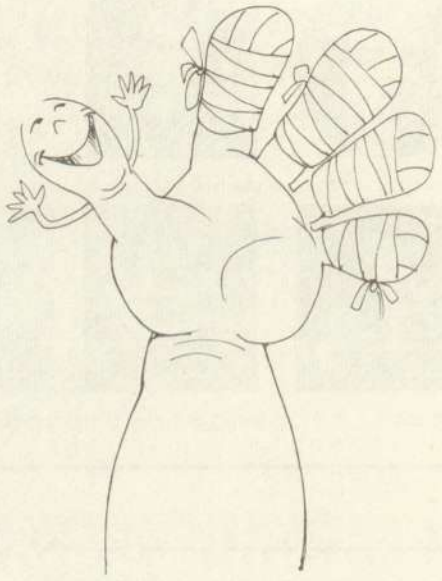
والغريب فى الامر ان الرجل ضعيف البصر ومشكلته انه اصبح حقل تجارب للعلماء يستدعونه فى اى وقت ، ولكنه يتقاضى عن ذلك اجرا كبيرا .

الطيب عبد القادر
السودان

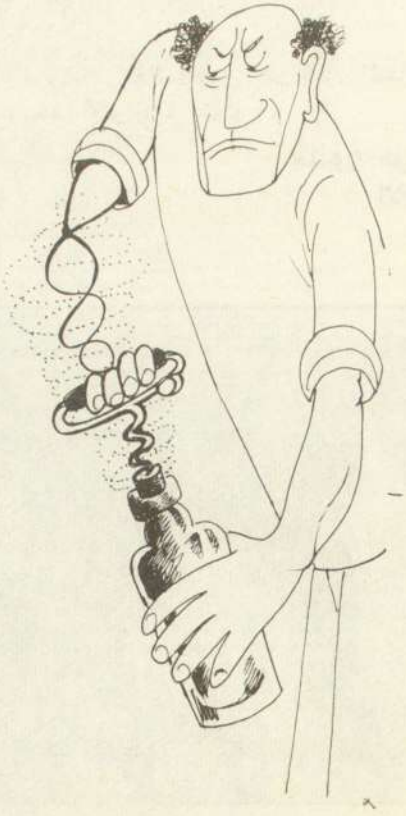
نابجر

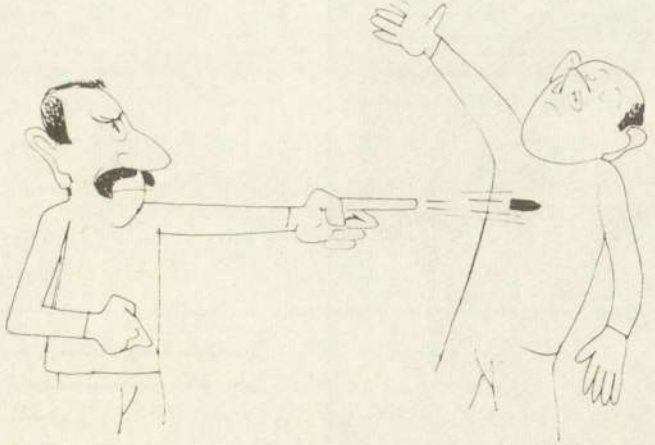
بدون تعليق











كلمات لها معنى..

● الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي أن يفتح متجرا ·

« فكتور هيجو »

● الرابح والخاسر في لعبة كلاهما مخطىء فالطريق الصحيح لا يحتمل المقامرة ·

« الفيلسوف باسكال »

● أعظم أهداف الحياة ، أن تعرف كيف تحياها ·

« أوليفد وندل هولمز »

● أيسر على المرء أن يكتب في الفلسفة مجلدات عدة ·· من أن يضع مبدأ واحدا في حيز التطبيق ·

«تولستوي »

● كلما أطلنا التفكير في مصائبنا ، ازدادت اضرارا بنا·

« فولتير »

● ان الابداع يبدأ بالتأمل ·

«بيكاسو »

● لم أتعلم الحرية من كارل ماركس ، بل تعلمتها من البؤس ·

« البير كامو »

● لا الحب ، والصداقة ، ولا الاحترام يربط بين الآخرين قدر ما تفعل الكراهية المشتركة لشيء ما ·

« تشيخوف »

فارس شكري
العراق


فيكتور هوجو


باسكال


فولتير


تولستوى


بيكاسو


البير كامو


تشيكوف

قال العرب قديما

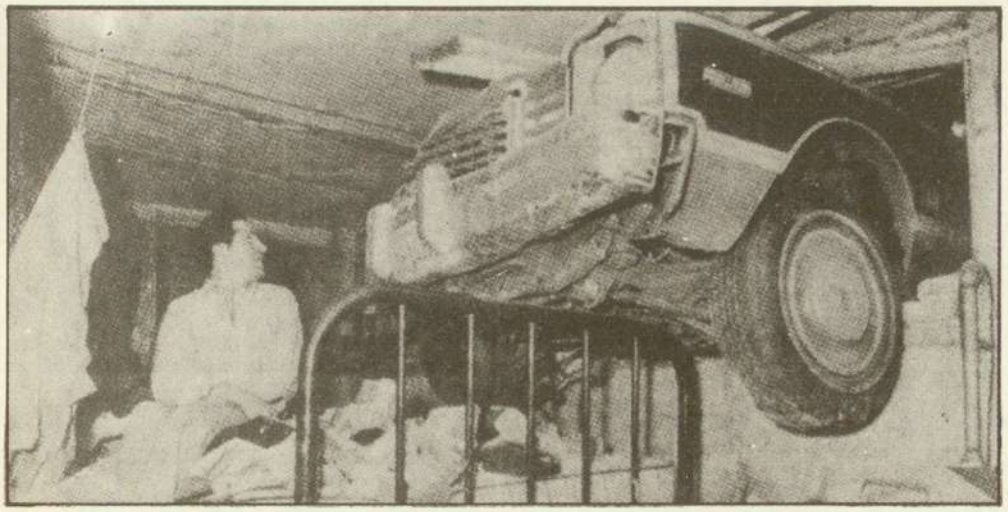
● من أدب ولده صغيرا ، سر به كبيرا ·

● من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر حيث يحب ·

● انصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنتان ، وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول !

خلدون هودلي
الاردن

لقطة الشهر



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال : القارىء مصطفى احمد على — السودان .

الخـــروج من المـــأزق

قال الحجاج لغلام له : تعالى نتنكر وننظر حالنا عند الناس ، فتنكرا وخرجا ، فمرا على المطلب غلام أبي لهب فقالا :

يا هذا ! بأي شيء خبر الحجاج ؟ قال : على الحجاج لعنة الله : قالا : فمتى يخرج ؟ ..

قال : أخرج الله روحه من بين جنبيه، ما يدريني ؟

قال : أتعرفني ؟ ، قال : لا ..

فقال الحجاج : أنا الحجاج بن يوسف .

قال المطلب : أتعرفني أنا ؟ .

فقال الحجاج : لا

فرد المطلب قائلا :

أنا المطلب غلام ابي لهب ، مصروع أصرع في كل شهر ثلاثة ايام أولها اليوم !

فتركه ومضى بعد أن أشفق على حاله !

سيد فتح الرحمن . مصر ـ اسوان

أنـــين القبعـــة ؟

كان الطفل يتنزه مع جدته بمحاذاة الساحل حين فاجأتهما موجة هائلة ، جرفت الطفل نحو البحر ، فركعت الجدة المذعورة على ركبتيها ، ورفعت بصرها الى السماء متوسلة الى الله ان يعيد اليها حفيدها الحبيب ، وحلت المعجزة ، اذ جاءت موجة أخرى ألقت الطفل غائبا عن الوعي على الرمال أمام جدته .

وتفحصت الجدة الطفل بعناية ، ولم يكن أصابه أي أذى ، لكن الجدة تطلعت الى السماء غاضبة ودمدمت :

حين جئنا كان الطفل يلبس قبعة !

عبد الاله زمراوي المغرب

عـــلاج المشـــكلة

دخل المريض الى عيادة الطبيب النفسي وقال له :

ـ يا دكتور .. لقد اصبحت الحياة سقيمة ، وأشعر أن لا فائدة لوجودي .

فرد عليه الطبيب قائلا :

ـ فعلا ، كلنا يعاني من الحياة ، ولكن لا تيأس سريعا ، ان مدة علاجك لن تطول عن سنتين ، على أن تتردد على العيادة يوميا ، وسوف يكلفك هذا خمسة جنيهات في الاسبوع .

وسكت المريض برهة ثم قال :

ـ حسنا يا دكتور ، ان علاجك هذا يحل المشكلة بالنسبة لك ، فما بالك بمشكلتي ؟

د. محمود حلمي ج . م . ع .



اليمـــين واليســـار

بينما كان جحا جالسا ذات مساء مع زوجته ، انطفأ مصباح الغاز ، فقالت زوجته :

ـ هات الكبريت من على يمينك ؟

فرد جحا قائلا : وهل جننت ، كيف أعرف يميني من يساري في هذا الظلام ؟

احمد حمادة مصر ـ اسيوط

أســـهل عنـــوان

ذهب كاتب ناشيء الى برناردوشو ومعه قصة من تأليفه يبلغ عدد صفحاتها ١٥٠٠ صفحة وطلب من برناردو شو أن يضع لتلك القصة اسما مناسبا !! .. فنظر شو الى القصة دون أن يفتحها وقال للكاتب الناشيء هل في قصتك هذه أي آلات موسيقية ؟! قال له الناشيء « لا » .. فقال له شو على الفور : اذن اجعل اسمها « بدون آلات موسيقية » !!

محمد عبد المقصود .
ج . م . ع .

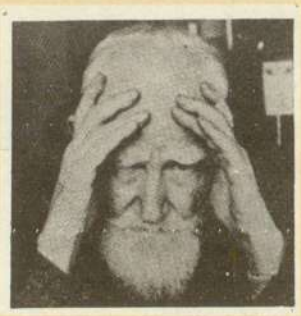
لا يـــوجـــد مســـتحيـــل

قيل لنابليون :

كيف استطعت أن تولد الثقة في جيشك ؟ ..

فأجاب : كنت ارد بثلاث على ثلاث ، فمن قال : لا أقدر . قلت مه : حاول . ومن قال : لا اعرف قلت له : تعلم . ومن قال : مستحيل . قلت له : جرب !

لحدان الكواري
دولة ـ قطر



برنارد شو



نابليون بونابرت

حل مسابقة من . أين . ما
عدد ٥٢



من: لورانس
اين : صقلية
ما : التليفزيون

١ـ منارة الاسكندرية ـ برج بابل ـ سفينة نوح ـ عصا موسى ـ ناقة صالح
٢ـ غير صحيحة .
٣ـ الكيمياء
٤ـ ابو الريحان البيرونى
٥ـ خمسين سنة
٦ـ الطويل
٧ـ مصر
٨ـ الثدييات
٩ـ خراسان
١٠ـ الجرافيت ـ الماس ـ الفحم

نتيجة مسابقة شهر أبريل ١٩٨٠

● فازت بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة : بشرى احمد حمدى ـ مصر

● فازت بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة ايناس مهدى الآمين ـ الخرطوم .

فازت بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارئة مجد محمد مروان ـ الكويت .

الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنة :

● محمود عبد العظيم محمود ـ مصر
● سعيد بن احمد الشريف ـ راس الخيمة
● عبد الرحيم احمد محمود ـ الخرطوم
● فيروز عز الدين ـ الاردن
● نصرة انور على مشالى ـ بورسعيد
● ابراهيم صبحى الناطور ـ سوريا
● فتحى مراد رفعت ـ مصر .
● شيرين خميس محمد ـ قطر
● عثمان محمود التوم ـ السودان
● عبد الله سعيد الجرو ـ اليمن
● سهيل السلامى ـ تونس .
● الناصرى عبد المجيد ـ المغرب

من . أين . ما

● من .. ؟

قائد عسكرى عربى مصرى لقن الجيش الاسرائيلى درسا لاينسى فى معركة رمضان سنة ١٣٩٣ فى عملية سميت «العشر دقائق» اباد بقواته فيها لواء مدرعا اسرائيليا شرق الاسماعيلية . اسمه مكون من ثلاث كلمات فى عشرة احرف ..:

١ـ٩ـ٦ـ٩ خطوط وهمية على الخرائط مزقت الوطن العربى الى اقطار شتى .
٧ـ٥ـ٤ـ٨ وحوش لا تخاف غيرها من الحيوانات .
٢ـ٣ـ١٠ فترة من الزمان

● أين .. ؟

معركة بالشام كادت أن تودى بالاستعمار الفرنسى فى سوريا ولبنان لولا تخاذل بقية العرب عن النجدة السريعة . اسمها من ستة احرف .. :

٦ـ٣ـ٢ـ١ هواء طيب لطيف
٦ـ٥ـ٤ آلة للنسيج

● ما..؟

نهر عربى فى المشرق العربى سماه قدماء المصريين النهر المقلوب إليه تنسب اللغة العربية صفة الماء الجيد الذى يطفيء سعير العطش عند الوصول الى شواطئه ... اسمه مكون ستة احرف .. :

٦ـ٤ـ٣ صفة تؤذن دائما بتدهور المجتمعات البشرية فيحق عليها غضب الله .
٥ـ٢ـ١ـ٣ عدد أكثر من المئات .

الجواب الصحيح

١ـ هل يتساوى فى اللغة العربية معنى (الرؤية) و (الرؤيا) ؟؟
٢ـ كانت معركة رمضان سنة ١٣٩٣ مواتية ليوم السبت من ايام الاسبوع ، ففى اى يوم من أيام الاسبوع كانت نكبة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ؟؟

٣ـ صعلوك عربى قديم عمل دليلا لجيش ابرهة الحبشى الذى اقدم على هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١م .. ذلك العميل اسمه :
ابو لحية ـ ابو رغال ـ ابو عزيزة ـ ابو خنزيرة

٤ـ أعاد عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بناء الكعبة المشرفة مدخلا فيها حجر اسماعيل طبقاً لقواعد سيدنا ابراهيم عليهما السلام فى سنة :
٥٥ ـ ٦٥ ـ ١٠٥ هجرية .

٥ـ يتكون الجص (الجبس) من ملح يسميه الكيماويون :
كربونات الكالسيوم ـ كبريتات الكالسيوم ـ سترات الكالسيوم .

٦ـ كان احد الخلفاء العباسيين يشارك علماء الفلك مهندسى المساحة فى تجارب قياس طول الجزء من محيط الارض لدرجة عرض واحدة كان هو الخليفة .. :
السفاح ـ المأمون ـ المعتصم .

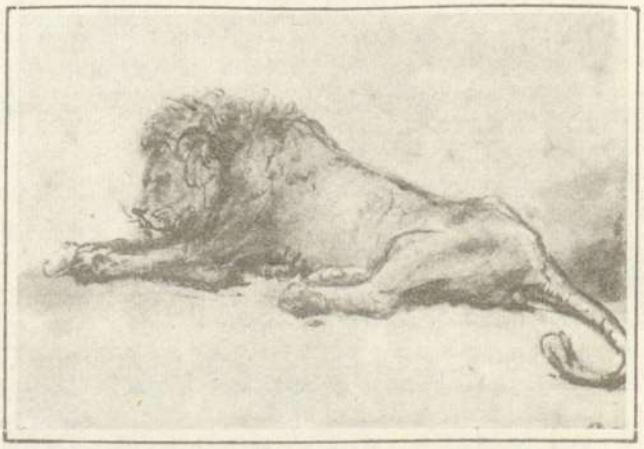
٧ـ ولد احد فحول الشعراء العرب ليلة مقتل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد المجوس ابى لؤلؤة سنة ٢٣ هجرية .. ذلك الشاعر هو :
عمر الخيام ـ عمر ابو ريشة ـ عمر بن ابى ربيعة .

٨ـ وإن تفق الأنام وانت منهم .. أكمل البيت وانسبه لقائله ..

٩ـ مجموع زوايا المثلث الواصله اضلاعه بين بغداد والدوحة والقاهرة :
٢١٦ درجة ـ ٣٠١ درجة ـ ١٨٠ درجة .

١٠ـ مؤلف قصة (عرس الزين) هو الأديب العربى الكبير :
الطيب صالح ـ عبد السلام العجيلى ـ سهيل ادريس .

حـــاول أنـــ تعرف ـــ



من هو الفنان ؟

عنوان هذه اللوحة ، الأسد ، رسمها فنان هولندي عاش في القرن السابع عشر وتميزت اعماله بالجمال والتعبير والاستخدام الرائع للظل والنور ، هل يمكنك التعرف على اسم الفنان ؟



مشغول جدا

بعيدا عن احداث العالم راح يعالج مشاكله الخاصة بطريقته الخاصة .. حاول ان تجد تعليقا على الصورة

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٢





● التعليق على الصورة الأولى :

اسماء الفائزين

ـ الكد علينا .. والرزق على الله !

عبد الله سالم مسيبلي
المملكة العربية السعودية

ـ ساعيش رغم الفقر والاعياء ،
كالنسر فوق القمة الشماء .

فوزي المسعودي
تونس

الصورة الثانية

ـ اسم المدينة بلغراد بيوغوسلافيا .

اسماء الفائزين

ـ محمد احمد جحيش — صنعاء
ـ كتمان عبد الكبير — المملكة المغربية

كاريكاتير وتعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال



حل مسابقة كاريكاتير وتعليق ـ العدد ٥٢

ـ الزوج : ما رايك يا عزيزتي ، انت تتناولين طعامي ، وانا ادفع نفقات علاجك بالمستشفى ؟ ..

حسن عبد الفتاح القاهرة

ـ الزوج : اسمع ! اذا انقذتني وقلبت وعاء الطعام قبل ان تقدمه لي زوجتي ، فساعطيك مكافاة قيمة !

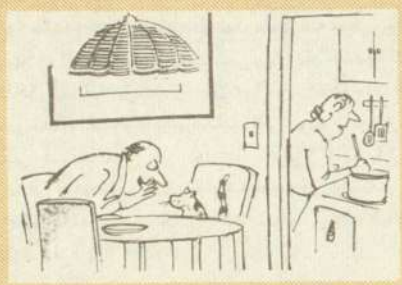
خالد نصيف سوريا

ـ الزوج : اعملي معروف ، اخرجي من هنا بسرعة ، فقد اخبرت زوجتي انك انت التي اكلت اللحمة !

خالد محمد علي عدن

ـ الزوج : لا داعي لأن تخفي الطعام من امامي ، فسارميه اليك بنفسي بعد قليل !

سناء عبد المنعم عواد دولة الامارات العربية





عبد القادر رحميدة

وجه من بعيد



نجيب سرور

وجه صديقى الشاعر الغائب نجيب سرور .. لماذا يحاصرنى الليلة ؟

فى آخر رسائله لى قبل أن يرحل من دنيانا بشهرين وبضعة ايام .. كتب يستحثنى على أن اتشبث بالكتابة فى كل عدد من الدوحة . قال إنه مريض ومع ذلك لا يتوقف عن الكتابة . إن القلم هو ما نملكه . وعندما لا نملك ثمن الحصول على الورق ، علينا أن نكتب فوق الجدران ، وجذوع الاشجار ، وفى آذان الاصدقاء . نحن لن يبقى منا غير الكلمات !

لماذا يحاصرنى الآن وجه صديقى الشاعر الغائب نجيب سرور ؟

آخر لقاءاتى معه كان مساء العاشر من ديسمبر ٧٤ ليلتها كنت وبعض الأصدقاء جلوسا فى كافيتريا فندق الشيراتون ، حين لمحت «نجيب» وحيدا مع كوب من الشراب ، وقد استغرقته الحالة التى يكون فيها الشاعر لحظة الكتابة . لم يكن امامه ورق ولا قلم . لكن شفتيه كانتا تنفرجان وتنطبقان كمن يقرأ من الذاكرة ، أو انه قد استحضر بالذاكرة شخصا آخر يتحدث إليه . وترددت للوهلة الأولى فى أن اقتحم عليه تلك الحالة التى يكون الشاعر فيها غارقا فى عالمه ، لكنى حين وجدته يفتح فمه كمن يجلس الى طبيب الاسنان ، مشيرا بأصبعه إلى اسنانه ، انتفضت ذاهبا إليه . فلما وجدنى أمامه لم يبد عليه أنه فوجىء بى ، وخرج صوته مكملا بفصحاه التى اعتاد أن يحدثنى بها : لقد خلعوا كل اسنانى .. انظر ! وراح يخلخل اسنانه مزمعا أن ينتزعها من مكانها ، فاوقفت يده . وعندما قلت له إننى مغادر مساء اليوم التالى الى دولة قطر .. بدا عليه الحزن الشديد لاننى مسافر دون أن أودعه ، ولولا الصدفة وحدها لما التقينا !

لماذا يحاصرنى الليلة وجه صديقى الشاعر الغائب ؟ !

أولى لقاءاتى به ، كانت ذات مساء من عام ٥٧ فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

كنا فى الشباب . وكنا أكثر حظا من الحيوية ، والاقبال على الحياة ، وعفوية التعبير ، والرغبة فى إثبات الذات ، عن طريق الذيوع والانتشار ابتداء من النشر فى الصحف والاذاعات ، وانتهاء بحلقات الشعر التى نهرع إليها مثلما يهرع المغنون إلى حفلات الغناء !

ومن عجب أن وجوه تلك الأمسية القديمة تفرقت وتناثرت على سطح الكرة : محمد الفيتورى فى إيطاليا . وأحمد عبد المعطى حجازى فى باريس وفاروق منيب فى لندن . وتاج السر الحسن فى الاتحاد السوفيتى . ومحيى الدين فارس فى الخرطوم . وكامل أمين فى السعودية . وفتحى سعيد فى غرفة مكتبه فى بيته بالقاهرة راهب فى صومعة الشعر والحزن . وكمال عمار مسافر على الورق ٢٤ ساعة فى اليوم ، وأستاذنا محمد عبد اللطيف السحرتى راعى تلك الأمسيات ، فى محبس الشيخوخة ، تقعد به عن لم ذلك الشمل المتفرق ! وهاانذا فى أمسية قطرية الشوق والحنين ، يحاصرنى وجه نجيب سرور .. لماذا هو بالذات ؟!

فى تلك الأمسية البعيدة .. لم يكتف نجيب بالقاء قصيدة « الحذاء » التى اشتهر بها حينذاك . وإنما راق له أن يعقب على قصائد الأمسية . كان نجيب ذا حضور آخاذ . فهو شاعر ومخرج مسرحى ، وممثل ، وقارىء واثق من ذاكرته ، وشديد الاعتداد بكل تلك الممكنات لديه . مثلما كان شديد الحدة فى إبداء رأيه . مقاتل بوجهة النظر . لا يخشى . ولا يقف فى المنتصف بين الكلمات التى تتخنث فيها الصراحة . وكان بتعقيبه ذاك يدفق اللهيب فى عروق الأمسية كلها ، ونحتدم حتى الصباح !

عندما عاد نجيب سرور من بعثته لدراسة المسرح فى الاتحاد السوفيتى .. جاء يزورنى فى مكتبى . ويومها حدثنى نجيب « الأب » عن الظروف المعقدة التى تحول دون أن تلحق به الى القاهرة زوجته الروسية « ساشا » وابنه « شهدى » . وبعد يومين من تلك الزيارة قرأ لى مقالا بعنوان « شخصيات تبحث عن مستمع » قسوت فيه على زوار المكاتب الذين يقتحمون علينا وقت العمل لكى يزجوا فراغهم بالثرثرة ، متجاهلين أن وقت العمل والموظف معا ، ملك للدولة والانتاج . ومع انى — والله — لم اقصده ، فقد اعتقد اننى ضقت ذرعا بزيارته وأزمته ، فكتبت هذا المقال . وهكذا اتصل بى تليفونيا فور قراءته . ولأول مرة يأتينى صوته مهيضا مقسما انه لن يزورنى بعد الآن فى مكتبى ، ومؤكدا فى نفس الوقت أننى على حق !

لماذا يحاصرنى الآن وجه نجيب ؟

على مرمى البصر من نافذة مكتبى فى البيت مساحة فضاء كبيرة مهملة تتجسد لى فى المساء مسرحا إغريقيا قديما أحرك عليه شخوصا من قراءاتى ومشاهداتى وتجاربى مع الناس ! فى هذه الأمسية تنتفض على مسرحى حديقة السيدة « رانفسكايا » وشقيقها « جاييف » فى مسرحية « بستان الكرز » لتشيكوف . وهى نفس المسرحية التى ترجمها وأخرجها نجيب سرور على مسرح الجيب القاهرى . الآن اذكر أن مسرح الجيب بعمقه الصغير — وقد كتبت ذلك فى حينه ضمن ما كتبت عن المسرحية — لم يتسع لمشهد البستان باعتباره البطل الرمزى فى المسرحية ، وبذلك فقد مدلوله ورمزيته . ولقد كتب لى نجيب وقتها موافقا ومؤكدا أنه شقى كثيرا من أجل ان يتاح لهذه المسرحية مسرح أكبر وأعمق دون جدوى !

هل يجسد لى هذا الفضاء على مرمى البصر من نافذتى وجه صديقى نجيب سرور بأحلامه فى مسرح كبير يحرر امكانياته من قيود السكون ؟! أم اننى أتذكره هذه الليلة تحت ضغط الاحساس بالذنب لأنه غادر هذه الدنيا ولم يتلق الرد على آخر رسائله إلى ؟ أم هو حنينى إلى وجوه أحببناها وفقدناها .. إلى الأبد ؟!



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد


للفنان القطري سلطان السليطي
١٩٨٠
Sultan